رسائل

الشَّيخ المغبُوط الذكر
الراهبَ بايسيوس الآثوسي



ΙΕΡΑ ΜΗΤΡΟΠΟΛΙΣ ΚΑΣΣΑΝΔΡΕΙΑΣ
ΙΕΡΟΝ ΓΥΝΑΙΚΕΙΟΝ ΗΣΥΧΑΣΤΗΡΙΟΝ
"ΕΥΑΓΓΕΛΙΣΤΗΣ ΙΩΑΝΝΗΣ Ο ΘΕΟΛΟΓΟΣ„
ΑΓΙΑ ΠΑΡΑΣΚΕΥΗ - Ν. ΘΕΣΣΑΛΟΝΙΚΗ
Ταχ Δ/νσις: 570 06 ΒΑΣΙΛΙΚΑ ΘΕΣΣΑΛΟΝΙΚΗΣ

Ἐν τῷ Ἡσυχαστηρίῳ τῇ 27 - 11 - 1997

Ἀριθ. πρωτ.25

Πρός
Τόν Πανοσιολογιώτατον
Ἀρχιμανδρίτην π.Κασσιανόν
Καθηγούμενον
Ἱερᾶς Μονῆς NOTRE DAME D'INTERCESSION
BDEBBA AL - KOURA
Εἰς Λίβανον

Ἄδεια ἐκδόσεως μεταφράσεως

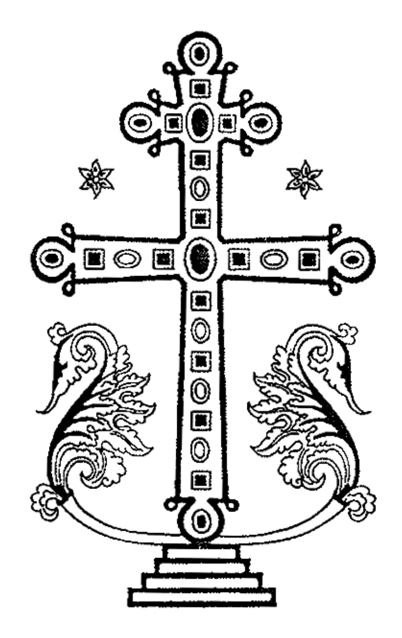
Τό Ἱερόν Ἡσυχαστήριον "Εὐαγγελιστής Ἰωάννης ὁ Θεολόγος„ Σουρωτῆς Θεσσαλονίκης παρέχει εἰς τόν Πανοσιολογιώτατον Ἀρχιμανδρίτην π.Κασσιανόν, Καθηγούμενον τῆς ἐν Λιβάνῳ Ἱερᾶς Μονῆς NOTRE DAME D'INTERCESSION τήν ἄδειαν ἐκδόσεως τῆς γενομένης μεταφράσεως εἰς τήν Ἀραβικήν γλῶσσαν τοῦ βιβλίου τοῦ μακαριστοῦ Γέροντος Παϊσίου "Ἐπιστολές„ μέ τήν προϋπόθεσιν ὅπως τηρηθοῦν οἱ ὅροι,οἱ ὁποῖοι ἀναφέρονται εἰς τήν ὑπ'ἀριθ.24/25-11-97 ἐπιστολήν μας.

Ἡ Καθηγουμένη τοῦ Ἱεροῦ Ἡσυχαστηρίου

Καί αἱ σύν ἐμοί ἐν Χριστῷ ἀδελφαί

رسائل

الشَّيخ المغبُوط الذكر
الراهبُ بايسيوس الآثوسي



ترجمة
الأبّ المتوحّد إسحق الآثوسي
قلاية القيامة - كابسالا - آثوس



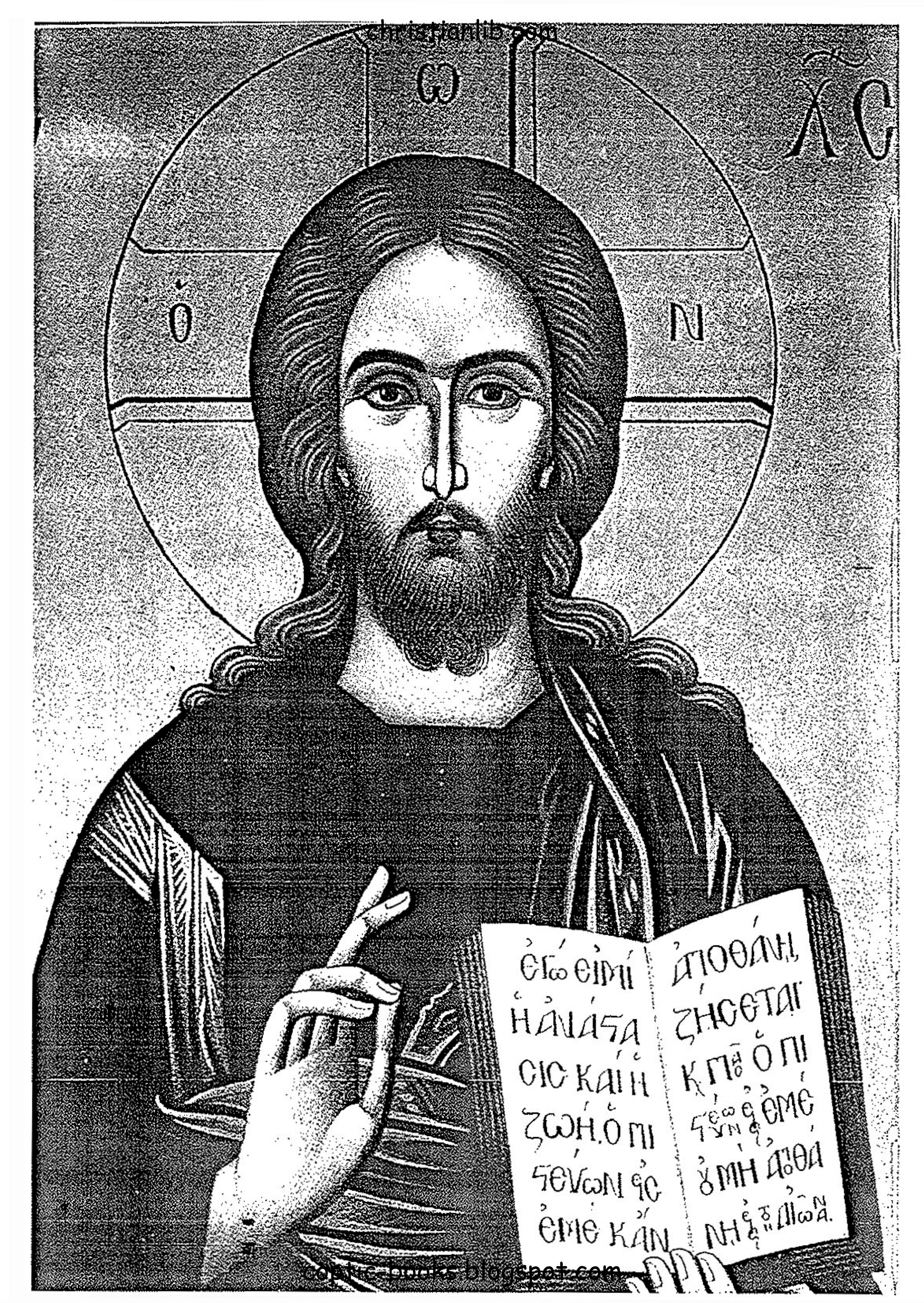
أصدر هذا الكتاب

دير الشفيعة الحارّة - الحرش - بدبا - الكورة

ببركة من الناشر : دير القديس يوحنا الانجيلي - سوروتي اليونان

٢٠٠٠ م


جميع الحقوق محفوظة
دير الشفيعة الحارة


ΧΣ
Ο ΩΝ
ΕΓΩ ΕΙΜΙ
Η ΑΝΑΣΤΑ
ΣΙΣ ΚΑΙ Η
ΖΩΗ. Ο ΠΙ
ΣΤΕΥΩΝ ΕΙΣ
ΕΜΕ ΚΑΝ
ΑΠΟΘΑΝΗ
ΖΗΣΕΤΑΙ
Κ ΠΑΣ Ο ΠΙ
ΣΤΕΥΩΝ ΕΙΣ ΕΜΕ
ΟΥ ΜΗ ΑΠΟΘΑ
ΝΗ ΕΙΣ ΤΟΝ ΑΙΩΝΑ.

أيقونة الرب يسوع المسيح

صوّرتها راهبات دير القديس يوحنا الانجيلي - سوروتي - سالونيك



المقدمة

كتبَ هذهِ الرسائل الشيخُ المغبوطُ الراهب بايسيوس الآثوسي وأرسلها الى الدير الهدوئي الشريف، دير الإنجيلي البشير يوحنا اللاهوتي - سوروتي.

أُعدّت هذه الرسائل للطبعة الحالية[1] قبل أشهرٍ قلائل من رقاد الشيخ بايسيوس. وقد طلب منّا نشرها بعد رقادِه بالإضافة الى وصيّته التي أكدّت وضمنت صحةَ رسائله وأصالتَها.

الدير الهدوئي الشريف

دير الإنجيلي البشير يوحنا اللاهوتي

رقاد والدة الاله ١٩٩٤

---

(١) الطبعة اليونانية الاولى ١٩٩٤.

الى الاب كاسيانوس - دير الشفيعة الحارة

أرسل إليك وصية الأب بايسيوس الى راهبات سوروتي وأريد بإصرار أن تضعها في أول الكتاب بعد المقدمة.

إن الاب بايسيوس شدد على وضعها في كتاب الرسائل و أمر الأخوات أن يطبعوا الكتاب بعد مماته. قد يقصد بعد الاعتراض عليه. ولكن يجب الا نخاف من ذلك. يجب الاستماع للقديسين لا للناس.

بركة الرب معكم

آمين الأب اسحق

٢٢ ش ١٩٩٧

ΙΣ ΧΣ
ΝΙ ΚΑ

Ἐξουσιοδότηση ἰδίου συμβολαίου.
Πρός τό Ἱερόν Ἡσυχαστήριον
Εὐαγγελιστοῦ Ἰωάννου Σουρωτῆ.

Σήμερον τῇ 9-Φεβρουαρίου 1988, Ὑπαπαντή τοῦ Χριστοῦ, Ἐθεώρησα καλόν νά γράψω καί νά ἀφήσω αὐτήν τήν ἐξουσιοδότηση στό Ἱ. Ἡσυχαστήριον τοῦ Εὐαγγελιστοῦ Ἰωάννου τῆς Σουρωτῆς, στήν Συνοδεία τῆς Γερόντισσας Φιλοθέης, διά νά τήν ἔχουν καί [illegible] χρόνο σάν συμβόλαιο, διαθήκη, ἐπειδή δέν ξέρω πότε θά πεθάνω, καί δέν θέλω νά δημιουργηθοῦν προβλήματα μετά τόν θάνατό μου.

1ον Στό Ἱερό Ἡσυχαστήριο τοῦ Εὐαγγελιστοῦ Ἰωάννου Τῆς Σουρωτῆς, στήν Συνοδεία αὐτήν τῆς Γερόντισσας Φιλοθέης, ἀνήκουν τά Ἅγια Λείψανα τοῦ Ὁσίου Ἀρσενίου τοῦ Καππαδόκη, καθώς τά δικαιώματα τῆς ἐπανεκδόσεως τῶν δύο βιβλίων πού ἔγραψα: "Ὁ Πατήρ Ἀρσένιος ὁ Καππαδόκης" καί "Ὁ Γέρων Χατζη-Γεώργης ὁ Ἀθωνίτης".

2ον Τό ἴδιο Ἡσυχαστήριον τοῦ Εὐαγγελιστοῦ Ἰωάννου τῆς Σουρωτῆς, ἔχει τό δικαίωμα νά ἐκδώση ὅσα ἀνέκδοτα τετράδια ἔχω, ὅπως ἐπιστολές ἔγραψα κατά καιρούς, ὅπως σημειώσεις πού μάζευσαν οἱ ἀδελφές ἀπό συνάξεις πού κάναμε. Ὅλα γενικῶς αὐτά τά ἀνέκδοτα ἀπό τό 1967 μέχρι τώρα τό 1988 καί μέχρι θανάτου μου, Μόνον ἡ Συνοδεία τῆς Γερόντισσας Φιλοθέης πού μένη στό Ἱερό Ἡσυχαστήριο τοῦ Εὐαγγελιστοῦ Ἰωάννου τῆς Σουρωτῆς

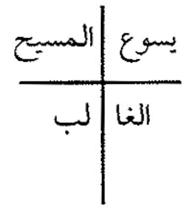
ἔχει τὰ ἄχνα δικαιώματα ποὺ ἀνέφερα.
Οἱ ἄλλοι ἀδελφοὶ ποὺ ἔχουν φύγει ἀπὸ
Ἀλεξανδρινόδοξη μὲ τὸν Παπα-Πολύκαρπο,
δὲν ἔχουν δικαιώματα, διότι δὲν μονά-
χικαν τὴν συμβουλή μου, καὶ ὅπως φαίνεται
δὲν βοηθήθηκαν ἀπ' ὅλα αὐτά, ποὺ χρειαζό-
σα ὁλόκληρα χρόνια. Διαυτὰ ἐγὼ τοὺς
ζητῶ εὔχομαι μόνον, νὰ τοὺς βοηθήσει
ὁ Χριστός. Ἀμήν.

Σήμερον γιορτὴ τῆς Ὑπαπαντῆς τοῦ Χριστοῦ
ἐνώπιον τῶν Πατέρων ποὺ ὑπογράφουν
καὶ τὴν ἄρρητη Παρουσία τοῦ Χριστοῦ,
γράφω, καὶ ἐλέγχω τὴν ἐπιστολή μου αὐτὴν
καὶ παρακαλῶ νὰ εἶναι σεβαστή, καὶ νὰ
τηρηθοῦν αὐτὰ ποὺ ἀναφέρω, καὶ εὔχο-
μαι νὰ ἀξιωθῶ τὴν καλὴν ἀναφορὰ τὴν
ἡμέρα τῆς κρίσεως τοῦ Θεοῦ, καὶ τὴν Αἰώνιον
Βασιλεία τοῦ Χριστοῦ. Ἀμήν.

Μὲ πολλὴ ἀγάπη Χριστοῦ μοναχὸς Παΐσιος

Ἅγιον Ὄρος Παναγούδα κελλὶ Κουτλουμουσιανὸ

Οἱ Μάρτυρες Πατέρες
Α΄ Ἱερομόναχος Παΐσιος
Β΄ Ἱερομόναχος Ἀρσένιος
Γ΄ Μοναχὸς Ἠλίας



هذه الرسالة هي بمثابة «صك»

أُرسلها الى دير القديس يوحنا الإنجيلي - سوروتي.

في هذا اليوم، الموافق الثاني من شهر شباط ١٩٨٨، عيد دخول المسيح الى الهيكل، ارتأيتُ أنه من الأحسن أن أكتب هذه الرسالة لرئيسة دير القديس يوحنا الإنجيلي بسوروتي ولراهباتها ليحتفظن بها بمثابة صكّ، كَوني لا أعرف متى سأموت، ولا أودّ أن تُخلَق مشاكل بعد مماتي:

١- إن بقايا القديس ارسانيوس الكبادوكي، وحقوق إعادة طبع كتابيَّ: سيرة القديس ارسانيوس الكبادوكي والحاج جرجي الآثوسي، اللذين كتبتهما بيدي، هي ملك دير القديس يوحنا الإنجيلي الذي يسكنّ فيه الرئيسة فيلوثاي مع راهباتها.

٢- إن كلّ الرسائل التي كتبتها بيدي على دفاتر وأرسلتها من حين الى آخر الى الدير المذكور، وكلّ ما سجّلته الأخوات من مواضيع أثناء الإجتماعات عند حضوري إلى الدير، أُعطي حقوق طبعه لهنّ. وبالتالي إن كلّ ما لم يُطبَع ويُنشَر من تاريخ ١٩٦٧ الى تاريخ الآن ١٩٨٨، وحتى مماتي ليس لأحد الحق أن يطبعه سوى راهبات الرئيسة فيلوثاي اللواتي بقين في دير الرسول الإنجيلي المذكور.

أما الأخوات الأخرويات اللواتي تركن الدير وذهبن الى مدينة إكسندرُبولي مع الأب بوليكربوس فليس لهن حق في ما ذكرته سابقاً، لأنهنّ لم يقبلن نصيحتي، وكما يبدو لم ينتفعن شيئاً من نصائحي طوال السنين التي كنت

أقدّم لهنّ الإرشادات. وبسبب ذلك، فإني من الآن وصاعداً أكتفي بالدعاء لهنّ حتى يساعدهنّ المسيح. آمين.

بناء على ذلك، أرسل في هذا اليوم، عيد دخول المسيح الى الهيكل، وبحضور الآباء الذين وقّعوا كشهودٍ هذا الصكّ، هذه الرسالة، إلى الدير المذكور، آملاً أن يقدّرنها ويحافظن على ما جاء فيها. كما إني أتمنى أن يقبلهنّ الله يوم الدينونة قبولاً حسناً، ويحظَين بملكوت المسيح الأبدي. آمين.

بمحبة المسيح

الراهب بابيسيوس

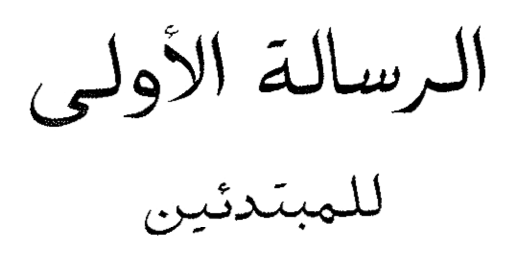
جبل آثوس – قلاية ميلاد العذراء.

الآباء الشاهدون:

١) الأب بابيسيوس الكاهن.

٢) الاب أرسانيوس الكاهن.

٣) الراهب أشعيا.


الرسالة الأولى
للمبتدئين



يسوع	المسيح
الغا	لب

قلاية الصليب الكريم

١٩/٣/١٩٧٣

إلى الأخت بالرب والأم «فيلوثاي». باركي.

كتبت هذه الرسالة، على دفترٍ خصّيصاً لشبّانٍ في أثينا يطلبون مني المساعدة بإلحاح، كي يتمكنوا من الإنخراط في الرهبانية. هؤلاء الشبّان صادفوا الكثير من الصعوبات من جراء المناخ العالمي السيء، الذي يعيشون فيه، وبسبب معتقد أهلهم الدنيوي أيضا. وقد زادهم أذىً بعض الآباء الروحيين الرهبان، العديمي الخبرة الرهبانية، والمتسلحين بأفكار بروتستانتية غريبة تطبق في بعض الأديار الحديثة، البعيدة عن التقليد، في أيامنا الحاضرة. وقد عدلت عن إرسالها إليهم، لئلا أجعل من قلايتي في منطقة «كابسلا» KAPSALA مركزاً سياحياً روحياً.

هممتُ بإحراق هذه الرسالة، لكنني تأسفتُ عليها، إذ كنت قد أمضيتُ ثلاثة أيام في كتابتها؛ ورأيت أن بعض مواضيعها مفيد للأخوات في جهادِهنَّ اليومي.

لذلك أعتقد، أيتها الأم فيلوثاي، أنك ستدركين قصدي، ولن تسيئي فهمي وجهدي في الأمرِ الذي أقوم به الآن، في إزالتي بعض الغبار عن الأشياء، لأنه كان من واجبي أن أبرز ماهية الأرثوذكسية، ليفطن اولئك الضالّون ويَرْثوا لحالِهم، ويخجلوا ويكفّوا عن التكلّم عن الرهبنة بغباوة.

السلام

أخوكِ الراهب باييسيوس

يسوع	المسيح
الغا	لب

الاسبوع الاوّل
من الصوم الاربعيني المقدّس لعام ١٩٧٣

«المجد للآب والابن والروح القدس»

قبل أن تبدأ يدي الريفية في الكتابة، من المستحسن أن أسألَ العفوَ عن تجرئي على الكتابة، أنا الأُمي، وغير الخبير باللغة اليونانية، من جميع القراء المؤمنين. ربّما ما أقوم به، يُظهر فيّ شيئاً يجري بعكس ما هو، لكن للأسف لست أعلم السبب. إنما فكري يقول لي: إنني أكتب توجعاً لحالة الرهبان المبتدئين. إذاً من أين لي أن أعلمَ إن كان الدافع للكتابة عائداً لأنانيتي الكبيرة الدفينة فيّ، والتي يستحيل عليّ وحدي أن أكتشفها؟ لذا، أرجو منكم، أن تسألوا لي الرحمة من الله، إن كانت أنانيتي هي الحافز.

إنه لحقٌ أن أهتم وأتوجّع من أجل الرهبان المبتدئين؛ لأني تعبتُ كثيراً كمبتدئ، حتى وجدتُ «من تشتهيه نفسي». إن كثرة آثامي هي التي أساءت إليّ، فعانيت ما عانيت. وزد على ذلك فظاظتي التي كان يكتشفها كل من يصادفني. أشكر الله كثيراً على كل هذه الأمور التي كانت سبباً لفائدتي الكبيرة. فهذه الضربات، فضلاً عن أنها أزالت الصدأ عن إنساني العتيق وأعطتني خبرةً، فقد ليّنتْ قلبي المتحجر؛ فبتّ أصلّي بتوجّع من أجل المبتدئين، كي يجدوا الظروفَ الملائمة لوضعهم وتبعاً لموهبتهم.

إحدى العلل الرئيسية التي يعاني منها المبتدئون هي عدم وجود

آباء روحيين ملائمين لمساعدتهم - والحقيقة أن معظمنا، للأسف، مسنّون، إنما لسنا شيوخاً - وهذا ما يجعل المبتدئ، الذي تكون معاييره صبيانية، أن يخطئ الهدف. أي، إن المبتدئ يتأثر فوراً عند رؤيته راهباً نحيلاً لظنّه أنه كثير التقشف، وإذ يراه ذا لحية طويلة بيضاء، يظنّه جزيلَ الوقار، فيُسلّم له نفسه على أساس كل هذه الاعتبارات، وهكذا يُقاد معوّجاً بعد أن يكون قد انطلق حسناً، ونجا من بحر العالم الهائج ووصل الى الميناء. ولكونه لا يحسن التمييز فكثيراً ما يركب سفناً مختلفة يغرق بها، أو يسلم نفسه لقبطانٍ خالٍ من الخبرة فيغرّقه في لجة الحياة.

أرجو منكم العفوَ عمّا أنطق به من القباحة، وعن كل كلامٍ قاسٍ تصادفونه فيما بعد. كما إني أطلب العفو عن كل ما أنطق به ويبدو خالياً من التمييز؛ لانه ليس من السهل أن يرى الإنسان عيوبه بنفسه، بل عادة ما يراها الآخرون فيه بأكثر وضوح.

أيضاً أودّ أن تصلّوا من أجلي، كي يرحمني الله، فأتمكنُ من تطبيق بعض ما سأقول، الذي ألقّنه عن معرفة ولكن بدون خبرة عمل. أملي بالله أن يمنحني القوة كي أبدأ هذه الخبرة، لأني، للأسف، ما زلت في مرتبة المسنين لا الشيوخ ولكن رجائي بالله راسخ، إذ العديد من معارفي يصلون من أجلي الى الله السميع المحسن الذي يساعدني حتماً بصلواتهم.

رسالة الراهب

قبل أن أكشف خبراتي البسيطة للرهبان المبتدئين، من المستحسن أن أُسدي إليهم بعض النصائح التي تساعدهم، خاصة

وهم بعد يعيشون في العالم لسبب او لآخر، لأنّ مثل هذه النصائح الصغيرة تقوّيهم في كل تقدّم حسن يُحرزونه في مسيرتهم الرهبانية.

إن الموضوع الأساسي للمبتدئ الذي ما زال بعد في العالم، هو أن يجد أباً روحياً يأنس للرهبنة. وذلك، لأن أكثرية الآباء الروحيين في عصرنا الحاضر يحاربون الرهبان ويعارضون الرهبنة بشتّى الطرق، ويتبجّحون بعملهم الإجتماعي متسلحين بباسيلية القديس باسيليوس الكبير وبمن حذا حذوه في الباسيليات[١].

لا أُريد أن أذكر حياة القديس باسيليوس الكبير قبل إنشائه الباسيليات؛ إنما اسمحوا لي فقط أن أُعرب عن رأيي سائلاً: «ماذا يفعل باسيليوس الكبير العظيم لو كان حياً في عصرنا؟» لا شك أنّه لآثر العيش مجدداً في كوخ ماسكاً بمسبحته؛ إذا شاهد شعلة المحبة (التي كانت تنشب من الباسيليات، والآباء القديسين الآخرين) منتشرة في كل مكان، ولتشمل لا المؤمنين فقط بل وغير المؤمنين أيضاً الذين يؤلّفون سوية حقل «العناية الاجتماعية» التي تعتني، بالإضافة إلى أفراد المجتمع، بأعضاء «الجمعيات الإنسانية الروحية» بإظهارهم فقط «مصدّقة فقر حال». وبإيجاز، فإن مصلحة الخدمة الإجتماعية تنادي كل يوم:

«أيها الآباء الذين في عصرنا الحاضر، أوكلوا الخدمة الإنسانية إلينا نحن المدنيّين، إذ لا نستطيع القيام بأمر آخر، وأمّا أنتم فانصرفوا للاهتمام بالروحيات».

ولكن للأسف، فإن بعض الاكليريكيين لا يكتفون بعدم تطبيق ما سبق ذكره، لأنهم لم يفهموا حسناً، بل الأسوأ من ذلك هو أنهم

(١) أي المؤسسات الإنسانية التي أنشأها القديس.

يتصدّون للذين يفهمون هذا الأمر ويودّون تكريس ذواتهم كلياً للمسيح ويشعرون برغبة قوية في الزهد في العالم. أي أنّ راهباً مبتدئاً لا يكفيه ما يسمعه من الشعب، بل عليه أن يسمع أيضاً تفاهات الإكليريكيين الذين يطالبون الرهبان عن حماقة، بترك البرية والذهاب الى العالم للاهتمام بأعمال الخدمة الاجتماعية!

حسن أن أذكر بعضاً من الأكاليل التي يحبكونها لهم قائلين عنهم: إنهم «تنابل، إنفراديون، جبناء، الخ...» إذ يحسبون ذواتهم أبطالاً في جهادهم وسط المجتمع الخاطئ ويعتبرون الرهبان جبناء لهربهم من العالم بغية خلاص نفوسهم فقط.

وما يُثير استغرابي هو عجزهم عن فهم رسالة الراهب الكبرى!!

إنّ الراهب يهرب بعيداً عن العالم، لا كرهاً بالعالم، بل حباً به. وبهذا الأسلوب، فإنّه بصلاته، سيساعد العالم أكثر في حل قضاياه التي لا تتم بتوسط بشري وإنما فقط بتدخل إلهي، وهكذا يخلّص الله العالم.

الراهب لا يقول إطلاقاً «أنا أخلّص العالم»، بل يصلي من أجل خلاص كل العالم وتالياً يصلي من أجل خلاص نفسه هو. وعندما يستجيب الله الصالح لصلاته ويساعد العالم، لا يقول الراهب «أنا خلّصت العالم» إنّما، «الله» هو المخلّص.

إذن بإيجاز فالرهبان هم الموظّفون في الجهاز اللاسلكي للكنيسة الأم. وبالتالي، إذا انطلقوا بعيداً عن العالم ينطلقون حباً به مبتعدين عن التشويش الدنيوي لكي يحصلوا على اتّصال أفضل، وليساعدوا العالم بما هو أحسن وأوفر.

بالطبع إنّ مطلب هؤلاء الإكليريكيين الذين لا يقبلون المنطق كما

ذكرت، ويطلبون أن ينزل الرهبان الى العالم، لأمر يعاني منه بعض الجنود الحمقى أيضاً، فهم إذ يشاهدون أن فرقتهم مهدّدة بالخطر، يلحّون على موظف اللاسلكي أن يترك جهازه ويحمل البارودة. (فتخيّل كم سينقذ الفرقة المؤلّفة من مائتي جندي إذا أُضيف إليها مسلح واحد). بينما يبحّ صوت العامل على اللاسلكي بالإتصال صارخاً: «الى الأمام الى الأمام يا نفس... الخ» والآخرون يعتقدون أنّه يطلق أصواتاً في الهواء فقط.

أمّا الحاذقون من العاملين على اللاسلكي، فإنّهم ولو شُتموا، فهم يواصلون جهادهم غير آبهين، لكي يتمكّنوا من الإتصال، فيطلبون المساعدة مباشرة من الرائد العام (النفس). وهكذا تأتيهم القوات الكبرى الجويّة والبريّة والبحريّة بأساطيلها المدرّعة لتعضدهم وبهذا الأسلوب، وليس بالبارودة، تحصل النجدة.

وعلى هذا الغرار فإن الرهبان من خلال صلواتهم، يتحركون بقوّات إلهية وليس بقوّتهم الفردية الواهية. وبالنظر الى عصرنا الحاضر، حيث يتفاقم الشر، فإننا بحاجة ماسة للتدخل الإلهي في حياتنا.

أما إذا اضطر الراهب أن يكون في العالم لقضاء حاجة ما، تتطلب وقتاً قصيراً أو طويلاً، فهنا يختلف الوضع لأنه عندئذ يساعد الآخرين بقوّته الروحية الخاصة -التي أنعم الله بها عليه. ومع ذلك فهو يعتبر عمله هذا ثانوياً، إذ عمله الأساسي هو الصلاة. وهذا ما يفعله أيضاً عندما يكون في قلايته مهتماً بعمله اليدوي، فإذا شاهد بجانبه أحداً يعاني، يهب لمساعدته بكل ما يملك. وإن زاره أحد أيضاً حاملاً مشكلة ما، فإنه يترك كل شيء ويحاول مساعدته بكل ما يستطيع.

بكلام آخر، فإن غاية الراهب ليست الإهتمام بأعمال كثيرة ولا بجمع الأموال الطائلة لمساعدة الفقراء - لأن هذا يعتبر انهياراً روحياً - إذ كان باستطاعته المساعدة بالطونات لا بالكيلوغرامات. لانه إذا حصل جفاف مثلاً، فإنه بصلواته يملأ خزانات العالم ماء.

هكذا الله «يقيم المسكين من التراب ويرفع الفقير من المزبلة» (١ ملوك ٨: ٢). ولا ننسى ماذا فعل بواسطة النبي إيليا.

إذاً، فالرهبان لا يتركون البرية للذهاب الى العالم لمساعدة فقير، ولا لافتقاد مريض في المستشفى، ليقدّموا له برتقالة أو أية تعزية أخرى. إن هذا ما يفعله عادة عامة الشعب (وسيطالبهم الله عن مثل هذه الاعمال). أما الرهبان فيصلّون من أجل جميع المرضى كي يُمنحوا صحة مضاعفة فيرأف الله الصالح بجبلته ويساعد الناس كي تتحسن أحوالهم فيساعدوا بدورهم الآخرين، عاملين كمسيحيين حسني العبادة.

إن الرهبان لا يزدرون حتى بالأسرى لأنهم أنفسهم أسرى طوعاً من جراء تفانيهم لمحسنهم ومخلصهم، الذي يغدق بسخاء محبته على أبنائه المتفانين، أي الرهبان، الذين ولو سكنوا الحصن (الدير) فإن حضور المسيح ومحبته تحوله الى فردوس، وهذا الفرح الفردوسي الذي يشعر به الرهبان، فإنهم يصلون ويتضرعون الى المسيح لكي يمنحه لجميع إخوتنا المأسورين، القائمين داخل سجون العالم. وهكذا تتحرك أحشاء الله المحسن بدافع محبة أبنائه المحسنين. فيوزّع التعزية على نفوس الأسرى وكثيراً ما يحرّرهم من أسرهم.

بالإضافة الى هؤلاء الأسرى، فإن الرهبان يساعدون مأسورين آخرين أُسروا أسراً صعباً وأبدياً، لا لعشرة أو عشرين سنة فقط.

ونعني بهم إخوتنا السابق رقادهم الذين يزورهم الرهبان بطريقتهم الخاصة ويقدّمون لهم مرطبات روحية كثيرة. إن الله الصالح يساعد الراقدين كثيراً ويزوّد، إلى جانب ذلك، الرهبان بإحساس من الفرح لا ينطق به، يؤتيهم به بعد صلاتهم المتحرّقة على إخوتهم الراقدين، وكأنه يقول لهم: «لا تتضايقوا، يا أولادي، لقد أعنت الراقدين أيضاً».

رُبَّ سائل: «هل ينبغي أن نتضرع لكي يأتينا الله بالعون؟». حتماً يجب أن نتضرع لأن الله تتحرك أحشاؤه إذا توجّعنا من أجل قريبنا سائلين العون، عندها يتدخل الرب، له المجد، دون أن يخرق حرية الإنسان. هنا يرى المرء صدق الله وسموّ روحانيته العظمى إذ يلغي اقتدار الشرير من المعارضة. يريدنا أن نتوسل إليه كي يتدخل، ويود أن يتدخل فوراً ليساعد جبلته. بالطبع إن أراد الله تحجيم الشيطان كالكبكوب وطرحه في جهنم لفعل، لكنه، سبحانه تعالى، يتركه من أجل خيرنا، لأنه بضربته الشريرة لنا يزيل عنا كل الغبار.

إن في كل ما ذكرت هنا وما سآتي على ذكره فيما بعد، أود أن أشدد على رسالة الراهب الكبرى التي تفوق أهميتها فعل المحبة البشرية. لأن الإنسان قبل أن يصبح راهباً من المفترض عليه أن يكون قد طبق فعل المحبة ووزّع أملاكه كلّها كما قال المسيح للشاب (متى ١٩ : ٢١)، وسلّم ذاته الى المسيح (أبيه الغني). هكذا يصبح الآن ابناً له (كراهب عديم القنية) فينال نصيباً في ميراث الله. وإن احتاج فإنّه يسأل أباه الرحيم ما يشاء فيغدق أبوه عليه رحمته بسخاء. اللهم إن كان ذلك لا يؤذي أولاده التعساء.

وبالإضافة الى ما يسمعه المبتدئ من بعض رجال الإكليروس،

الذين يحاولون إبعاده عن عظمة رسالة الرهبنة، فإنه يسمع أيضاً الكثير الكثير من الشعب، مثلاً ما لا يليق قوله: (طبعاً لا من أشخاص ذوي فضل) إن الراهب عنصر مائت لانه لم يخلف له أولاداً. . .

إني لا أُؤثر الدخول في تفاصيل مع أولئك الذين يقولون ذلك إن كان لديهم أولاد أو لا، لأن الأولاد هم إحدى غايات الزواج، ومنهم تأخذ حياة الوالدين معنى. أما الراهب فرسالته هي «رسالة أخرى»، البتولية.

بودي الآن أن أسأل الذين عندهم أولاد: «ترى هل يساعدونهم كي يضمنوا لهم الفردوس أم يساعدونهم فقط مادياً؟» إن كان كذلك فإن الرهبان الذين يهتمون بخلاص نفوس البشر هم إذاً آباء ذوو حنان أكثر من الآباء بالجسد وأولادهم يفوقون عدد أولاد الآباء الكثيري التوليد. لأنهم يعتبرون مخلوقات الله كلَّها أولاداً وإخوةً لهم ويصلّون لأجلهم بتوجع كي نبلغ نحن، معشر البشر، الهدف المنشود، ألا وهو القرب من الله.

ولما كان من الصعب أن يفهم البعض الولادة الروحية التي يقوم بها الرهبان للبشر، سأذكر كيف أنهم يساهمون في إنجاب الأولاد جسدياً بينما هم متبتلون بأفكارهم، لأنهم عندما يحصلون على الدالة الإلهية يحلّون عقر العديد من الأمهات سواء أكان ذلك في حياتهم أو بعد رقادهم. بالتالي، فإن الرهبان، وحتى في مماتهم، إن كانوا قديسين - يهبون العاقرات ثمر البطن.

طبعاً، إن الرهبان لا يساعِدون من على المنبر بكرازتهم بالإنجيل فيستنير بكلامهم الصغار والكبار؛ وإنما الرهبان يعيشون الإنجيل،

وعيشه يبرز الطريقة الأكثر إيجابية للكرز، الذي يعطش الى مثله العالم، خاصة في يومنا الحاضر. لأن أغلب الناس في عصرنا أصبح متعلماً ويمكنه أن يتكلم بما تعلمه من حقائق كبرى علمية ولكنها لا تمت بصلة مع أغلب رواد المنبر المثقلين بالأحمال باستمرار على أكتافهم. أواه! يا للحسرة.

وباختصار القول، إن الرهبان ليسوا مجرَّدَ مصابيحَ صغيرةٍ تُضيءُ شوارع المدن كي لا يعثر البشر، بل هم المنارات القائمة على الصخور، التي تضيء من بعيد فتهتدي بنورها سفن العالم من أقصى لجج البحار لكي تبلغ الى مقاصدها.

لذا وجب على الأهل أيضاً أن لا يمنعوا أولادهم إذا دعاهم الله أن يصيروا رهباناً (أي لاسلكيّي الكنيسة)، لأن هذه الرسالة عظيمة جداً وأسمى بكثير مما يقدّمونه هم لله. فالشعب يذهب الى الكنيسة بصورة دائمة ويقدّم نذره شمعة صغيرة كانت أم كبيرة. أما الراهب فيسهر طوال الليل، بعد أن نذر نفسه بكليته للمسيح وبات يذوب محبة له، ممجداً وشاكراً إياه عن نفسه وعن جميع العالم.

إني أستغرب ما يفعله بعض الكهنة والشعب الذين يحاربون الرهبنة! لأنه، وكما أن جهاز المراسلات في الجيش يعتبر الشريان الحيوي لفرقة الجنود، فالرهبنة في الكنيسة لها ذات الاعتبار. أما أولئك البشر المباركون الذين يحاربون الرهبنة، فأودّ أن أعلم الى أية كنيسة ينتمون؟!

التهيئة في العالم

أيها الإخوة الأحباء، الذين تلقيتم دعوة شخصية من لدن المسيح للإنخراط في الطغمة الملائكية[1] (لاسلكي الكنيسة)، حاولوا، ما دمتم تعيشون بعد في العالم[2]، أن تجدوا، قبل كل شيء، أباً روحياً محباً للرهبنة، يساعدكم ويتتبّع نموكم الروحي. أما عند الضرورة، فمن الأفضل أن يكون هذا أباً روحياً متزوجاً محباً للرهبنة، على أن يكون أباً روحياً من المتبتلين الذين يحاربون الرهبنة. أيضاً، ما دمتم بعد في العالم انتبهوا الى ما سأذكره، بالإضافة الى ما قلته سابقاً عن هذا الامر:

١- للحفاظ على عفة الجسد والنفس

من الأفضل لك أن تختلط بأولاد أصغر منك سناً، يكونون ملائكة صغار، من أن تقيم علاقات مع من هم أكبر منك سناً ولكنهم أشرار.

من الأفضل لك أن تعيش غريباً عن المحيط العالمي فتكون قريباً من الله، من أن تعاشر المحيط الدنيوي خوفاً من أن يعتبروك إنطوائياً، فتمسي غريباً عن الله دون أن تدري.

من الأنسب أن تُعتبر أيضاً أبلهاً من قبل النساء (أو عن الشابة من قبل الصبيان) بسبب حكمتك وطهارتك واهتمامك الروحي وأن تحمل الصليب الثقيل - لأن هذا الصليب الثقيل يخفي طيه كل قوة وحكمة الله - فتغدو عندئذ أكثر قوة من شمشون وأكثر حكمة من سليمان الحكيم.

(١) أي الحياة الرهبانية
(٢) أي خارج الدير

من الأحسن أثناء سيرك، أن تردد صلاة يسوع وألا تنظر يمنة أو يسرة حتى ولو أساء فهمك الأقرباء الأخصاء متذرعين بأنك تزدريهم بصمتك، من أن تكون فضولياً فتتأذى ويُساء فهمك من قبل الناس الذين لا يفكرون إلا بالشر.

من الأفضل لك آلاف المرات أن تخرج من بين البشر، على غرار حيوان برّي، بعد الصلاة في الكنيسة للحفاظ على حكمتك الروحية وما جنيته من خشوع أثناء صلاتك، من أن تجلس محدّقاً الى فرو الشابات (أو الى أربطة العنق بالنسبة للشابة) فتتدنَّس بالروح من جراء نخزة في قلبك قد يسببها لك العدو.

من الأوفق لك، عندما لا يكون لديك عمل ولا تستطيع أن تستفيد روحياً من وقتك، أن تذهب الى حظيرة الخنازير وتقتدي بهم. وبعد أن تتمرغ في الوحول معهم، تعود الى بيتك وتغسل وتبدل ثيابك متنعماً براحة الإستحمام، من أن تنخدع وتذهب الى مكان اللهو فتنزلق نفسك وتتمرغ بوحل الملذات وترجع الى بيتك مكروباً ومنقبض القلب كأنه قد أطبق عليه في الجحيم.

من الأفضل لك أن تذهب الى قن الدجاج وتتعلم إيقاع قَوْقِ الدجاج من أن تنخدع وتزور جيرانك لتحدِّث النسوة بالروحيات (أو عن الشابة، الرجال). لأنه مهما بدا هذا العمل نافعاً روحياً، فإنه من فخاخ العدو. لذا من الأفضل للشبان الذين يريدون التبتل أن يهربوا من النساء هربهم من الشرير (كذلك للشابات أن يهربوا من الصبيان). وإني على يقين أن المسيح لن يسيء فهمهم، لأن تصرفهم هذا إن دلّ على ضعف يتناسب مع أعمارهم، إنما يبقى أنسب بكثير من أن يخاطروا فيؤكلوا من الماعز كالشُجيرات ويمسوا بلا فائدة.

من الأفضل للشاب، عندما يكون جسده خصباً أو رخواً، أن يجاهد بقسوة فيكتسب رجولية، من أن يكون جسده غير المنضبط أو الرخو - من جراء طبيعته الأنثوية الطرية أي المشحونة بالطواف الانثوية الرخوة - سبباً لإصابته بجرح من الجراح.

أرجو منك يا أخي أن تعتبر كلماتي القاسية هذه ضرورية شأن السياج الشائك، الذي يحمي شجيراتك الروحية ريثما ترتفع أغصانك الصغيرة، لأن الكنيسة الأم تتوقع ثمارك.

وهكذا إن انتبهت لنفسك الآن، فغداً، بالإضافة إلى ثمارك، سيغدو ظلك الظليل مقراً بارداً تستضيف تحته ليس الأغنام فقط بل ما كان تعيساً من الماعز أيضاً؛ التي لا تعود تؤذيك تعاستها أبداً بنعمة الله، بل تصير مساعداً لها.

حاول، ما دُمْتَ في العالم أن تلقى شيئاً من المساعدة من عملك ومحيطك، لكي تُعطى لك فرصة تساعد فيها نفسك في جهادك، فتدخل البيت بهدوء وتركيز أفضل، ويغدو جهادك أخف.

٢- التأمل في الكتب الروحية

للتركيز على الذات عامة، خاصة في الصلاة، ومن أجل تقوية نفسك فإن قراءة العهد الجديد ضرورية مع الكتب المساعدة للآباء القديسين.

لا تبدأ بقراءة العهد القديم لئلا تتضرر وذلك لأنك لست بعد بحالة روحية جيدة، وسوف تسيء فهمه. بينما إذا طالعته بعدما تبلغ اللاهوى فإن كل ما يحتوي من حوادث سيساعدك ويؤثر فيك. إن قراءة سنكسار القديسين تساعدك كثيراً، وكتاب الآباء الشيوخ، «وآفريتينوس» بجملته، والسلم الى الله، والحرب اللامنظورة،

والقديس آفرام مع «اللافسايكو»[1]. حسن أيضاً أن تقرأ القديس اسحق لأنه، وإن كان للمتقدمين روحياً، فهو يساعد المبتدئين لإدراك معنى الحياة بعمقها ولطرد كل أنواع التعقيد إن وجدت.

كل الكتب الآبائية إن طالعتها تدفئ نفسك وتساعدك كثيراً في جهادك لتماثل القديسين. والى جانب ذلك تكسبك تواضعاً كبيراً إن قارنت نفسك بالقديسين. إن هذا بالطبع سوف يزيل عنك كل شعور زائف، كنت قد اكتسبته سابقاً، حملك على اعتبار نفسك قديساً بمقارنة ذاتك بالخنافس (الهيبيين...) وغيرهم، لأن الله وحده يعرف قلوب البشر، أما نحن فنحكم بحسب الظاهر (يو ٢٤: ٧).

لا تلمس بيديك المجلات القذرة ولا تتركها مطروحة في غرفتك. لأنه إن جازت بك ريح الشباب يوماً ودفعك العدو على أخذها بيديك، فلا يكفي أنك ستنجرح، بل ستلقى الشيطان ساخراً بك على الدوام.

أيضاً، إن شئت أن تحافظ على سكينتك، لا تقرأ كتباً ومطبوعات ثورية تتحدث عن أُمور كنسية، لأن مواضيع خطيرة مثل هذه ليست من صلاحيتك. أنت بحاجة لكتب تساعدك على التوبة. وإن شئت مساعدة الكنيسة فأصلح نفسك وعلى الفور يُقوَّم جزء من الكنيسة. ولو فعل جميعنا ذلك لاصطلحت الكنيسة بأسرها.

لذا اقتصر بجهدك على قراءة الكتب الآبائية، التي ذكرت، وتجنّب كل ما هو مُحلًّى ومملّح من الكتب المعاصرة ذوات العناوين

١- كتاب سير النساك الكبار

العريضة لإثارة الإهتمامات الروحية، لأنها كتب لا يجتني أحدنا من قراءتها سوى التعب. ونكون كالبقرة التي معلفها مملوءٌ تبناً فهي تتعب كل النهار في المضغ والإجترار لكنها لا تدُرُّ كوباً واحداً من الحليب.

قبل أن تبدأ قراءتك الآبائية، صلِّ ولو دقيقتين لكي ينير الله ذهنك فتفهم المعاني الإلهية. وإن كان الوقت غير كاف لإتمام قراءتك فلا ضرورة للإسراع لإنهاء الرأس (الفصل)، لأن غاية القراءة لا تتوقف على عدد الرؤوس (الفصول) ولكن لكي يبقى شيء ممّا قرأناه في ذهننا.

أيضاً لا يفيدك أن تقتصر بالقراءة على الإستمتاع وتبقى في موقف المتعجبين من القديسين، لأن هذا يفعله أهل العالم حين يقرأون بلهفة مغامرات طرزان الجديدة ويسرون بها. أما هدفنا نحن من مطالعة الآباء فهو روحي وعلينا أن نضغط - شيئاً فشيئاً - على أنفسنا لنماثل في حياتنا جهاد الآباء القديسين. ولذا ينبغي أن نتشبه، أثناء مطالعتنا، بالبقرة التي تفضل البرسيم على التبن، وبعد أن تنتهي من تناوله تبدأ باجتراره، وهكذا تحول الطعام الى حليب.

عند قولي «أن يجترَّ الواحد ما طالعه»: لا أقصد أن يتأمل القشرة، كما يفعل بعض محبي الكلام الذين يفحصون جمال لون قشرة ثمرة البرتقال، ويقيسون بدقة مسام القشرة دون أن يعطوا أهمية للثمر نفسه، لكي يغتذوا بغزارة الفيتامينات الآبائية. أي إنهم لا يفحصون القديس من خلال حياته المقدسة وإنجازاته الإلهية لكي يلقوا العون منه، أو بالأحرى لا ينظرون الى أقواله، إنما يهتمون بأي تاريخ قالها أو إذا كانت لحية القديس بيضاء أو بلون السمك أو سوداء. هذا النوع من الإجترار للقراءات الروحية يشبه اجترار

البقرات العواقر التي لا تدر الحليب ولا تلد، إنها تزداد سمنة مشحونة بالسموم فيؤول بها ذلك الى القصّاب.

إسعَ قدر إمكانك، أن تؤمن جواً من السكينة في بيتك لأجل قراءاتك الروحية. وإن كان بالإمكان غرفة خاصة كي تشعر وكأنك في قلاية. لأن هذا سيساعدك كثيراً لإيجاد ذاتك بشكل ما، ويمنحك الى جانب ذلك طاقات روحية تتخطى بها كل أنواع الصعوبات بهدوء ودونها عصبية.

٣- تهيئة الأهل والأخوة

ينبغي بالإضافة الى كل استعداداتك، أن تهيء أهلك شيئاً فشيئاً وأن تكشف لهم هدفك الإلهي (أنك ستصبح راهباً) لئلا يُفاجأوا لاحقاً ويدخلوا في أفكار ومتاهات كثيرة. لأن مفاجأتك لهم بالخبر ربما تؤذي صحتهم، إن كانوا يشكون من مرض ما، فيسببوا مشاكل للدير. لذا حاول قدر استطاعتك أن تحل كل مشاكلك الدنيوية في العالم لتكون مستعداً للدخول الى الدير، فترتبط بشركة الأخوة متمماً صلاة السبحة بهدوء.

حاول أن تهيء أهلك مكلّماً إياهم بلغة يمكنهم فهمها من أن تكلمهم بلغة الإنجيل والآباء (إن كانوا يجهلونها أو لا يريدون فهمها) لئلا يشتموا الآباء القديسين فيخطئوا وتكون أنت السبب.

لتكن عيناك منتبهتين أثناء إقامتك في العالم، خاصة عندما تعلن لأهلك بأنك ستترك العالم، لأنهم سيدفعون أشخاصاً لتعويقك بهدف تزويجك، لئلا تتركهم فيخسرونك من بينهم. (وكأن الذين يتزوجون يبقون بقربهم!)

لذا، يا أخي، اهرب بعيداً عن الحفلات وأمثالها وحتى العائلية

منها، فإن فيها الفخاخ. فإنك وإن وقعت فيها ولو مرة واحدة تكفيك العمر كله لتكون أسيراً لها. لأنها ستجرّك إليها دوماً. وإذا سألت أهلك بأسلوب ناعم إن كانوا راضين في حياتهم الدنيوية، فإنهم علاوة على أنهم يرغبون بها، سوف يجيبونك أنهم نادمون، ورغم ذلك يحاولون إشراك نفوساً دعاها الله للحياة الملائكية فيما هم يعيشون. والمستغرب أن بعض الأهل يستخدمون طرقاً شيطانية لتحقيق هدفهم هذا. تفهمون إذاً جيداً الى أي حد سيجعل هؤلاء الأهل أولادهم تعساء بالإضافة الى الخطيئة التي يسبّبونها لأنفسهم.

لذا اهرب بعيداً عن الحفلات وما شاكلها... لأن أية صلة تربطنا بهذه الأمور؟! فإننا لا مع أفراحهم ولا مع أتراحهم ننسجم. فهم يواجهونها بعكس ما نواجهها نحن، إذن، ما شأننا وشأنهم؟

وبالإجمال اهرب من كل ما يذكّرك (ولو قليلاً) بإنسانك القديم، إن كنت تريد العافية لنفسك ولجسدك لأنها ستكون ضرورية لك في الدير الذي ستقصد غداً. واعلم أن كل جرح تلقّيته عن عدم انتباهك في العالم، صغيراً كان أم كبيراً، سيؤخرك في الدير؛ وبالتالي ستحتاج الى طبيب روحي خبير ليتتبّعك، وطبيعي أنك ستتحمل ما ستتعرض له من تغيّرات في مسيرتك في الدير.

٤- واجبات عائلية

في حال كنت تريد أن تصبح راهباً، وكان لديك أهل مرضى أو عجزة لا معيل لهم أو إخوة صغار أو أخوات غير متزوجات، انتبه ألا تذهب الى الدير وتتركهم قبل طلب المشورة، لأنك أنت أيضاً سوف تعاني من ضميرك، وأنت في الدير، وربما الذين لا معيل لهم.

خاصة إن كنت بطبيعتك شديد الحساسية، لا تنطلق الى الرهبنة قبل طلب المشورة لأن العدو سوف يحاربك بما يفوق حساسيتك، لكي يجعلك أشد رهافة ويقضي عليك (فيسبب لك كآبة، أو جنوناً، أو ما هو أسوأ من ذلك والله الساتر!). لكنّك عندما تطلب المشورة، بالإضافة إلى أنك لن تتألم أبداً فستتبعك صلاة أبيك الروحي وأدعيته الذي سيهتم بتدبير أمور عائلتك كلها متخذاً المسؤولية على عاتقه. أما إذا لم تطلب المشورة وذهبت الى الدير مؤمناً أن الله كليُّ القدرة يمكنه أن يدبر كل عوائق عائلتك، فهذا حسن، والله تعالى وإن كان لك عشرة أخوات عذارى سيدبر أمورهم حسناً بيوم واحد. بيد أننا لا نعلم إن كان ذهابنا نابعاً من عظم إيماننا بالله أو من دافع ذاتي بقصد تدبير أنفسنا كأفراد بينما في العمق تنقصنا المحبة الى حد كبير. أما إذا كان هناك حاجة ماسة لإعالتك وعنايتك كما ذكرتُ، وإذا كان إيمانك ليس كبيراً، فلا تقم بأمور تفوق طاقتك، بل امكث بهدوء وساعد عائلتك ما داموا بحاجة الى حضورك وتمّم الأمور الروحية بتفان، لأن ما تقوم به، مهما كان قليلاً، هو كبير بنظر الله ولن يحرمك نعمته، مقدِّراً ما تقدم للآخرين من محبة وأنت تعاني ما تعانيه في وسط غريب عنك.

يجب أن تعلم يا أخي، أن الله عادل جداً وأنه لن يظلمك أبداً سواء تأخرت في دخولك الى الدير، إذ هو يدفعك بيده الإلهية لتصعد سلم الفضائل درجتين درجتين، إذا لم تستطع دخوله إطلاقاً بداعي واجباتك المعذورة فيهيء لك عوضاً عنه مسكناً من أفضل مساكنه الفردوسية. لذا ساعد عائلتك في هذه الحال بفرح وسلام. ولا تتذمر على الآخرين، معتبراً إياهم عائقاً لك. لا يفيد يا أخي إن كنت يوماً تقدم لهم الخبز صافياً ويوماً آخر تغمسه بالسم. فما

أذنب أحد إلينا؛ وربما تكون هذه العوائق لخيرنا لنصبح على استعداد أفضل. لأن حالنا الروحية غير الناضجة هي السبب لبقاء هذه الواجبات العائلية على كواهلنا.

لذا، مجّد الله وكن في سلام واستعدّ بقدر استطاعتك وعلى الوجه الأفضل واعتبر نفسك من الداخل مبتدئاً في الرهبنة وجاهد بهدوء قدر استطاعتك.

إن كان لديك أخوات غير متزوجات انتبه ألا تتذمر، واحذر أن تقول لهن أنك باق في العالم بسببهن، بل قل لهن إنك لست بعد متهيئاً، لأن تلك المسكينات ستضطرن على الزواج بأي سبيل ليطلقن سبيلك. وهذا ما سيكون استعباداً لهن وعذاباً دائماً لضميرك وضبطاً لنفسك في سجن القلق. وإن اضطررت للبقاء إلى جانب أهلك العجزة وأصرّوا هم عليك بالزواج، في حين أنك تميل الى الرهبنة، إحذر أن تنثني لطلبهم لئلا تمسي حياتك في الشقاء.

لا تحزن يا أخي إن هم بكوا مرة واحدة لأنهم سيجعلونك تعيساً تحيا حياة ما رغبت فيها. وبالإضافة الى أنه سيعاني معك الشخص الآخر[1] الذي لم يذنب إليك أبداً وستبكي أنت أيضاً طوال العمر.

ليس ذلك مستبشعاً، بحسب ظني، بالنسبة لأولئك الأهل الذين يصرّون على زواج أولادهم كرهاً ولا يحسبون حساباً لدعوتهم الى الطغمة الملائكية من قبل الله، أن يأخذهم أحد ويقفل عليهم داخل دير منعزل خاص ويجبرهم وهم في شيخوختهم أن يلتزموا، ولو لفترة قليلة، بنظام البتولية النسكي من صوم وسهر وصلاة. هذا سيفيدهم كثيراً لكي يتعلموا فيما بعد احترام حرية الإنسان،

(١) الطرف الآخر في الزواج

التي احترمها الله نفسه، ويتمكنوا من مساعدة أولادهم وفقاً للدعوة التي منحها إياهم الله نفسه ويرفضوا ما يؤول بأولادهم الى العذاب.

كذلك ينبغي أن يُفرض هذا القانون نفسه على بعض الأمهات اللواتي ينذرن أولادهن منذ الصغر للدير، خاصة عندما يجدن حياة الرهبنة شاقة عليهم، ويجعلن أولادهن يعيشون حياة عذاب سواء ذهبوا الى الدير أم لم يذهبوا وتزوجوا. (في هذه الحال يؤنبهم ضميرهم إن كانوا حساسين).

من الطبيعي أن تعذر بعض الأمهات اللواتي عندما يمرض أحد أولادهن، يفقدن صوابهن كأمهات، ومن شدة آلامهن ينذرنه ليكون راهباً. أعتقد أن الله الصالح لن يطالب بمثل هذه النذور. وأن الأولاد ينبغي ألا يؤنبهم ضميرهم حينما يصبحون كباراً، ويرون أنهم لا يستطيعون أن يصبحوا رهباناً. فليتزوج هؤلاء ولينشئوا عائلة وليعيشوا بقدر استطاعتهم بقرب المسيح. وينبغي على الأم ألا تحزن بداعي النذر لأن الله عرف ألمها في تلك اللحظة. أما الأمهات اللواتي يجب الإغلاق عليهن في برج مع بعض الخبز اليابس هنَّ اللواتي تدفعهن أنانيتهن الأنثوية الى الإفتخار أمام النساء الآخريات المتعبدات والتباهي بأن أحد أبنائهن إكليريكي، هؤلاء ضغطن على أولادهن ليصبحوا أرشمندريتيين دون التفكير إذا كانت طبيعة الولد قابلة للبتولية أم لا. (بالطبع هذه حالات نادرة). أما الولد، فإن كان محباً للتفاني، فيجاهد بصلابة الفولاذ ويكلل بأكاليل الشهادة من قبل المسيح. وأما إذا لم يكن متفانياً - الله الساتر - سيسيء الى نفسه والى الكنيسة.

إذاً فموضوع البتولية لا تحدده الأم ولكن تساعد أولادها على

التبتل منذ صغرهم. وعندما يكبر الأولاد، يجب على الأهل بالاكثر أن يساعدوا ويشجعوا الذين بينهم يريدون التبتل ليصبحوا رهباناً فيما بعد ويحققوا دعوة الله لهم؛ وهكذا ينال مثل هؤلاء الأهل شرفاً وكرامة عظيمين.

ترك العالم

عندما تأتي تلك الساعة المباركة لتزهد بالعالم وتصير راهباً، تفحص أولاً نفسك إن كان قلبك كله فيك وتملكه أنت، أو كان أحد قد أخذ جزءاً منه. إن كان كذلك، فلا تتشجع البتة، يا أخي، على الذهاب الى الدير قبل أن تجمع قلبك كله وإلا ستفشل. وإن كان قلبك مرتبطاً عاطفياً ولو واحد بالألف، فالعدو سوف يعد لك مشاغل، إذ يثبت قاعدته على هذا الجزء الصغير، الواحد بالألف من قلبك، وسيحاربك بصورة دائمة تارة بالجسد وطوراً بالأفكار. والأسوأ من ذلك، أنه سيمتلك قلبك كلياً بعد أن تكون قد صرت راهباً. وحينئذ ينطبق عليك المثل القائل «أمامك اللجة وخلفك الوادي».

إن الحرب الجسدية وحدها لا تُعتبر عائقاً يمنع الطالب من الرهبنة. يكفي أن لا يكون قد شُغف بموضوع الزواج وقتاً ما، وإن كان قد سبق له وشغف بهذا الموضوع، فيكفي أن يكون قد قطع حبله وجمع قلبه بأكمله.

إن كان أحد تتلقى نفسه حرباً كبيرة من الجسد بسبب طبيعتها الحيوية، فعليه حتماً أن يضاعف جهاده لكي يضبطها. ولا ريب في أن الذي يجاهد كثيراً سينال أجراً عظيماً من الله شرط أن يجاهد

بتواضع في ما يتممه من صوم وسهر وصلاة، وعندها يساعده الله تعالى دوماً وينضح على الفور النفس بعطر اللاهوى والسكينة مع كل محبته وحنانه على أبنائه المجاهدين نظراً لإتمامهم وصاياه والتماسهم الخلاص.

كي تبقى أنت في الدير بسلام، وحتى تغمر أهلك كل بركات الله في الدهر الحاضر وفي الآتي، هناك موضوع هام آخر يجب أن تفطن له: بعد أن تأخذ بركة أبيك الروحي، وقبل انطلاقك الى الرهبنة عليك أن تسلّم أهلك لله مع جميع أمورهم، لأن الثقة المطلقة بالله هي صلاة مستمرة من أجلهم. وبالتالي لا داعي للتفكير بهم ولا حتى للصلاة من أجلهم لأنك سلّمت كل شيء لله مع نفسك.

فإن فعلت ذلك يا أخي، سيسهل عليك جداً أن تكتسب المحبة العامة التي هي لله. وبعدما تتحرر من محبتك الضيقة لعائلتك الصغيرة، تصبح شيئاً فشيئاً ابناً للعائلة الكبيرة التي هي الكنيسة وستحصل على المحبة العامة الواسعة فتبدأ بالتالي في محبّة جميع البشر على السواء، وتعبّر للبعض عن محبتك بالفرح وللبعض الآخر بالألم، ويصير الكل عندك أخوة، لأننا جميعاً أبناء حواء (العائلة الكبرى لآدم-الله). حينئذ ستردد في صلاتك: «يا إلهي، ساعد أولاً الذين هم بحاجة ماسة من إخوتنا، سواء أكانوا أحياء أم أموات». وسيتوزع قلبك على العالم كله، وأنت لن تعود تملك شيئاً سوى المحبة الكبرى، التي هي المسيح.

١- اختيار الدير

ولطالما أنك انطلقت بسلام الى الرهبنة وتركت بلدك، انتبه ألا تتحمس مباشرة ويجذبك الذي تريك إياه عيناك في أول دير تزوره،

فترهب على الفور.

إبحث أولاً عن الأديار المتميزة روحياً وكن على صلة بآباء روحيين لتسترشدهم. وبعد أن تختار اثنين أو ثلاثة من بين الأفضل روحياً، وتزور تلك الأديار كزائر وتسجل انطباعك عن كل منها، إفحص بعدئذ أيّاً منها يتميز بمؤهلات روحية أفضل وادخل إليه وترهب فيه. إحتفظ بسجل انطباعاتك عن الأديار التي زرتها حتى ترى أنك قد ثبتَّ جيداً، لأنه من المحتمل أن يذكرك العدو بالأديار الأخرى لكي يخرجك من ديرك ويجعلك مع الدوارين، وليكن في حوزتك ما سترد على العدو، بما سجلته، مفضلاً ديرك على الأديار الأخرى.

بهذه الطريقة - كزائر بسيط أولاً - تفتّش، الى أن تجد المكان الذي يريحك والنهج الموافق لك في الحياة الرهبانية، إما في دير شركة أو في كوخ هدوئي، أو في قلاية[١]... ولما قلت «كوخ هدوئي» لا أقصد مثل تلك التي في العالم، إنما تلك التي في الجبل المقدس حيث يسكن ناسكان أو ثلاثة في كل كوخ وأغلبية هذه الأكواخ ليست فيها كنيسة.

أما الأكواخ الهدوئية التي في العالم فهي في الجوهر أديار شركة، إلا أن بعضاً منها جعلها رؤساء الكهنة أدياراً هدوئية مستقلة لحمايتها من تدخل الأسياد عبر الزمن، الذين يشبهون الحمّى بتصرفهم، فيسببون لهذه الاديار مشاكل جمّة بينما ينصب على هؤلاء المباركين العديد من القضايا. أي إن هذه «الايسخستيريا»[٢] هي أديار شركة في الحقيقة وإنما بعرفها القانوني فهي هدوئية وذلك منعاً لتدخل

(١) القلاية كناية عن دير صغير فيه كنيسة يسكن فيه رئيس مع أخوية صغيرة ويعيشون حياة شركة صغيرة.
(٢) الدير الهدوئي

الأساقفة في شؤونها.

عند اختيارك للدير - إن كنت ممن يتعرضون للمرض بسرعة - انتبه لقضية المناخ. إن الأديار الشمالية المشمسة هي دوماً صحية وكذلك الأماكن القليلة الخضرة. وحيثما تجد أماكن مشمسة وتربة فيها صخور بيضاء بينها أشجار سنديان كبيرة وصغيرة تكون قد وجدت أماكن صحيّة ومياهها كذلك. وحيث التربة السوداء وشجر القطلب فهناك الرطوبة إلا إذا كان الدير مبنيًا على منحدر ومعرَّضا للشمس. إن الوديان شبه المشمسة وإن كانت أشجارها صنوبراً يبقى مناخها رطبًا. وأيضًا حيث أشجار الكستناء فهناك رطوبة شديدة إلا إذا كان الدير مبنيًا على منحدر ومعرضًا للشمس وأشجاره غير حرجية وكثة.

من الطبيعي أن ينتبه الواحد الى مناخ الدير، إذا كان سريع التعرض للمرض ويفتقر الى فضيلة نكران الذات، وذلك لئلا يتذمر فيما بعد أو يضطر للذهاب الى دير آخر. أما إذا لم ينتبه للقضية منذ البدء ووجد أن المناخ ليس عاطلاً الى حد كبير، يُفضل أن يسلك طريق الاعتدال في نسكه لئلا يبلي الأغطية على سريره ويبلي الآخرون أحذيتهم من جراء تفقدهم إياه، وبالإضافة الى ذلك يحزن الآخرون ويتضايقون على هذا الإسراف.

إن أخطأت الهدف يا أخي، وترهبت في دير مناخه قليل أو شديد الرطوبة، فإنه سيؤذي جسدك على الأقل. أما ما يجب أن تتوخاه أوّلاً فهو مناخ الدير الروحي، إذ ينبغي أن يكون صحيًا لئلا تتأذى نفسك، وعلى الأخص إن كنت أنت نوعًا ما مريضًا روحيًا. ولا أقصد بذلك الضعف الجسدي، وإنما الضعف العقلي أيضًا. أي عندما تكون طبيعة الإنسان منحرفة تفكر دومًا بالشر وتنظر حتى الى

الأمور النقية بنظرة شريرة - وإن كان أهل العالم يعتقدون أن في ذلك نباهة ودهاء - والناس المرضى بالروح لأن أفكارهم شيطانية يكونون بحاجة ماسة الى محيط مقدس لكي يتقدسوا. إنهم بحاجة الى طعام دسم لكي ينموا روحيًا. أما الأحداث الذين لا شر فيهم وهم أصحاء بالروح فإنهم، من جرّاء بساطتهم الروحية الطفولية ورغم كل فقرهم الروحي (تواضعهم)، يشبهون أولاد الفقراء المغمورين عافية، الذين إذا أكلوا الخبز الجاف حولوه الى دم.

لذا انتبه جيدًا للمناخ الروحي ما دُمْتَ ضعيفاً بالروح وكذلك انتبه لأبيك الروحي وخذه كطبيب شافٍ لك.

إسعَ بقدر استطاعتك:

أ- أن يكون أبوك الروحي إنسانًا روحيًا، مزينًا بالفضائل عمليًا، على أن يكون معلماً فقط. حسن أن يكون قبطانًا «نوتياً»، وذلك لكي لا يطبق على أكتاف غريبة كل قوانين الهيمنة التي تعلمها بالدراسة، أن يكون بطبيعته ذا محبة كبيرة مملحة بملح التمييز ليشارك آلام أبنائه ولا يرسلهم الى الفردوس مباشرة على طريقة ديوكليتيانوس[1]. إن الأب الروحي يجب أن يكون شديد القسوة فقط على نفسه وذا محبة كبرى للآخرين، محبة غير كاذبة مع تمييز كثير، لأنه، إن فقد التمييز سوف يسيء بمحبته الى أولاده على غرار محبة عالي الكاهن (ملوك ١ : ٢)، وبالتالي يحل غضب الله عليه وعلى أبنائه.

إنه مفيد جدًّا للتلميذ أن يكون أبوه الروحي أكبر منه سنًّا بثماني عشرة سنة أو عشرين سنة على الأقل، لأن هذا يولد في نفس الإبن الروحي شعورًا طبيعيًا نحو أبيه الروحي.

(١) مضطهد الشهداء.

ب- على الأب الروحي أن يعيش حياة بسيطة خالية من الإهتمامات والمشاغل الدنيوية التافهة، وألا ينظر الى منفعته الذاتية، أي أن يكون متحررًا روحيًا وأن يتطلع الى ما يوافق ابنه الروحي وبالإجمال الى ما يوافق كنيستنا الأم جمعاء. هذا طبعًا سيساعد الابن الروحي كثيرًا، كي لا يصغي أبدًا الى فكره الذي يحدثه بالذهاب إلى العالم من أجل خلاص نفوسهم، بل أن تكون له الثقة بأبيه الروحي الذي، إذا رأى فيه ما يستحق إلى الخروج، يرسله هو ببركته لكي يساعد العالم.

ج- أن يكون الأب الروحي محبًا للهدوء والصلاة، لكي يرتبط وإياك مع الله بالصلاة وتجد الفرح الحقيقي للتعزية الإلهية، لأن هذه الحلاوة السماوية هي التي ستضبط ذهنك وقلبك وتفصلهما عن العالم وتسوقهما الى السماء. وإذا لم يشعر الراهب داخل قلايته شعورًا قويًا بحلاوة التعزية الإلهية بملاطفات الله وحضوره، وإذا لم يشعر أن والدة الاله هي أمٌ له في قلايته يخاطبها كطفل صغير تارة بشكواه وطورًا بأفراحه، فبماذا سيمتاز الرهبان عندئذ عن الأولاد التعساء في «بيت اللقيط»؟[1]

لذا فالميزات السابق ذكرها عند الأب الروحي ضرورية ليساعدك، خاصة في البداية كي لا تتذكر الأفراح الدنيوية المزيفة، ويتسع بالتالي فراغك الداخلي.

وكثيرًا ما يساعد عندما يكون الدير بعيدًا عن العالم وعن الأماكن الأثرية وعن الضجيج الدنيوي. كما أن الأديار الكبرى التي يقصدها الزوّار غالبًا ما تبتعد عن هدفها الحقيقي فيؤول بها ذلك الى

(١) Βρεφοκομειου

مؤسسات ومشاريع عمرانية. وهذا هو السبب الذي أدّى الى أن يضع بعض الأساقفة أيديهم على تلك الأديار. وهذا حق للأساقفة، لأن الرهبان يجب أن يفضلوا على ذلك محبة عدم القنية التي تعهدوا أمام الله بأن يحفظوها. لكن للأسف، بدل من أن يكتفوا بالضروريات البسيطة، سواء لما يحتاجونه هم أو ما يحتاجه الدير - كي لا يضطروا الى قبول العطايا من الناس، بل أن يحثوهم على مساعدة الإخوة الفقراء الذين يعانون من الفاقة - ماذا يفعلون؟ إنهم يجمعون أيضًا حتى من تعب الفقراء ويملأون الدير بالقناديل والأجراس معتقدين أن الله يُمجّد بهذا الشكل.

إنتبه يا أخي، ألا تجذبك هذه الأمور التي ذكرت، ولا تغرنك اللياقة العالمية التي ستلاقيها أو المحبة العالمية أو التسهيلات الدنيوية التي سوف يقدمونها لك، ولا تتأثر بأي نظام دنيوي داخل الدير لأن ذلك سيأتي عليك بتشويش كبير.

إعتبر كل ما هو دنيوي في الدير شركاً[1] يؤول بك شيئًا فشيئًا الى الهمّ والقلق. فإنك ستكون مقيماً في الدير ولكنك لن تتمكن من التمتع بهذه الدنيويات كما تشاء، وبالتالي ستبقى معانياً روحياً.

وإن أُعطيت لك الفرصة لذلك، لازداد أيضًا الفراغ فيك اتساعًا وغدوت خاليًا من المسيح، ولن تجد داخل فراغك الكبير ذاك سوى القلق الذي يعاني منه كبار الأثرياء.

مَن مِن الناس يشك أنه لو توفرت له كل التسهيلات العصرية لقام في الدير بواجباته بأسهل ما يكون؟ فلو كان لكل راهب أمٌّ لتهتم به لتوفرت له طبعًا إحدى التسهيلات. وإن وضعوا في

(١) فخًا.

الكنيسة آلة تسجيل لتلقي على آذانهم الصلوات لكان هذا أيضًا ما يؤمن لهم الراحة. ومن الأكيد لو كان للناسك آلة صغيرة لتدير له المسبحة فقط، وشخص من القش يقوم مقام ناسك يخرّ على الأرض ساجداً وينهض متمماً له المطانيات والمسابح، لاكتفى بفراش ناعم يستريح عليه جسمه المنهوك. نعم الوسائل تريح الجسد أما النفس فتجعلها خالية وتعيسة بالإضافة الى ما تشحنها بالمشاعر الأنثوية والقلق والهم الدنيوي.

لذا يا أخي، فبما أنك انطلقت بحسن نية لما هو أسمى، انتبه لئلا ينتهي بك المطاف الى ما تركته وهربت منه من العالم. لا تنسَ لأي سبب تركت العالم. وليكن دأبك الحياة الأسمى حتى يكون لمغادرتك ولحياتك كراهب معنى وفحوى. وإلا فأسفي على ما صرفته، كي لا أقول أسفي على ما سببته من الحزن لأهلك لأنهم سينالون أجرهم من الله.

وثمة موضوع آخر ذو أهمية كبرى، وهو أن تحترس من أن تكون دوافع محبتك لأبيك الروحي دوافع مرضية، بل ليكن حبًّا نقيًّا نزيهًا. أي لا تتأثر جدًّا إن كان من بلدك ولا تتأثر فقط بلحيته إذا كانت طويلة ويتوقف احترامك له إذا كانت كلها بيضاء، وتعتبره ناسكًا مجاهدًا إن كانت قامته نحيلة (يمكن أن يكون نحيلاً بطبيعته)، وتصبح تلميذًا له إذا كان يحمل شهرة واسعة. إن هذا لمرض روحي عضال خاصة إذا كان طالب الرهبنة كبير السن وأفكاره ليست كأفكار ولد صغير (بسيطة).

يا أختي، إن كنتِ طالبة رهبنة، تفحَّصي أنت نفسك ربما تأثرت بالأم الروحية لثقافتها العالية، أو لحسن جمالها، أو لبعض صفات رجولية في شخصيتها. إن هذا كله لدليل مرض روحي في بعض

النفوس التي تحتاج الى مساعدة لتتنقى من السموم الروحية حتى لا يكون إنتاجهم في البرية إنتاجًا دنيويًّا.

٢- الرهبنة والتفكير العالمي:

ينبغي علينا نحن الرهبان جميعًا أن نتجنب بقدر الإمكان، الوسائل العصرية في تدبير أُمور الدير وأن نحترم البرية مكيفين ذواتنا بها، لكي تهبنا قدسية سكينتها، فنتمكن من إزالة الأهواء من نفوسنا. ليس صحيحًا أن نتوخى تكييف البرية بوضعنا العالمي لأن إهانة البرية خطيئة.

من شاء من الرهبان «المتفرنجين»، يمكنه أن يبني ديرًا فوق إحدى البنايات، فتتوفر له كل تسهيلات العالم التي يريد ويتمتع بالأضواء ويصعد الى السماء الثالثة بالمصعد الكهربائي وليترك البرية على هدوئها.

لكن بعضًا من أمثال هؤلاء الرهبان - للأسف - المشحونين بفكر العالم ينقلون الى البرية كل روحهم العالمي، بكل ما في الدنيا من وسائل مهتمين دومًا بتغيرات وتعديلات، واستنباط أشكال تجميلية خارجية من قرميد ومزهريات لا تحصى وإذا سألتهم عن المسبحة لا يعرفون ما هي، لأن جلّ اهتمامهم هو بالأكل الطيب والقرميد. كل هذا يُظهر الناس الماديين الذين باتوا جبلة من الطين والقرميد وليسوا نفخة من روح الله (لا أقصد هنا الأديار المبنية حديثًا حيث يجاهد رهبانها لتأمين مسكن لهم).

وعندما لا يجد الراهب عملاً روحيًّا ولا يلقى مساعدة من أبيه الروحي بل يهتم بكل ما هو من الخارج فحتماً سيستوحش روحيًّا ولا يستطيع الجلوس في قلايته ولو قُيِّد. وسيروق له الإتصال دومًا

بالناس لكي يزورهم، مُحدِّثًا إياهم عن قبة الكنيسة ومعالم الآثار ومُرياً إياهم أحواض الزهور ومُجهِّزًا لهم غذاء فخماً ومؤمّنًا الراحة لبشر لا تهمهم سوى الأمور البشرية الخارجية. فإن فحص أحدنا فحوى هذه الراحة لوجد أنها ليست راحة بل مجرد اهتمامات تلهيهم قليلاً عن أحزانهم ثم لم يلبثوا أن يعودوا الى القلق لأن الفكر العالمي هو كالدودة الناخرة.

إذاً فهدف الأديار هو روحي وينبغي أن لا يكون فيه أي شيءٍ دنيوياً بل سماويًا، لكي تستفيض النفوس حلاوات فردوسية. نحن لا يمكننا أن نتبارى في الدنيويات مع أهل العالم لأنهم يمتازون علينا بالوسائل، ومع ذلك يتوقعون منا نحن الرهبان شيئاً أسمى، لا نستطيع نحن تحقيقه إذا لم نتخلَّ عن كل تعزية بشرية. لأنه والحال هذه يستحيل علينا مذاقة التعزية الإلهية (الحلاوة الفردوسية) ما لم نهرب من مذاقة الدنيا ويمت فينا الفكر الدنيوي موتًا كليًا. وإذا مات ينبغي أن يصبح سمادًا لينمو فينا الفكر الإلهي، لأن الملذات الإلهية لا تتولد من الملذات الجسدانية وإنما من الأوجاع الجسدية التي يعاني منها المجاهدون بحب وتفان، لا بل بوعي وتمييز، كأبناء للمسيح خالعين عنهم الإنسان العتيق (الدنيوي). وبعد ذلك فإن الآب الصالح يغذي أبناءه هؤلاء، وهم ما يزالون على الأرض، بطعام فردوسي فيرتكضون فرحًا مترنّمين وقائلين: «اليوم يوم القيامة»، بعدما يكونوا قد اجتازوا، طبعًا، الصوم الأربعيني بالجهادات، والجمعة العظيمة على الصليب، ونهضوا روحياً ليتمتعوا الآن باستمرار بأسبوع التجديدات. أي إنهم لا يعيّدون القيامة مرة في السنة، إنما يعيّدون «الفصح، الذي هو فصح الرب»، على الدوام.

إن إلهنا الصالح جعل حياة الانسان حلوة جدًّا بمعناها الصحيح الروحي، بينما البعض جعلها جحيماً بتعاسته، لأنه لم يشأ أن يتخلى عن الفكر الدنيوي ليتمكن من مواجهة الأمور روحيًا، وهذا ما جعل حياتنا حلوة، بالمعنى الرديء، إذ بتنا لا نريد الموت أبدًا. وبقدر ما تمر السنون بقدر ما تزيد «الآهات» ويملأ الكرب والحزن نفوسنا قلقًا. وكثيرًا ما يؤول بنا هذا الأمر الى التمني بأن تبقى نفوسنا داخل أجسادنا التي بلغت مئة سنة في الضنك وباتت تعيش بالمصل، ورغم ذلك نقول: «إن الحياة حلوة» ونرتعش من الموت. بينما بالنسبة لإنسان قد مات عن العالم ونهض فلا يوجد في نفسه قلق وخوف وكرب على الإطلاق، لأنه يتنظر بفرح وحتى في ساعة الموت بالذات، إذ يؤمن بأنه سيذهب الى جوار المسيح وسيفرح هناك.

وبما أنه لا يزال يحيا في هذه الحياة الأرضية فهو يفرح لأنه أيضًا يحيا بقرب المسيح، ويشعر بقسم من الفرح الفردوسي على الأرض ويتساءل إن كان هناك في الفردوس فرح أسمى من الفرح الذي على الأرض.

هذه هي حلاوة الحياة بمعناها الحقيقي، وبالرغم من ذلك، فالرهبان الحقيقيون، الذين يدركون أن ما يتذوقونه في هذه الحياة هو جزء من الفرح الفردوسي وأن الفرح سيزيد في الفردوس، يريدون أن يعيشوا طويلاً على الأرض، من فرط محبتهم للقريب، ليساعدوا البشر بالصلاة من أجل أن يتدخل الله ويساعد العالم. فمغبوطون هؤلاء الرهبان الذين أطلب أن يرحمني الله بصلواتهم أيضًا، أنا التعيس. فقد كان بودي أن يؤهلنا الله جميعًا، نحن الرهبان الذين سلكنا السيرة الملائكية، أن نبلغ الى مستوى هؤلاء

الرهبان وأن نردد على الدوام ليل نهار: «المجد لك لأنني أحيا. المجد لك لأني سأموت»!

هذه هي الحياة الملائكية، التي يبدأ الرهبان بعيشها، رجالاً كانوا أم نساء، وهم على الأرض وذلك باعتناقهم الإسكيم الرهباني الملائكي، الذي من شأنه أن يحول الجنسين-الذكر والأُنثى-الى جناحين ملائكيين ويصعد النفوس بطهر المحبة الى العلى السامي فيزول عندها الفرق الجسدي ونردّد مع الرسول: «لا ذكر ولا أُنثى» (غلا ٣: ٢٨).

وهذه هي الحياة التي يحياها الرهبان على الأرض من الآن، والتي سيحياها أيضًا كل الذين يؤهلون للفردوس، حيث لا ذكر ولا أُنثى (غلا ٣: ٢٨).

وهذه هي الحياة التي يحياها الرهبان على الأرض من الآن، والتي سيحياها أيضا كل الذين يؤهلون للفردوس، حيث لا يُزوَّجون وإنما يكونون كالملائكة كما قال المسيح للصدوقيين (متى ٢٢: ٣٠).

لذا ينبغي علينا نحن الرهبان أن نشكر ليل نهار ونمجد الله لأجل هذا الشرف العظيم الذي شرّفنا به داعيًا إيانا للإنضمام الى طغمته الملائكية، ومانحًا لنا كل الإمكانيات الروحية لكي نصبح ملائكة؛ ابتداءً من هذه الحياة التي على الارض.

فكّر بهذه كلها، يا أخي المبتدئ! واسعَ لتفوز بالمشتهى ما دمت قد انطلقت جيدًا. انتبه الى كل ما ذكرت، لكي تبلغ النهاية بخير.

بالإضافة الى ما هو واجب أن يؤديه الشاب لله من شكر وحمد على عظم هذا الشرف الذي أهّله، كما ذكرت، ودعاه الى الإنضمام

الى الطغمة الملائكية، حسنٌ على الأهل أيضًا، إن كان بإمكانهم، تقدير هذا الشرف الذي استؤهلوا له من قبل الله تعالى الذي أراد أن ينشئ معهم قرابة.

بدء السيرة الرهبانية

يا أخي، بعد أن اخترت أفضل الأديار (او القلاية أو الكوخ الهدوئي) وبعد أن وجدت أفضل المؤهلات الروحية، وبتّ على يقين من أبيك الروحي، لم يبق عليك سوى أن تلقي المرساة، وتقدم مطانية كمبتدئ، وتباشر في اختبار نفسك الى جانب الذين يختبرونك.

إن كنت تبتغي وضع خط صحيح لتسير بسلام سيرًا روحيًا في سيرتك الرهبانية، ولئلا تتعب وتُتعب الآخرين، افتح قلبك لأبيك الروحي قبل كل شيء واعترف له اعترافًا شاملاً. اعتبر هذا يا أخي، عملاً ضروريًا لك، شأن كل مريض عند دخوله إلى المستشفى ليعرض أمره على الطبيب ويلقى المساعدة الفضلى. إنتبه ألا تخفي عليه أي مخطط قد تعتبره أنت روحيًا، لأنك ستشقى فيما بعد بسبب ما قد خططته، وستلقى نفسك خارج المخطط الإلهي مجاهدًا بقوّتك البشرية الواهية لا بالقدرات الإلهية.

إن كنت تريد أن يشملك الله في مخططه، فاتكل عليه في كل شيء واطرح كل المخططات جانبًا وتشبث بأكتاف أبيك الروحي، تشبث الولد الحكيم الهادئ، وكن مَدينًا له بفضله عليك إذ يحملك على أكتافه الى الفردوس، هناك بالقرب من الله، حيث سيؤدي حسابًا عنك أمامه تعالى.

وبالإضافة الى اعترافك الشامل، حسن أن تكشف له أفكارك اليومية الى أن تتثبت حالتك الصحية. إعتبر هذا ضروريًا أيضًا شأن المريض الذي يُعالَج كل يوم حتى تفارقه الحرارة وحمّاها.

١- الطاعة

بالحقيقة، في البداية، مرات كثيرة، لا يكفي أب روحي واحد ليضع راهباً مبتدئاً واحداً في قالب شأن المياه في القناة، هذا إن كان يتوخّى الأب الروحي بنيان تلميذه بعدما يعي مسؤوليته الكبرى تجاه نفس إبنه الروحي. لذا، يا أخي، ساعد أنت بدورك أباك الروحي في مشروع خلاص نفسك بطاعتك العمياء له.

وحتى لا يضنيك موضوع الطاعة وتنفر منه، عليك أن تفهم بعمق معنى الطاعة لكي تشعر بها كأية حاجة من الحاجات. عندئذ تكتفي بها لتنال الحرية، لأن الطاعة ليست عبودية إنما هي حرية. وعندما تدرك أن أباك الروحي هو الذي يحمل مسؤولية نفسك ويهتم بخلاصك ويفعل ما هو لخيرك وليس لتعذيبك، ستفرح إذا قال لك: «لا هذا» أو «لا ذاك» أو «اذهب الى هنا» أو «لا تذهب الى هناك»، لأنك آنئذ ستكون قد فهمت جيدًا أن كل ما يجري هو لخيرك، ولأنه هو يستدرك ما يداهمك من الشر بفضل ما اختبره من حوادث تخصه أو تخص غيره. عندها ستفرح إذا أطعت أو إن استشرت، لا بل لتمنيت أن لا تفعل شيئًا من رأسك[١] إن في أدق الأمور أو أصغرها لئلا تسقط في فخاخ العدو، لا بل احتراماً منك وإحساساً لطيفاً بأنك لا تبغي تعب أبيك الروحي[٢] ستفعل ما ينيرك به الله وقلبك سيكون كله مطيعًا وخاضعًا.

(١) أي من مشورتك الخاصة
(٢) بسبب عدم طاعتك له

للأسف إن سر الطاعة الكبير هذا الذي هو انعتاق، يخفيه العدو عن الإبن الروحي ويريه إياه بصورة معاكسة. وإذ يصدق الإبن الروحي بأنه مستعبدٌ يتألم كثيراً ويؤلم أيضًا أباه الروحي الذي يعجز آنذاك عن نحته كفنان ماهر. وعندئذ يبدو للإبن أن كل ما عند الأب من وسائل لنحته وتهذيبه، إنما هي آلات كتلك التي لتعذيب الشهداء. كما سينظر الى أبيه الروحي، في كثير من الأحيان، كنظره الى ديوكليتيانوس مخترع عذابات الشهداء.

وأيضًا، كثيرًا ما يتقبل الإبن الروحي انتهارات أبيه بفرح متوقعاً أنه ينال من الله إكليلين: إكليل بر وإكليل شهادة، لكن هذا الإعتقاد لا معنى له، لأنه هراء يمارسه الشيطان على الراهب للسخرية منه.

ما أحسن أن يفهم الإبن الروحي معنى الطاعة ويتحرر، فيسهل على الأب الروحي آنذاك النحت بحرية في نفس الابن! عندها يفرح الإثنان ويبتهجان، ويكون في وسطهما المسيح «حيث اجتمع إثنان أو ثلاثة» (متى ١٨ : ٢٠)، وإلا فيمكن أن يجتمع إثنان أو ثلاثة ويكون الشيطان في وسطهما.

وأثناء فترة اختبارك، فإن وجدت صعوبة في بعض الأحيان، تواضع أمام أبيك الروحي وأعرب له عن صعوبتك. وإذا تكرر ذلك، تواضع أيضًا؛ لأنه ربما يكون قد نسي، أو أنه يجس نبضك ويفحصك ليعرف قدرة احتمالك. وفي مثل هذه الظروف صلِّ لكي يقوّيك الله ويلهم أباك الروحي.

٢- العلاقات مع الغرباء ومع الإخوة.

إن إحدى القضايا الأكثر أهمية التي ينبغي أن تنتبه لها، خاصة

كمبتدئ، هي قضية الزوّار. فبالإضافة الى أنه يجب أن تهرب منهم، فعليك أيضاً أن تسأل أباك الروحي بتواضع أن تكون قلايتك بعيدة حتى عن جناح الضيافة في الدير، لكي تتمكن من نسيان العالم كله مع دنيوياته. وإذا أمكن، أن يضعك أبوك الروحي وسط الآباء المتقدّمين روحيًا، لكي تعاين باستمرار المجاهدين القدّيسين، لأن ما تقدمه لك القدوة الصالحة من مساعدة لا تقدمه لك كثرة المطالعة التي تقوم بها.

يجب أن تعلم أن المبتدئ (الشاب) هو كآلة تسجيل، يمكنه أن ينقل السيء والحسن الى ذهنه النقي. ويشبه المبتدئ أيضًا، آلة التصوير التي تلتقط أية إيقونة أو صورة تراها. فإن كانت الصورة رديئة، فسوف يمثّل له العدو أثناء النوم فيلماً غير لائق ويلوّثه به نظرًا لسنّه الفتي. لذا إسعَ أن تكون بعيدًا عن الضيوف وعن بيت الضيافة لكي تنسى كل العالميات ويتغير عالمك بما يأتيه العشق الإلهي من تحوّل روحي، ذلك العشق الذي سيشتعل في قلبك ويُحرق كل قذارة (فكر رديء) يرميها عليك الشيطان.

إنتبه ألا يخدعك فكرك وأنت ما زلت مبتدئًا فتقيم علاقات مع الضيوف، زاعماً أنك ستساعدهم. إنتبه، هذا دليل المرض. فإنك وإن لاحظت أنك تقتني هذه الفضيلة، يجب أن تعلم أن هذه الفضيلة مليئة بالسموم العالمية. وما عليك إلا الهرب من الزوار لكي تتنقى من السموم أنت أولا.

وإن كنت تشعر أحيانا بقليل من الحلاوة، فلا تعتقد أنك أحرزت ذلك بفضل جهاداتك الكبرى، لأن هذه هي قطعة شوكولاته يعطيها أب طيب لإبنه الصغير لكي يحلّيك بها، فتجاهد مغذيًا نفسك من حلويات الفردوس التي أراك الله إياها. أما فيما

بعد فلن يعطيك هدايا صغيرة، بل سيُفيض عليك بكل موهبته الكبرى المُحلّية على الدوام. وانتبه ألا يقول لك فكرك أيضًا إنك نلتها بفضل أعمالك، بل قل: هي من الله. أما أعمالنا نحن فهي خطايانا وفظاعة نكراننا لجميل المسيح المحسن إلينا. طبعًا، لا يخلو أحد منا نحن البشر من مثل هذه الخطايا وهذا النكران، ولذا ينبغي علينا، من الآن فصاعدًا، أن نقدم على الأقل توبتنا للمسيح عرفانًا بالجميل ولا ننفصل عنه.

إنه سيّء جداً، على ما أعتقد، أن ينتهي بنا المطاف أيضًا الى الجحيم بعد كل ما ضحّى به المسيح من أجلنا، وأن نجدد أحزانه تعالى. لذا، فإن ما سيردعنا عن فعل الخطيئة، لئلا نذهب الى الجحيم، هو ألا يكون خوفنا من نار جهنم بل تفانينا ومحبتنا الكبيرة للمسيح المحسن إلينا (تلك المحبة المشتعلة). بإيجاز يجب أن لا نذهب الى جهنم، تفانيًا منّا، كي لا نحزن المسيح.

علينا، يا أخي، أن ننتبه ولا ننفصل أبدًا عن المسيح، مواظبين على الإتصال به بواسطة الصلاة. وحسن جدًّا أن يسبق الإنتباه الصلاة لئلا يصير ما قاله داود النبي «لتصر صلاته معكوسة» (مز ١٠٨ : ٧).

إحذر من الأحاديث السخيفة أثناء خدمتك (في وقت العمل) وقبل بدء الصلاة أيضاً لتستطيع عند حلول وقت الصلاة أن تصلي، دون تشتت وبعصمة، لأنه من كثرة الكلام ينجم سوء الفهم. إن كنت تريد التكلم، فالمسيح يريد أن يكلمه أبناؤه بفرح. وإذا لم تكن هناك قداسة، فلا تركن حتى للأحاديث الروحية لأنها تبدأ روحية وتنتهي بالإدانة. وإن كان الآخرون يتناقشون وينتقدون ويدينون. . . يجب ألا يشغلك هذا، بل فكّر بخطاياك الخاصة

طالبًا رحمة الله بحديثك المتواصل معه: «يا ربي يسوع المسيح ارحمني».

ضع فيك دائماً أفكارًا حسنة عن الجميع، لأنه، إن كان الآخرون يدينون، فربما ليست فيهم خطايا أخرى سوى هذه، وهكذا تغدو خطيئتهم هذه سببًا كي يتواضعوا ويبكوا أمام الله فيتحدوا به. أما نحن، يا أخي، فعندنا خطايا كثيرة تكفينا للبكاء.

حسن أن تتجنب، بقدر استطاعتك، هذه الحسابات بالإضافة الى الفضولية، لأننا إذ نجمع نفاية من الأفكار، نتعب كثيرًا فيما بعد في سبيل إزالتها عنا. لتكن أفكارنا دائماً حسنة ولا نستضيف تلغرافات سيّئة في أذهاننا. إذا شئنا تنقية قلوبنا، فلتتحوّل الأجهزة السيئة في مشغلنا (قلبنا) الى أجهزة صالحة. وعندئذ ستصنع الذهب كؤوسًا مقدسة والأجراس المكسرة ثريّا، وحتى الأوراق القديمة المرمية ستصنع منها محارم ورقية ثمينة نظيفة. أما إذا كان القلب رديئًا، حتى الذهب الصافي سيبدو له برونزًا، وسيصنع منه إما قذائف وإما مدافع. لذا يجب أن يتنقى القلب وأن نهجس بأفكار حسنة نحو الجميع، وننبذ تلغرافات الشرير، لأنه «من القلب تخرج أفكار شريرة» (متى ١٥ : ١٩)، وأيضًا: «من فضيلة القلب يتكلم الفم» (متى ١٢ : ٣٤).

إذاً، عندما يتوقف الإنسان عن عمل الشرّ والتفكير به، يدنو منه لطف الله، فتأتيه براءة الأطفال متخللة نضوجه الروحي المزدان بالتمييز الإلهي، عندها يستطيع أن يعرف قلوب البشر ولا يستنتج استنتاجات بشرية. والأهم من ذلك، أنه إذا ميّز بين القديس والمجرم، اعتبر هذا الأخير الأثيم أفضل منه وأحبه بتوجع وصلّى من أجل خلاصه كأخيه، وابتهلَ من أجله لكي يتوب، مفتكراً أنه

ربما أمكنه أن يفعل ذنوبًا أكثر، إلا أنه جاهد واكتفى بالقليل منها. وهذا الإنسان يأخذ بعين الإعتبار الظروف التي نشأ فيها المجرم وما أثر عليه بالوراثة وكل ما حصل عليه من دوافع سيئة التي سيحسب الله العادل لها حسابًا. بالإضافة الى ذلك فإنه يؤنب نفسه لأنه ربما لم يتجاوب مع ما أعطاه الله من فرص مناسبة، فيصلي باتضاع وتوجع. وهكذا يساعده الله الصالح، ومعه يعين المجرم ويرحمه مضاعفًا نعمته على العبد الشكور. «نعما أيها العبد الصالح» (متى ٢٥ : ٢١).

للأسف، إن البعض منا، لكي لا نرى الأمور بالمنظار الإلهي، نجعل أنفسنا تعساء وعراة من النعم فنحزن الله بتعاستنا «ونضعه في موضع حرج». أي، إن أعطانا موهبة ما، نتكبر حالاً، والاسوأ أننا نجرح النفوس الأخرى بتصرفنا هذا. وإن لم يعطنا أية نعمة سيرى تعاستنا، وكأب صالح سيتألم بسببنا، لأنه غني جدًا ويود العطاء.

ما أحسن أن نعرف أنفسنا! وما أحسن أن يغدو التواضع حالة طبيعية فينا، فحينئذ سيجهزنا الله بهباته الإلهية ويمسي ناموسنا الروحي قوله: «من يرفع نفسه يتضع» (لوقا ١٤ : ١١). هكذا سنسير على الحضيض دوماً فلا نسقط وسنتقبل باستمرار نعمة الله، التي تعطى لزامًا للمتواضعين.

٣- أن نعطي القلاية حقَّها

حاول، قدر استطاعتك، بالإضافة الى قطع علاقتك مع الناس، أن تهرب من كل تعزية بشرية. أللهم إن شئت أن تشعر بالتعزية الإلهية التي لا يماثلها شيء مما عند البشر. لذا أحبب قلايتك،

خليتك، لأنها تساعدك على ضبط ذاتك، وبالتالي على صنع عسل الفضائل، التي ستحلّيك أكثر من العسل.

إن قلايتك ستساعدك على الإرتقاء الى العلاء بما سيتولد فيك من خشوع وبما ستضرم قلبك بالعشق الإلهي. إن قلايتك ستغدو بيتك الحبيب وبيت الله، حيث تتحرك بحرية وبساطة مثل الولد الصغير في بيت أبيه حيث يشعر بأمان أهله ووفرة حنانهم.

إذاً، فهو تعب جدير بالإستحقاق، أن نجعل قلايتنا شبيهة بكنيسة صغيرة مزيّنة بالإيقونات وبكل ما يساعدنا على أن نوقِّرها، فتمنحنا هي بدورها التقوى وتكون ذا قوة لتجذبنا إليها. وأكثر من ذلك، فهي تضبط فكرنا سواء في الصلاة أو أثناء واجباتنا الروحية عامة وتحيي همتنا لنتمّم بفرح كل ما نقوم به.

إنه من الطبيعي، أن نمضي أياماً لا نستطيع فيها، بسبب التعب أو المرض، أن نقوم بواجباتنا كلها كما ينبغي. ولكن من السيء أن نهملها كليًا، لأن العدو يحتل بهذا قسماً منا ويستحوذ على قلوبنا. في هذه الحالات، يجب أن نجاهد ولو قليلاً ونكون كالجنود الأوفياء، الذين يطلقون بعض الطلقات من الرشاش عندما لا يستطيعون أن يَشنُّوا هجومًا، فلا يعود يقترب العدو منهم. وعندما تتسنى لهم الفرصة فيما بعد يهجمون على العدو بأسلحة ثقيلة ويهزمونه.

٤- الإنتباه خارج القلاية

عندما تخرج يا أخي من قلايتك، تفطّن الى العدوّ المترصد ليهاجمك. والأسوأ من ذلك، فكونه شريراً، فإنه لن ينتهز الفرص وحسب، بل سيخلق هو نفسه أسبابًا يزجك بها وسط نيرانه ليجرحك.

تمثل أيضًا بالجندي الحريص الذي لا يتخلى عن رشاشه عندما يخرج من قاعدته. هكذا إفعل أنت، أمسك مسبحتك وكن في حرص، لكي لا يبدد العدو بسهوة منك صغيرة، ما جمعته بتعب كثير من الغنى في قلايتك.

لا تفارق المسبحة يدك، لأنها كالحبل الذي نشدّ به مرة واثنتين والى عشر مرات حتى تذوب في النهاية الزيوت الروحية فتدور «ماكنتنا» الروحية، أي الصلاة غير المنقطعة. وإذا دارت ماكنتك، إنتبه أن لا تتوقف عن شد الحبل، لئلا يقتدي بك الآخرون، بينما ماكنتهم لم تدر بعد (أي صلاتهم).

وإذا خرجت من قلايتك، تجنب كل سوء الى جانب الفضول، وليقتصر كلامك على عبارة «بارك» و«فليكن مبارَكًا» وعندها ستكون مبارَكًا من الله ومحبوبًا من الجميع ولن تقع في تجربة أبدًا، لأن الشيطان سيرمي سلاحه ويبقى مطروحًا ملزَمًا على احترامك رغم إرادته.

وإذا التقيت بأحد محبي الثرثرة، فلا تصرف وجهك عنه، بل تظاهر بأنك مستعجل وانصرف بمحبة. وقبل أن يتداركك، حسن أن تتنحّى عنه. لكن، إذا التقيت به لا تغادره بجفاء لئلا تجرحه. وإن سمعته يدين الآخرين قل له بمحبة: «يا أخي إياي بالأحرى يجب أن تدين، إياي أنا الشقي، وليس الآخرين الذين هم أفضل مني». وإياك أن توبخه، كبيرًا كان أم صغيرًا، لأن هذه سفاهة. وإياك أن تلومه، لأن الله سيمقتك أنت أيضًا، وفوق ذلك، فلن تلقى منه عونًا لتقطع عيوبك الكثيرة، وإنما سيتخلى ويرفع نعمته عنك فتصبح ثرثارًا أكثر ممن وبختَه. ويمكنك، إن شئت، أن لا تصغي إليه وأن تصلي باستمرار خلال ذلك الوقت القصير الذي

تصبر فيه من أجل أخيك لئلا ينجرح ما دام مريضاً روحيًا.

٥- الصلاة المستمرة ومعرفة ذاتنا

لكي تصلي بلا انقطاع إن شئت، فاتبع نهجًا بسيطًا إذا كنت من البسطاء وتعجز عن الولوج الى معنى الصلاة الحقيقي الذي يتكلم عنه، في كتاب الفيلوكاليا، الآباء القديسون الهدوئيون، وذلك لئلا تضل. هناك بعض الناس للأسف، لا ينسلخون من الإنسان القديم ولا ينزعونه عنهم، ولا يضعون التوبة والتواضع هدفًا، ولا يتخذوا النسك وسيلة مساعدة لتقديس النفس فيشعروا بخطيئتهم في العمق ويحسوا بحاجة ماسة الى رحمة الله ويصلوا بتوجع حلو قائلين: «يا ربي يسوع المسيح ارحمني»، ولكنهم يبتدئون بنسك جاف ملتمسين الملذات والأنوار الإلهية ومضاعفين عدد المسابح باستمرار، معتقدين أنهم يتقدسون بعدّهم المسابح التي يصلونها عدّاً حسابياً. هؤلاء بالطبع، لكي ينالوا مبتغاهم، يصنعون المقاعد اللازمة بكل دقة ويمارسون إحناء الرأس وحركة التنفس بكل حذافيرها كما كتب عنها في الفيلوكاليا الأبوان القديسان كالستوس وغريغوريوس - بيد أنّ هذه كلها وسائل مساعدة - ويزعمون أنهم بعدّهم المسابح قد قاربوا القديسين. وإذا صدّقوا أنفسهم يظنون أنهم قد تقدسوا فيأتي الشيطان (العدو) على الفور وينصب لهم شاشة التلفزيون ويأتيهم بالنبوءات الشيطانية بلا نهاية.

لذا يا أخي، لا تطلب شيئًا في صلاتك على الإطلاق سوى التوبة. لا الأنوار ولا العجائب ولا النبوءات، ولا المواهب، سوى التوبة. إن التوبة تجلب لك التواضع. والتواضع يجلب لك نعمة الله. والله سيشملك بنعمته ويهبك ما يلزم لخلاصك وكل ما تحتاج إليه لكي تساعد الآخرين.

يا أخي، إن الأُمور بسيطة جدًا ولا داعي لتعقيدها. وعلى هذا الغرار، سنشعر بضرورة الصلاة كحاجة ماسة لنا دون أن تكون عبئًا علينا. فنرددها أحيانًا كثيرة وقلبنا يكون في توجع لذيذ عند تلاوتنا إياها، وعندئذ يفيض المسيح تعزيته الطيبة داخلنا.

إن الصلاة لا تُتعِب بل تريح. تتعبنا فقط عندما لا نلج في معناها ولا نفهم قصد آبائنا القديسين منها. عندما نفهم حاجتنا لرحمة الله، دون أن نضغط على ذواتنا في الصلاة، فإن الحاجة لهذا الجوع سوف تجبرنا على فتح فمنا مثل الطفل للرضاعة. هكذا نشعر باطمئنان تام كما يطمئن الطفل في أحضان أمه ويتهلل فرحًا بنفس الوقت.

إننا نحن الرهبان، شأن اللاسلكيين، يجب أن نكون دومًا على اتصال بالله، وإن أمكن أن نكون «بحالة صفاء مستديمة» لنشعر بأمان أكثر حتى نكون مزوَّدين كل لحظة بقوى إلهية وافرة. طبعًا، إن العدو لا يستكين محاوِلاً إزعاجنا بشتى الطرق، بيد أننا نستطيع استغلاله بجعله عاملاً دون أجر يساعدنا في صلاتنا المستمرة. فمثلاً عندما يأتينا العدو بأفكار سيّئة أو بأفكار تجديف في الصلاة فلنقل للشيطان: «حسنًا ما فعلت لقد وخزتني إذ نسيتُ مسيحي». وإذا فعلنا ذلك، فإنه لا يبقى منتظرًا بل سيفر هارباً، لأنه ليس أبلهًا، كي يلبث عاملاً مجانًا لنا محسناً الى نفوسنا.

وإذا شئنا أيضًا أن نجاهد بدقة، فلنسجّل أهواءنا بالترتيب مبتدئين من الأكبر منها، ولنلتمس رحمة بتواضع لأي خطأ فعلناه خلال النهار كي نخلص مصلين هكذا: «يا ربي يسوع المسيح...». بهذه الطريقة تُقتلع أهواؤنا من جذورها. وعلاوة على ذلك نعتاد على الصلاة بصورتها الحسنة وليس بالسعي إليها ظاهريا فقط، مما يسبب فينا أحاسيس مزيّفة ويؤول بنا الى الضلال.

وعندما يبلغ الواحد منا، قبل كل شيء، الى معرفة نفسه ويشعر بعظم خطيئته مقابل إحسانات الله الكبرى، عندها ينشقّ قلبه - وإن كان كحجر الغرانيت - وتتفجر الدموع الحقيقية من تلقاء ذاتها، وتجري الصلاة دونها ضغط.

إنّ هذا يتم بفضل مثقب التواضع والتفاني اللذين يحفران في القلب بلا انقطاع، فتزداد الينابيع فيضانًا، وتلاطف يد الله بلا فتور إبنه المتفاني في العمل.

عندما تهتم لحالتك الخاطئة مجاهِدًا بدقة، حاول قبل كل شيء أن يكون عندك الرجاء الإلهي غير متزعزع لئلا يضيع منك. فالخطايا غير الجسدية مهما كانت، يمكنك أن تدقق بها أثناء فحص الذات لكي تجبر ذاتك على التواضع. أما الخطايا الجسدية فلا تدقق فيها أبدًا، معتبرًا نفسك زقًّا قذرًا مليئًا بالأوساخ. كذلك لا تصلي البتّة من أجل أشخاص كانت قد ربطتك وإياهم قصص جنسية؛ لأنه بالإضافة الى ما هو يعتبر وقاحة من قبلك - إذ إنك لم تتصالح تمامًا بعد مع الله - فالعدو سيلوثك بأفكار دنسة في النهار، وفي الليل سيريك ما لا يليق من الصور والخيالات لكي يوسخك أيضاً.

وإذا حدث لك شيء مثل هذا في النوم، فلا تفحصه البتة؛ وكذلك إذا تذكرت حدثًا من الأحداث العابرة في حياتك التي أنقذك الله منها وسترك ونجاك، كما ينجو الصوص من أظافر الباز (الصقر)، فلا تهتم له البتة لأنه يبتغي إهلاكك، وكما أن العدو أحيانا كثيرة يرمي قنبلة يدوية لقتل الجندي ولكن الله يحميه بجعله القنبلة لا تنفجِر، أما الجندي الأحمق، فبعد مرور فترة، يجلس ويتفحص القنبلة ويفككها، فتنفجر مبعثرة دماغ رأسه في الهواء، كذلك يمكن أن يحدث للشاب عندما يتفحص خطاياه الجسدية.

لذا إن وضعنا حدًّا لفضوليتنا نصمن أنفسنا الى حد بعيد.

٦- المطالعة الروحية

إقرأ بقدر استطاعتك حياة القديسين، الذين يركّزون على التوبة كي يساعدوك. لا تمسك كتب العقيدة لأنها ليست للمبتدئين. وحتى فيما بعد - إن كنت أُميًّا - لا تقرأها، لأنه، كما أن الأمّيّ يضل عند قراءته الفيلوكاليا إذ يفهمها على وجه مخالف، كذلك فإن كتب العقيدة يمكن أن تقوده الى ضلال آخر. فالضلالة التي يقع فيها إذا قرأ الفيلوكاليا تجعله يشعر بسكينة شيطانية يعتقد نفسه فيها أنه وصل الى درجة من التواضع أدنى قليلاً من القديس غريغوريوس السينائي. أما من خلال تفسيره الأمّي للعقيدة، علاوة على أنه سيمسي كوحش مرعب بعناده المخيف، فهو سيعتقد نفسه أنه القديس مرقس الافجاني النبيل أسقف أفسس.

بالطبع، إن قراءتك الكتب الروحية الموافقة لك أمر ينظر فيه أبوك الروحي، وفي هذا الموضوع لي رأي أعرضه ببساطة: إن قراءتك إصحاحاً واحداً من الإنجيل قبل كل شيء لضروري جداً لتقديس ذاتك وطرد كل الشرور، ومن ثم إقرأ الكتب الآبائية، لتتمكن من فهم الإنجيل لأنها كلّها سواقي صغيرة تنبع من الإنجيل. وعندما نتبع الجداول نصل الى النبع ولا نضل في الأودية كالبروتستانت. إن السنكسار[١] يساعد كثيرا، إذ نجد فيه أنواع الفيتامينات التي تحتاج اليها النفس أيضًا. فالسنكسار اليومي مفيد جدًا. وأيضاً السلم الى الله للقديس يوحنا، ضروري لكل راهب (النسخة الأصلية للرهبان). كذلك الآفريتينوس (كتاب الآباء الشيوخ)، اللافسايكو[٢]، كتاب المرج الروحي، القديس آفرام

(١) كتاب سير القديسين
(٢) اللافسايكو

السرياني، الحرب اللامنظورة، الفيلوكاليا (إن كنت مُثَقَّفًا)، ما عدا الجزء الرابع حول «الصلاة القلبية»، إذ يجب أن تكون ذا خبرة لتتمكن من فهمه، وهنا ثقافتك وحدها لا تكفيك (إلا إذا كان بجانبك مرشد روحي خبير وهذا ضروري جدًّا)، لأنه خطر كما ذكرت، أن يمزج الإنسان دموعه الرخيصة بدموع الآباء القديسين النفيسة فيضل، خاصة إن كان ممن يتميزون بأمزجة عاطفية.

نفس الخطر، لا بل خطر أكبر يسبّبون لأنفسهم أولئك الذين يقرأون القديس سمعان اللاهوتي الحديث، إذ، علاوة على خلط عواطفهم بمسألة الدموع ومسألة العشق الإلهي عند القديس فإنّهم يخلطون بين محبة القديس النقية لأبيه الروحي ومحبتهم العاطفية، التي كثيرًا ما تكون محبة مريضة ومشحونة بالسموم الروحية، مما يؤول بهم الى فهم ذلك بصعوبة.

وهنا، ينبغي الإنتباه للنساء بشكل خاص، (بسبب طبعهن)، عليهنّ ألا يقرأن القديس سمعان اللاهوتي الحديث قبل أن يكتسبن روحًا رجولية[١]. ولكي تتجلى محبتهن ويكتسبن روحًا رجولية، فلا شك أنهن بحاجة - بالإضافة الى مساعدة الأم الرئيسة - الى سعيهن الشخصي لصب جهادهن بكليته ضد الرخاوة التي تسبّب نوعًا من العفونة. طبعًا إن الصرامة في الجهاد هي الدواء، وكذلك الحد في ما هو أشد ضرورة من الإغتسال والغسل. ومن الصرامة تأتي الصحة المضاعفة، التي منها تأتي اللذات الإلهية (بسبب العناء الجسدي الذي يتم بمعرفة وتمييز).

لذا يا أخي، لا تتردد في قطع كل ما يكون سببًا لفصلك عن

(١) أي تنضج الروح العاطفية عندهن

المسيح، مهما آلمك. يجب أن نعلم أن المسيح سوف يحسبه شهادة، وإذا تألمنا كثيراً سنكون حتماً من الشهداء العظام والمعترفين، لأننا بذلك نعترف فعلاً بإيماننا المقدّس ونتمّم وصايا المسيح المقدسة.

في كل ما ذكرت، إنك ستلقى مساعدة كبرى من قراءتك القديس اسحق، لأنه يقدم لك ما تحتاجه لفهم الحياة بعمقها. وإذا كنت مؤمناً بالله وتعاني كثيرًا أم قليلاً من أنواع التعقيد، فإنه يساعدك على إزالته. إن مطالعة أسطر قليلة من القديس اسحق تبدل النفس وتغذيها بفيتاميناته الغنية.

صدقًا، إن بعض الآباء المعاصرين لا يحبّذون القديس اسحق، كي لا يغادرهم رهبانهم الى البرية. بينما القديس اسحق لا ينصح تلاميذ الصف الإبتدائي أن يلتحقوا بالجامعة ولا أولئك الذين لم يكملوا الصفوف الثانوية أن يفعلوا ذلك أيضاً. لذا، يجب على الأب الروحي أن يساعد أبناءه في هذا الموضوع، كي يتمكنوا من فهم أقوال القديس ويستفيدوا جداً من هذا الكتاب الموحى به من الله.

وإذا لاحت حول المبتدئ دلالات الذهاب الى البرية قبل أن يكمل الصف الثانوي في الحياة الروحية فذاك يعني أنه مُدَّع وفارغ الرأس، - ولا أقصد فارغاً بالكلية، لأن الرأس الفارغ عادةً يحتوي اعتدادًا بالنفس عظيماً -، لذا يجب مساعدته على فهم ذلك وإزالة هذا الإعتداد بنفسه وطرحه ذاك التوق خارجًا، كي يدنو الله منه ويضع فيه أفكاره الإلهية، لأن مجرد اعتداد واحد بالنفس يمنع كل الأفكار الإلهية من الدنو منا. ماذا يفعل العدو الشرير؟ إنه بعدما يفحص المبتدئ كطبيب ليرى ألمه، يضربه على رأسه، فإن سمع صدى فراغ فيه، يضربه إبرة أخرى فينتفخ مرتفعًا في الهواء. عندئذ

يباشر بالجهاد بضراوة، لكن كمن يصارع الهواء.

لذا يجب قبل بدئنا بأي عمل روحي، أن نطرح في المزبلة كل ما عندنا من أفكار بعد كرهنا لها، لأن مهما فعلنا فإننا سنفسّرها بقاموس الأنا وسنجعل منها مادة لغلاظة جسدنا فيزداد فينا عدم الشعور ويمسي جلدنا كجلد الخنزير. بكلام آخر: إذا أنّب الأب الشيخ تلميذه على أخطاء جسيمة ووبّخه توبيخًا قاسيًا يبقى التلميذ ساكنًا غير مهتز، مفتكراً أن أباه الشيخ يختبره كونه قد وصل الى درجة كبرى من القداسة.

هذا النوع من الدقّة في العمل يمارسه الشيطان مع هؤلاء الناس الذين يقعون عاجلاً أم آجلاً في تجربة خطيرة.

إذاً، يجب أن نمقت ذواتنا وننظر فقط الى تعاسة أنفسنا كي نتصالح أولاً مع الله، فتأتي العبدَ المتواضعَ المحبةُ الكبرى، التي هي محبة إلهية توقد فيه على السواء نار محبة الله والقريب. وهكذا يرمي بنفسه كلياً في حضن الآخرين متيقناً أنه لا شيء سوى تراب للزرع، وأن الآخرين سيثمرون جميعاً.

وكثيراً ما يساعد في هذا الموضوع، خلوة الراهب وحبسه نفسه في قلايته وعدم قيامه بعلاقات مع أحد، فيحسب عندئذ جميع الناس قدّيسين. حاول، يا أخي، أن تحب قلايتك، ولتكن كل محتوياتها نسكية: حصيرة، مقعد بسيط، لوح خشب، قطعة نسيج من الكتان أو القماش الأسود كغطاء للطاولة، لتنقلك هذه الأشياء بالفكر الى صحراء ثيبة والنطرون وتذكرك بالآباء القديسين الذين كانوا على شبه العادمي الأجساد. فلا تختار كنابايات وطاولات فورمايكا ونايلون، لأنها ستختلس ذهنك الى العالم بأمور كثيرة

وتلوّثك بالفكر. ويساعدك كثيرًا، قبل البدء بالصلاة، أن تقرأ مقطعًا صغيرًا من الآباء الشيوخ داخل الجو النسكي الذي في قلاّيتك، لكي يشعر قلبك بالدفء وتغطي بقراءتك هذه، كل ما في نفسك من هموم، فتتمكن من الصلاة دون تشتت.

٧- النسك

بما أنه للمبتدئين، عادة، حماس كبير - ومن الواجب أن يمتلكوا هذا - فلئلا يسيئوا إلى ذواتهم على الفور، بسبب ممارستهم النسك دونما تمييز، فحسن ههنا أن أعرض نصيحتين في هذا الصدد، لأنهم أحيانا كثيرة يمارسون النسك كالنهر، الذي إذا ما طاف دفعة واحدة لا ترجع مياهه حتى تجف ولا تبقى نقطة من الماء يشربها هو أو من يجتازه؛ وعلاوة على ذلك، فإن كل ما بدأ ينبت على ضفتيه يأخذ بالجفاف. ومن المحتمل أيضًا أن يفقد المبتدئ صبره ويتذمر إذا تزعزعت صحته. لذا ينبغي دومًا أن ننظر الى ما يكسبنا ربحًا روحيًا أكبر وأن نجاهد بتمييز.

وبما أن الجسد مرتبط بالنفس، وهدفه هو أن يخضع للروح ويخدمها بمعرفة ووعي من أجل إعادتها وتجديدها، فإن ما سأذكره يشبه تقريبًا وصفة طبية وحمية، على الأرجح، للجسد الذي نحتاج الى بعض طاقاته فقط وليس الى وثباته. لذا فالإهتمام بهذا الأتان (أي الجسد) ضروري لئلا يثب علينا ويرفسنا ويطرحنا عن ظهره في الهاوية إحدى المرات. والجسد إذا ما رمى النفس، إنما يرميها في الجحيم، بينما الأتان قد يرمي صاحبه، في أسوأ الحالات، في الهاوية دون أن يؤذي نفس سيده.

أحيانًا كثيرة يحصل ما يلي: فإن من جسدنا، رغم أنه يكون

هيكلاً عظميًا، قد تبرز منه رفسات ووثبات. وبالرغم من أننا نحاول تذليله بتقليل الأكل ومضاعفة الجهادات، إلا أنه يستمر في تصرفه كالوحش. وفي هذه الحالات يصيبنا ما أصاب ذلك القروي الجاهل الذي ترك حماره صائماً وحمّله حملاً ثقيلاً ليذله كي لا يرفس برجليه فيما بعد، لكن الحيوان المسكين لم يكن يرفس هو من ذاته بل لأن سرجه الرث سبب عقرًا في ظهره. أي، بالنسبة إلينا، يكون السبب، في أكثر الأحيان، هو حب الذات، التكبر، إدانة الآخرين مع نقص في المحبة، مما يُبعد نعمة الله عنا ويُقرّب منا الشيطان (العدو) الذي يدب في عظامنا الجافة ويشعل فينا نارًا (شهوات) فيما نحن نضاعف الأصوام والجهادات الروحية والسجدات... كي نذلل الجسد، ومع ذلك لا يتذلل، لأن التواضع والمحبة يكونان قد فقدا من النفس.

إذاً، عندما تصادفنا حرب جسدية ونرى أنه رغم كل ما تمّمناه من الأصوام والأسهار أن الحرب ما تزال مستمرة، يجب أن نفهم أن «الخلل هو في مكان آخر». عندها، لنخرّ على الفور أمام المسيح ونسأله العفو مسبقًا، متوسلين إليه أن ينيرنا لكي نعرف خطأنا ونتذكر من هو الإنسان الذي جرحناه أو ظلمناه ونستغفر منه بالذات. وما أن نسأل المسيح الصفح بتواضع، يفارقنا اللهيب الجسدي حالاً، متذكرين السبب الذي سيساعدنا على التواضع أكثر. وعندها تأتينا نعمة الله بغزارة.

ومما نستنتجه من هذه الحالة، أن السبب هو منا وليس من الجسد، لأننا لم نشارك أخانا عندما أخطأ ولا وضعنا أنفسنا مكانه، كي نحبه أكثر، بل دِنّاه بقسوة. لذا أخذ الرب نعمته منا، وتمّم فعل نواميسه الروحية فينا، فوقعنا بيد الشيطان الذي قلى جسدنا في

مقلاته وسوَّد أنفسنا. أما الحرب الطبيعية التي يصادفها الأحداث فتزول فورًا بقليل من النسك كما ذكرت، لأن المسيح يشعر مع أبنائه المجاهدين ويساعدهم، إذ لا يشاء أن تشقى جبلته. وقد كلمنا هو نفسه في إنجيله الشريف: «إن نيري هيِّنٌ وحملي خفيف» (متى ١١ : ٣٠)، إنما يجب علينا: «أن نكون ودعاء ومتواضعي القلوب» (متى ١١ : ٢٩).

لا شك أن العديد من الأحداث قد يتساءلونَ: «لماذا يسمح الله أَن نُحارب من شيطان الزنى بينما توجد أهواء أخرى داخلنا (مثل التكبر وغيرها) وبالمقابل توجد شياطين أخرى؟»

بما أن البتولية هي أول النذور الرهبانية الثلاثة (بتولية-فقر-طاعة) التي نقدّمها، لذا تبقى الكبرياء هي الخطيئة الكبرى، وبعدها تأتي الإدانة الفاقدة المحبة. وبما أننا لم نفهم ذلك بعد، يسمح الله بهذه الحرب عند الشباب لأن الشاب عادة يراقب حالته الروحية من خلال الجسد فقط. فإذا ظنّ أنه عديم الهوى (الإنفعال)، يحيا وكأنه يسير سيرًا حسنًا، مما يجعله يتصرّف على غرار المخدَّرين الى حد بعيد، فيؤول به ذلك الى عدم إدراكه ما هو مخفي من الأهواء في داخله. عندها يسمح الله بتجربة الزنى التي تلزمه على التواضع على غير إرادته؛ وبالتالي يقترب من الله. وموجز القول: إن شيطان الزنى بهزهزته الشاب ينبّهه الى أنه لا يسير سيرًا حسنًا.

٨- التمييز في الصوم

عدا عن الأسباب التي ذكرت أدناه والتي تولد في الجسد حرباً غير طبيعية، يجب الإحتراس من أمور أخرى، تصبح هي بدورها أسباباً تزيد من هذه الحرب، كموضوع الأطعمة مثلاً التي نتناولها.

قبل كل شيء يجب إلغاء المقلاة وقلي الأطعمة التي تقلي جسدنا، كي تنجو معدتنا من داء القرحة. كل المسلوقات تفيد مع الزيت النيّء. ومن ضمن الخضار يجب تجنب الخردل، الذي يسبب حرارة للجسد.

عندما يُحارَب أحدنا بالنعاس، يجب أن يتحاشى، من ضمن الخضار، الخس والبقلة والخشخاش، ومن القمح الزؤان (عند طحنه للخبز)، والثوم. إن الحليب المعلب أيضًا يسبب حرباً جسدية (خاصة عند شربه بدسمه وبتواتر). أما الحليب الطبيعي فهو مفيد، إذ يجلب النعاس عندما نعاني من الأرق وقلة النوم. كذلك الزيزفون فإنه يجلب النوم في مثل هذه الحالات.

أما الشاي الأسود (من كينا) والقهوة فهما يطردان النعاس أثناء السهر. إن فنجانًا من القهوة يساعد على السهر، ويفيد أحيانًا كثيرة الشبان إذا صادفتهم سحابة من التجارب كالمعتاد(١). وأحيانًا قد تشملنا فجأة غيمة جسدية فيظلم عقلنا ويُشلّ جسدنا... ومع أننا في هذه الأحوال نكون بحاجة الى جهاد أكبر، إلا أننا نوجد بلا سلاح وفاقدي الرشد كالسكارى، سواء من جهة العقل أو من ناحية الجسد، الذي يكون في حالة شلل ولا يطلب سوى النوم والطعام... ففي مثل هذه الظروف (الناجمة عن إهمال روحي سابق) فإن فنجاناً أو إثنين من القهوة، عند الحاجة، يطردا على الفور ثمالة الجسد والنعاس والشلل وكل إحباط وارتخاء، ويمنح المجاهد كل المؤهلات اللازمة للصوم والسهر والصلاة، بسجدات وجهادات روحية أخرى، فيكسب صحته مضاعفة.

---

(١) اليقظة تساعدهم على الجهاد طوال الليل

إن العسل مفيد جدًا، لكنه يسبب للجسم حرارة كبيرة، وحسن أن يتجنب الأحداث تناوله بكثرة، وأيضًا عليهم ألاّ يُكثروا من الزبدة والأجبان. يمكن تناول ملعقة من العسل صباحًا مذوَّبة في كوب من الماء الفاتر يشربه كل من يشكو من عسر الهضم ومن الإمساك. ولحل الإمساك، فالتين المسلوق يساعد كثيراً، والبصل المشوي أو المسلوق، وخاصة الكرّات، إذا تناولناه مع الزيت النيء.

أما البصل فعلينا تناوله نيئاً وطازجًا. أما في حال ترك البائت منه في الثلاجة كي تزول حدته، أو عندما يبدأ بالتفريخ، فإنه لا يضر ولا يسبب إزعاجًا للامعاء، التي تشكو من ضعف أو ضرر.

ماء الشتاء المخزنة في الآبار تؤذي الإمعاء كثيراً خاصة عندما تكون المعدة فارغة من كل طعام. تجنب الخمر في طعامك (خاصة إن كنت شابًا) لأنه يسبب حرارة جسدية مع دوار، ويفسح المجال للعدو ليتقلد الأسلحة التي أعطيتها له[١].

أما إذا كنت شيخًا أو شابًا تعاني من المرض، فاشرب قليلاً من النبيذ، لأنه يكمّل غذاءك الزاهد. النبيذ يساعد كثيرًا الشيوخ وكذلك الأحداث الضعفاء والذين يشكون من خلل في البول فيشدد كِليهم. أيضًا فالنبيذ يساعد أولئك الذين تكون معدتهم ضعيفة ولا يتقبّلون الماء أو الذين إذا شربوا الماء يتقيئونه فوراً. في هذه الحال، يساعد كثيراً أن نضع ثلث الكوب خمرًا والباقي ماء ونشربه ممزوجًا، إذ لا يجوز قطع الماء كليًا كونه ضروريًا للكلى.

عند توقف البول، في بعض الأحيان، فإن نبات الروكّا ناجح

(١) أي أنك تسلمه الأسلحة، التي كنت تقاومه بها، ليقضي عليك

جدًّا، وبعض النباتات التي تنمو في برية سيناء كمثل «حشيشة الجمل» فهي تساعد كثيراً، إن كانت تؤكل نيئة مع قليل من الزيت النيء.

إن شرب الماء بكثرة لا يفيد، لأنه يسبب انتفاخًا وحربًا جسدية خاصة عند المساء؛ والى جانب ذلك، يعيق تنفسنا في الصلاة المستمرة. لذا حسن أن نتجنب الموالح لضررها، الى جانب الحلويات الجارحة التي تسبب عطشًا، وكذلك الفاكهة الجافة التي تسبب مع العطش الحرب. ليتناول المرء وجبات خفيفة وقليلة كي تساعده في جنوحه الروحي أثناء الصلاة.

وينبغي على المرء أن يتجنب إجمالاً، قدر المستطاع، كل المأكولات الدسمة والصلصات، التي تدنس النفس، وكذلك المعلبات، لأن جميعها، عدا أنها مضرة للجسد، تؤذي النفس أيضًا بما تسببه من الحرارة والعرق والإفراز، فيضطر المرء على الإغتسال باستمرار، لئلا تفوح منه رائحة كريهة كالتركي، الذي لا يحمل الميرون المقدس. أما الحياة النسكية فتجعل جسد الراهب لاهيولياً نوعًا ما، لامعًا يفوح بالعطر، وإن لم يستحم.

عدا المأكولات التي يجب أن ننتبه لأصنافها، يجب أن نتقيد بالأوقات القانونية المحددة لتناول الطعام، كي تساعدنا في جهادنا الروحي لأن هذه لها أهمية كبرى.

حسن أن يتناول الراهب وجبة الغداء بعد الثالثة بيزنطيًا (أي التاسعة) ووجبة العشاء نتناولها بعد الظهر عند الساعة العاشرة بيزنطيًا (أي الرابعة مساءً). الأفضل أن تكون الوجبات الغذائية مع القليل من الملح كما ذكرت، كي لا يضطر المرء الى شرب الماء أثناء

الطعام في أوان هضمه وعلينا أن لا نشرب إلا بعد حوالي ثلاث ساعات من ذلك. بهذا تبقى المعدة خفيفة ومصونة من كل انتفاخ، مما يساعد في عملية الهضم، فلا يشعر المرء بالحموضة ولا بالمر والمرارات.

حسن أن يتجنّب المرء تنوع الأطعمة، لأنه - عدا أنه غير رهباني - يسبب دومًا عدم انتظام في المعدة، إذ أحيانًا كثيرة، لا تتلاءم الوجبات مع بعضها البعض.

٩- السَّجدات

عندما يتناول الواحد منا وجبته المسائية (الساعة الرابعة بعد الظهر) يمكنه مساء أن يصلي بسهولة وأن يتمم سجداته، حتى الكبار منها، بعد أن يكون قد انقضى ثلاث أو أربع ساعات على عشائه؛ مع العلم أن لا يكثر منها. ويمكنه في المساء، أن يقول «صلاة يسوع» مع مطانيات صغار فوراً بعد صلاة النوم... فالسجدات الكبرى نقوم بها عادة وبكثرة بعد النهوض من النوم، كي تذوب الزيوت وتنطلق السيارة الروحية للصلاة.

طبعاً إن هذا البرنامج يتبعه الواحد منّا عندما يكون في قلايته... أما إذا استضيف في بعض الأحيان، فيجب أن يتناول ما يُقدَّم له من مالح أو حامض أو معلبات أو كبيس. كما أنه، ينبغي ألاّ يتبع قانونه الخاص إن وجد في أديار غريبة أو في بيوت روحية. لذا من الأفضل، أن يبقى الإنسان في قلاّيته مُتَبِعًا قانونه وهذا يساعده كثيراً. أما إذا كان خارج قلايته فليتمم ما يستطيع من سجدات كبار ومن مطانيات صغيرة وصلوات. وفي كل الأحوال، إن أكل متأخرًا فالأفضل أن لا يقوم بسجدات كبار فوراً بعد تناوله

الطعام، أو على الأقل يمكنه أن يقوم بمطانيات صغار دون انحناء، وأن يركع وهو مستقيم الصدر.

إن السجدات كما ذكرت، تساعد كثيرًا بعد النهوض من النوم ليلاً، كما تساعد الشاب قبل نومه مساء بعد أربع ساعات من تناوله الطعام. فالسجدات بالاضافة الى أنها تحرّك سيارتنا الروحية للصلاة فلها فوائد كثيرة:

أولاً: إننا نسجد لله متوسلين الى رحمته بتواضع. ثانياً: إنها تذلل الجسد المتوحش، مما يكسبه هدوءاً مع لاهوى. أما الفائدة الثالثة: فإنها تعطينا صحة الجسم وتبدّد كل ما تسببه الرخاوة من عفونة؛ فيحرز الإنسان صحة مضاعفة.

أما الذين يتعبون من السجدات، فيمكنهم أن يقوموا بها على مراحل، متممين قسماً منها بعد كل مسبحة. إن هذه الطريقة بتنوعها لا تتعب وتأتي بالإفادة في الصلاة.

١٠- التّمييز في النوم

عدا المطانيات التي يجب ألا نقوم بها فورًا بعد الأكل، لشدة مضرتها، كذلك إذا ذهبنا للنوم توًّا بعد تناول الطعام نتأذى، خاصة إذا كنا شبابًا لأن ذاك يسبب لنا حربًا جسدية.

إن النوم صباحًا يؤذي الشبان كثيراً لأنه معثر، وبالأخص إذا انتهت الصلاة الصباحية باكراً جداً واستهواهم الأكل واستلقوا للنوم، فيكون هذا القليل من الطعام بمثابة نار في أجسادهم. طبعًا، أقصد الشبان ذوي الصحة وليس المرضى بينهم الذين انهارت أجسامهم من جراء المرض، ولا الشيوخ الذين أعيتهم الكهولة.

حسن للشبان أن يناموا باكرًا ويستفيدوا من ساعات النوم قبل منتصف الليل، لأنها مفيدة ومغذية جداً. وحسن أيضاً أن يتجنبوا النوم المعثر والخالي من المنفعة بعد انتصاف الليل، لأن ما تأتيه الساعات الأربع (٨,٠٠-١٢,٠٠) قبل منتصف الليل من منفعة، لا تأتيه الساعات المضاعفة من النوم بعده.

أما المسنون والشباب الذين بلغوا اللاهوى أو الذين كانت طبيعتهم هادئة وقد أعطيت لهم الإمكانية، فيستطيعون الإستفادة روحيًا إذا ما ابتدأوا الصلاة من الغروب الى منتصف الليل، لأن هذه الساعات خصبة وملائمة للصلاة كما للنوم (لا من حيث أنه توجد ساعات حسنة وساعات غير حسنة).

وينبغي أن ننظر دوماً الى أفضل ما يأتينا بالربح روحيًا. وهذا إنما يحققه الشاب، بحسب اعتقادي، عندما ينام باكرًا جدًا وبعد غياب الشمس إن أمكنه، وينهض في منتصف الليل للصلاة.

أما حينما يظلم الليل، وقبل أن نستلقي، علينا أن نردد صلاة يسوع، ولو قليلاً، لكي يتنقى ذهننا (النوس) وقلبنا. كذلك وفيما نحن مستلقون علينا أن نردّد صلاة يسوع دون انقطاع، فيأخذنا النوم ونحن نصلي، وتستمر صلاتنا خلال النوم، فنشعر عندئذ أننا نصلي حتى في النوم. وهذا بالواقع، لأننا لدى نهوضنا نشعر باستمرار الصلاة في داخلنا، مما يعطينا إشارة حسنة تبيّن شفق نهار عذب.

ويساعدنا في ذلك، أن نرسم إشارة الصليب على الوسادة، ثم نستلقي على الجنب الأيمن ونبدأ بفحص ذواتنا إن كنا في استعداد للسفر الى الحياة الأخرى أم لا، لأننا لا نعلم إن كنا سنستيقظ أم

سنموت. وفيما نحن مستلقون على فراشنا علينا أن نفكر بالموت. وجيدٌ أيضاً أن نرتل بعض القطع من جناز الأموات وأن نردد صلاة يسوع، لأن هذه جميعها تساعد على تقديس نفوسنا.

أما إذا لم ننتبه ولم نجاهد روحيًا، بل علفنا جسدنا بكل ما هو سمين من الأغذية المتنوعة (خاصة إذا كنا شبّانًا) ونمنا بعد الطعام (لأن كثرة الأكل تجلب النعاس) وتمددنا على سرير ناعم دون صلاة وبعد أن كنا قد تركنا ذهننا خلال النهار يجول في العالم بحرية لالتقاط الصور، فمن الطبيعي أن يتوفر العنصر المثير للجسد ليجعل الشيطان (العدو) يعرض لنا أثناء النوم أفلامه السينمائية بصورها غير اللائقة ويدنّسنا بها. يجب ألا نضع اللوم دائماً على الشيطان، إذ في أغلب الأحيان نكون نحن المذنبين لعدم انتباهنا.

١١- الإنتباه في الجهاد الروحي

إنه بالتالي لضروري جدًا، خلال النهار، أن ننتبه الى ذهننا والى كل ما ذكرت كي لا نخطئ حتى في الليل؛ لأن كل ما عجز العدو عن فعله أثناء النهار، سيفعله خلال النوم ليدنّسنا ولو بفكر واحد ورغبة دنيوية واحدة، لم تقبلها النفس في يقظتها خلال النهار. فالراهب، الذي يحمل الإسكيم الرهباني، لا يقبل أي فكر معيب سواء أكان في النهار أم في الليل الذي يتهيأ له منذ النهار؛ وحياته لا تقارن بحياة العلمانيين، لأن حياة الراهب تتخطى الحياة الطبيعية بالجهاد الروحي، وأيضاً الحياة الفائقة الطبيعة (الملائكية) بجسده الذي غدا شبه لاهيولي. هنا نجد الفرق بين حياة الراهب وحياة العلماني. فإن اشتهى العلماني مثلاً قلاية الراهب بجوها التخشعي وتمنى حياة الراهب وتقلّدها قليلاً، لا شك أنه سيصعد الى الفردوس. أما الراهب إذا اشتهى غرفة المتزوجين وتمنّى أن يعيش

حياتهم ولو قليلاً فإنه سينزل الى الجحيم، إن لم يبادر ويعترف ببكاء ويتنبه مرة أخرى. وإذ أقول ببكاء، أعني دموع القلب مع التنهدات بحسٍ منسحق وتحسّر...

لذا فالإنتباه ضروري جدًّا لنا نحن الرهبان، فإنه من هنا جاءت تسميتهم بآباء الإنتباه، واليقظة، كما يجب أن ننتبه لكل ما يساهم في تحقيق طهارتنا ونقاوتنا.

من بين كل ما ذكرت، فإن السرير يساعدنا كثيرًا إذا كان مصنوعًا ببساطة من ألواح خشبية، وبدل الفراش أن يكون هناك قطعة من السجاد، أو أي شيء سميك، خاصة إذا ما كان المجاهد شيخًا أو شابًّا مريضًا، لئلا ينعقر ولا يعود يستطيع إغلاق جفنيه من الألم.

وإذا شاء أحدنا في بعض الأحيان أن ينام قليلاً ليستريح ولم يستطع، فليفطن لمعدته إن كانت فارغة بالكليّة. ولا ضير له إن أكل خبزة مجففة لينام فورًا.

وإذا شعر في بعض الأحيان بقلق دون أن يعرف السبب ولم يتمكن من النوم، فإن كان شابًّا فلينهض فورًا مفتديًا الوقت بإتمام فروضه الروحية، لأن الأرق سيسبب له بادئ الأمر عصبية فيتوقف عن صلاة يسوع. وبعدما يرشّه الشيطان بأفكار دنسة، يقلي جسده المستعر بالشهوة بقلبه إياه في السرير، تارة نحو اليمين وطورًا نحو اليسار. فإذا حصل هذا الأمر أكثر من مرة، يجب أن يُعلِمَ به أباه الروحي، لكي يتدبر أمره ويؤمن له الراحة خلال النهار، وثانيًا لكي يجد السبب فيعالجه؛ فإن كان السبب من المعدة، فإنه يساعدنا كثيرًا إن ركعنا ووضعنا أيدينا على أرائك عالية أو على طاولة وصلّينا

الى أن يجذبنا النوم.

لذا فمتابعة الأب الروحي لتلميذه ضرورية، لكي يقدّم له المساعدة من خبرته، فلا يقوم بإختبارات من تلقاء نفسه ويشقى.

١٢- الفرح الروحي

بالطبع، كي يتقدم أحدنا في الرهبنة، يجب أن يكون ذكيًا، شجاعًا، وأن يجاهد بتفان وجرأة ورجاء كبير بالله وينسب لله كل خير. ويجب كذلك أن يحب الله حبًا كبيرًا ويخاف الخطيئة أكثر من الموت. يجب أيضاً أن يفرح، لأنه يحافظ على صحة نفسه داخل جلد وعظام، ولا يحزن على فقدان شحمه وهبوط وزنه، لأن الشحم يلائم الدود فقط.

فالنسك المقدس (بتمييز)، مع كل ما يتضمنه من نكران الذات - الذي ينجم عن الإيمان الكبير لفرط محبتنا لله - ينشئ عند الإنسان فرحاً حقيقياً في حياته، فيتهلل بقلبه الذي يرفرف ممجداً الله المحسن لأنه يحيا، كما أنه يفرح كونه سيموت وبموته سيذهب الى جوار الله ويستمر هناك في تمجيده.

بإيجاز، إن الإنسان يفرح لأنه يعيش وكذلك يشعر بنفس الفرح لأنه سيموت. لا شك أنه سيكون في الفردوس أفضل حالاً لأن ما يعطيه الله من الفرح ههنا هو جزئي. لكن، وبما أنه لم يذق الفرق بعد في خبرة هذا الفرح الذي على الارض كم هو عظيم، وذاك الذي في الفردوس كم هو أعظم، لذا فهو يشعر بملئ الفرح على الأرض. وبرهانًا على ذلك قال المسيح: «إن ملكوت الله في داخلكم» (لوقا ١٧ : ٢١).

طبعًا، هذه الأمور لا يمكن أن يدركها الإنسان بالعقل، إن لم

يقرّب للنسك جسده وعقله بكاملهما حبًّا بالمسيح؛ وإن لم يشأ أن يُعتبر أبلهاً وضعيفًا من أجل المسيح، لكي ينال قوة المسيح وحكمته من صليبه المكرّم. وإذ يصلب الإنسان ذاته على الصليب ويصبح نوعًا ما لاهيوليًّا بممارساته النسكية ويموت عن العالم وينهض روحيًّا، يدرك عندها كنه هذه الامور.

إذاً، فالرهبان الذين يعيشون هذه القيامة، وحدهم يستطيعون أن يفهموا ما يعانيه المعذَّبون بعيدًا عن الله (لأن الإبتعاد عن الله عذاب). وإذ يشعرون بعناء المعذَّبين، ويرون أنفسهم بفرح مستمر، يتضرعون الى الله أن يأخذوا إن أمكن، مكان أحد المعذبين في الجحيم، الذي لم يعرف الله على الأرض ولا في الجحيم حيث العذاب المستمر. بهذا الشعور الفرح يتوسل الراهب الى الله باستمرار لكي يستجيبَ له. فالرهبان وبسبب محبتهم الكبرى، التي تبلغ بهم النزول الى الجحيم، الى مكان العذاب، يتحوّل الجحيم بهم الى فردوس، لأنه حيث المحبة هناك المسيح، وحيث المسيح هناك الفرح.

إن الرهبان لا يصلّون من أجل الأحياء والراقدين فقط، بل ومن أجل من هم أشقى مخلوقات الله طرًّا، أي الشياطين، الذين، للأسف، بعدما توالت عليهم آلاف السنين، ما زالوا يسيرون الى أسوأ ويتطوّرون في الشر أكثر فأكثر.

إن أحد الرهبان اكتنفه ألم شديد، وبينما هو يصلّي راكعًا وخارًّا بوجهه على الارض، قال في صلاته: «أللهم، أنت الاله، وإن شئت، تستطيع أن تجد سبيلاً كي يخلص الشياطين، المنكودو الحظ، الذين فقدوا مجدهم العظيم الذي كان لهم في البدء، وباتوا الآن سببًا لكل ما في العالم من فتن وشرور. وأنت إن لم تحمنا من شرهم

لأهلكونا جميعا نحن البشر». وبينما هو يصلي مردداً هذه الكلمات بتوجع، إذا به يشاهد رأسًا الى جانبه كرأس كلب ويمد له لسانه ويسخر منه. وكما يبدو، أن الله سمح بذلك كي يعلم ذاك الراهب أن الله مستعد لقبول الشياطين شرط أن يتوبوا، ومع ذلك فإنهم يرفضون التوبة لخلاصهم.

تُستبانُ من هذا الحادث، علاوة على محبة الرهبان الكبرى، التي امتلكوها من محبة الله بالذات والتي لا حدود لها، عظمة محبة الله المستعد ليخلص حتى الشياطين بالذات، رغم ما ارتكبوه من الجرائم بما يفوق آلاف الآلاف مما ارتكبه البشر، شرط أن يتوبوا.

١٣- التوبة

لذا، ينبغي ألا ييأس أحد من الخطأة أبدًا. يكفي الخاطئ أن يتوب. ومهما ازدادت خطاياه تبقى أقل من خطايا الشيطان، لأن الإنسان جُبل من التراب وبعدم انتباهه زلق وتمرّغ في التراب.

لا عذر لنا إذا أصرَّينا على عدم التوبة وعدم الإعتراف بخطايانا، متوخين البقاء في الدَّنس. هناك من لا يعترفون بخطاياهم، لزعمهم أنهم يسقطون فيها من جديد. أي إنهم يضيفون على أوحالهم القديمة أوحالاً أخرى، بينما إذا اتّسخت ثيابهم يغسلونها ويحرصون على نظافتها، وإن تبقحت أيضًا ينظفونها من جديد.

ليس من ضمانةٍ للحياة حتى للمتقدمين روحيًا، لذا فإنهم يتشبثون على الدوام بضمانة الله، متوكلين عليه تعالى ولا يقنطون إلا من «الأنا» الذي هو سبب الخيبة الروحية بأسرها. لذا، فإن الرهبان لكي يفوزوا بالنجاح الروحي ويحظوا بمساعدة إيجابية وافرة، لا يقولون بفمهم عبارة «لنخلص العالم» بل يصلّون بصمت والله

يخلص العالم.

بناء على ذلك، فالرهبان ليسوا كسالى ولا فرديين ولا فاشلين، إنما بإرادتهم يتوخون الفشل دنيويًا كي ينجحوا روحيًا.

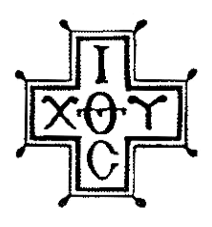
إن الرهبان هم شبان الإنجيل الأذكياء، الذين حالما دعاهم المسيح لم يُغرِهم الغنى ولا المهارة، بل قرّبوا كل ما عندهم ذبيحة حية للمسيح وتبعوه حاملين الصليب، فأحرزوا بهذا اللؤلؤة الجزيلة الثمن. انهم لا يهتمّون بتفاهة الحياة الغاشّة. فإن الكل - آجلاً أم عاجلاً - سيمسي هباء منثوراً، والفالحون في هذه الدنيا، ستُترك نفوسهم منكودةَ الحظ.

نسأل الله المحسن أن ينيرنا ويمنحنا جميعًا توبة صادقة، كي نصبح نحن البشر كافة أهلاً للفردوس، الآن وكل أوان والى دهر الداهرين، آمين.

«يا كلمة الله الابن الوحيد...»

مع محبة المسيح

الراهب باييسيوس





الراهب پاييسيوس مبتدئًا في الرهبنة ١٩٥٤ يحمل اسم أفاركيوس

الرسالة الثانية

بركة صغيرة

قليلاً من الثمار المجففة



يسوع	المسيح
الغا	لب

قلاية «الصليب الكريم»

٢١ تشرين الثاني ١٩٧٥

«عوننا بدخول والدة الاله المقدس الى الهيكل!»

«المجد لك يا رب، المجد لك يا قدوس، المجد لك أيها الملك...»

أيضًا، وأيضًا، أشكر الله الجواد، الذي لم يرذلني «أنا أبو مخاط»، بل كأب عطوف يدبّرني دومًا بالبركات، خاصة في الأيام الوضّاءة كيومنا هذا، يوم عيد دخول والدة الاله الى الهيكل، الذي يعيّد له بتقوى فريدة كلّ الذين تكرَّسوا لله متشبهين بالفائقة القداسة.

لقد افتكرت أن أرسل في هذا اليوم بركة الى أخواتي، ليس لديّ سواها، وذلك لأن الإخوة ملزمون بأن يرسلوا بركات لأخواتهن، خاصة إذا كنّ مسافرات. ليس مهماً إن كانت تلك البركة صغيرة أم كبيرة، لأنهنَّ بالتالي يؤثرن الإهتمام الأخوي لما يشعرن به من الإطمئنان، بتعبير المحبة نحوهن؛ ولهذا تشجعت أن أرسل هذه «الثمار المجففة» الروحية القليلة لهن.

بالطبع، لو كانت حالتي الروحية جيدة، لحصلن على بركة أكثر وأفضل، ولم تكن قشرة الثمار التي أُرسلها غليظة، أكثرها خشب وأقلها حبوب كما سترون. إن بعض هذه الأقوال تشبه بعضها البعض، ولكن ثمة إختلاف بسيط فيما بينها، كاختلاف الجوز عن

البندق. أما التي هي من صنف واحد ومن النوع الصغير، فيجب على كل منا أن يأكل منها كثيرًا، ولكن ليس للشبع؛ علماً أن البركة ليست للشبع.

حبذا لو كان لدي الكثير منها لأرسلت لَكُنَّ، لكن ويا للأسف، فإني لم أحرز في الغربة تقدُّماً روحيًّا كبيراً كالآباء الآخرين الذين عملوا بتفان وبشدة فاغتنوا روحيًّا. أمّا أنا فقد صدق فيّ القول المأثور «شاب كسول، عجوز فقير»[1]؛ لكني الآن قد استفقت وتنبهت. لكن، ما المنفعة بعد أن فقدت قوّتي البدنية وبت لا أستطيع العمل؟ فالذي بقي لدي الآن، هو رجائي بغزارة رحمة الله، لعلي بصلواتكنَّ أُرحم مجاناً.

أتمنى لكنّ من كل قلبي نجاحاً روحياً حسناً واستنارة جيدة، لكي تدركن من الآن وعاجلاً ما أدركته الآن أنا-للأسف-آجلاً.

الرهبنة

كل من يريد الإتحاد بالله - بحسب خبرتي - ينبغي له أن ينفصل عن العالم (الدنيا)، وأن يحب النسك من أجل الله، فيمتلئ نعمة ويصبح رويداً رويداً ملاكاً أرضياً. هذا طبعاً إذا كان يجاهد بتواضع، لأن ملائكة الشيطان السوداء، هي أيضًا تجاهد أكثر من الجميع، لكن، ما المنفعة، لأن ليس لها أي تواضع.

قبل أن ينطلق كل منا نحو السيرة الملائكية، يجب عليه أن يؤمن تماماً أنه، كراهب، سوف يساعد نفسه والعالم عن طريق الصلاة

(١) تعبير للاحتقار: «الشاب الكسول فقير في شيخوخته»

والكرازة الصامتة فيصير قدوة، علماً بأن الأُمور المادية ستتوفر لديه أيضًا عن طريق الصلاة، فيمد يديه الى السماء ويجمع الغيوم لكي ينزل المطر في أوان الجفاف، ولا يمد يديه الى الأغنياء لكي يساعد الفقراء.

بالطبع يجب على كل منا، أن لا يستقبل في الدير السواح عديمي الحشمة لكي يجمع منهم المال ويُلبس الفقراء، لأن هذا التصرف هو من حيل الشيطان، لكي يبعد الراهب عن بركات الله ويجعله عالميًا (دنيويًا)؛ في حين أن غربة الراهب الحقيقية عن العالم من أجل المسيح، تجعله غنيًا بالفضائل.

إن الذين توصَّلوا بنعمة الله كي يعرفوا أن هذه الحياة الدنيا باطلة بعيدًا عن المسيح، فقد حصلوا على الموهبة الكبرى. ولم تعد موهبة التنبؤ لرؤية المستقبلات ضرورية بالنسبة اليهم، لأنه يكفي كل منا أن يتطلع الى خلاص نفسه وأن يسعى وراء أفضل السبل الروحية لأجل ذلك.

يحدثني فكري مؤكِّداً، أن العدو الألد من الشيطان لخلاص نفوسنا هو روح العالم (الدنيا). لأنه يجتذبنا بحلاوة، إلا أنه يمرمرنا بهلاك أبدي. ولكنْ عندما نرى الشيطان نفسه، يعترينا الخوف فنضطر الى اللجوء تواً الى الله، فنضمن الفردوس.

إن الرهبان الذين يشاركون أهل العالم في التطور الدنيوي، يبرهنون أنهم قد ضلّوا طريقهم، وباستطاعتهم أن يتأكدوا من ذلك إذا كانوا يعانون من القلق الدنيوي.

إن الخلل الأكبر في الأديار، هو الترتيب الدنيوي الذي يسود داخلها، مع النظام العسكري، الذي لا يرهق فقط، خاصة في

عالمنا المرهق اليوم، بل يطرد «البساطة المقدسة» ويستنفد القوى النفسية والجسدية كلها في سبيل الأرضيات، فينسى الإنسان الله. في حين أننا نرى بساطة الله الكبرى منبسطة على مخلوقاته، كما هو الحال في أنوار السماوات (الكواكب). فقد نشرها الله ببساطة نسجه الإلهي دون أن يستخدم الحبل وزاوية البناء. هذه الأنوار الإلهية تريح البشر عند رؤيتهم إياها، في حين أن الأضواء العالمية، وإن كانت منتظمة، فهي تتعبهم جداً.

إذا كنا نريد أن نحيا ملائكيًا، علينا أن نهرب ليس فقط من العالم (الدنيا) بل ومن روح العالم، وأن نجاهد بحسب إرشادات الآباء الروحيين لكي نتمكن من أن نطير روحيًا بسهولة. كمثل فراخ الدجاج السمان التي، إن استطاعت البعد عن المكان الذي تحفر فيه[1]، وعن كثرة المآكل، وعن النظام البشري الذي يفرض عليها داخل المزارع لأصبحت نحيفة واستطاعت أن تحلق على غرار طيور السماء...

إن السكينة الخارجية مع الجهاد بتمييز يجلبان بسرعة السلام الداخلي (سلام النفس)، الذي هو شرط مسبق للعمل الروحي الدقيق. وذلك لأنه بمقدار ما يبتعد كل منا عن العالم، يبتعد العالم من داخله وتذهب عنه الأفكار الدنيوية، فيتطهر قلبه (النوس) ويصبح رجل الله.

الراهب المتطهر الذي لبس، وهو ما يزال حيًا، السبّاني السوداء (الثوب الأسود) ومات عن العالم ولبس أيضًا التوبة داخليًا عبر سر الإسكيم الملائكي، يكون قد حقق بذلك أكبر أعجوبة في حياته ولم يعد بحاجة الى أن يقوم بعجائب في هذه الحياة.

(١) الدجاج يحفر في الارض ويأكل منها

يحدثني فكري أن الإيقونات الحية الملائكية الصنع لها استحقاق أكبر من الإيقونات المرسومة من قِبل أفضل الرسامين. إلا أن الذين لا يجاهدون ليصبحوا ملائكة، بل يستكين فكرهم لمجرد أنهم بدّلوا مكان سكنهم واسمهم العالمي وثيابهم، دون أن يتبدلوا داخليًا، يشبهون الذين يتعذبون في فكرهم. يا لتعاستهم! وإذ يرتدون لباس الجندية ويعتمرون القبعة العسكرية ويعلّقون الأوسمة بأنفسهم (فيظهرون بهذا وكأنهم أصبحوا ضباطا)، هؤلاء يفاخرون بذواتهم، إلا أن أهل العالم يسخرون منهم.

إن الحماس الكثير أو القليل، اللذين من الأنانية، هما مبرران عند الرهبان المبتدئين والصغار في السن. تماماً كما هو الحال عند الأطفال، الذين يفرحون عند اقتلاعهم أسنان الطفولة وعند قيامهم بأولى خطوات السير، غير أن ذلك لا يليق بالرهبان الكبار.

إن خروجنا الحسن من العالم، لا يفيدنا وحده، إذا لم ينتهِ بنا المطاف حسناً الى السماء.

قديماً، كان الآباء القديسون شديدي الإحتراس، يجاهدون بتفان وإنكار للذات كبيرين. لقد هربوا من العالم زاهدين بكل شيء، وأحبوا الله كثيرًا. وأحبوا أيضًا كل غذاء روحي ملائم لخلاص نفوسهم. لقد فضّلوا أن يكون الطعام المسلوق بالماء غذاء للجسد، وهكذا تقدسوا. لكن في عصرنا اليوم، وللأسف، كثيرون منا، إذ ليس لنا إيمان حار بالله ومحبة له، نستهين بالجهاد النسكي ونزدري الطعام المسلوق وهكذا شيئًا فشيئًا، دون أن نفهم، نصبح آباء مائعين (كالطعام المسلوق).

إن أهلَ العالم يجاهدون بشدّة في الميدان لأمور باطلة: يَرمون

الكرة أو الرمح، يضربون بأرجلهم أو برؤوسهم في الهواء، وبالطبع يضربون الهواء. على العكس بالنسبة للرهبان، فالجهاد يأخذ معنى كبيراً لأنهم يصبون الى الإنسلاخ عن الإنسان القديم. والى جانب ذلك يجاهدون ضدّ أهواء نفوسهم (يقظة الحواس، الصلاة، التواضع دوماً ومحبة الأعداء، أي أنهم يحيون بنهج معاكس تماماً للنهج الدنيويّ)، ويغلبون الشياطين الأقوياء فينالون الأكاليل من قبل المسيح. وهكذا يربحون الفردوس وليس الكأس الدنيوية التافهة.

إن التعفّف[1] الأرثوذكسي، وبصورة عامة، النسك الروحي له هدف سام وهو تقديسُ النفس. أمّا الرياضات الدنيوية الأخرى كرياضة اليوغا المضِّلة والخ... فالناس يمارسونها لتليين قاماتهم ولمرونة اليدين والرجلين كالمهرّجين الذين يتكسّبون من العابثين، وبعد ذلك تهزأ بهم الشياطين الساخرة.

إن النسك الذي يتم حبّاً بالمسيح، كونه يخفي داخله خلاص النفس التي يحبّها المسيح، يطيّب النفسَ كثيراً ويريحها بتعب الجهاد ويقوّي الجسدَ ويجلبُ الى جانب ذلك عدمَ الهوى؛ لأنه يذلل حركات الجسد غيرَ المنضبطة. عندها يغتذي الجسمُ بكمية قليلة من الطعام، إذ يمتلئ من سلام النفس وسكون الجسد.

إن المأكولات الكثيرة المتنوّعة، وخاصة الزفريّة منها، لا يليق تناولها، لا بالرهبان فحسب بل وأيضاً بالعلمانيين المؤمنين؛ لكنها حسنة في أوقات الأعياد لفرح اليوم ومجد الله أو محبة بالضيوف. أما بالنسبة للمرضى فلا جدلَ في الأمر، لأنهم معذورون في قطع

(١) Enkratia الإمساك، العفة

صيامهم إذ يكفيهم أن يمجدوا الله بأوجاعهم فينالون الأكاليل كالشهداء القدّيسين.

إن التقشف في الطعام بالنسبة للأحداث الأصحّاء هو أقوى لجام ضدّ الأهواء لكي يسودَ الروحُ فيهم ويؤخذوا بسلام مضاعف، فيتمكنوا عندها بطهارة قلبهم من أن يروا البشر أنقياءَ كملائكة تنظر الى ملائكة.

أمّا الذين لا يزهدون بالطعام ويعيشون بدون لجام، فإنهم يرون حتى الملائكة، الغير المتجسّمين، كالذين لهم أجساد، تماماً كأهل سادوم[1]، الذين ابتعدوا عن الله. وبالتالي فإنه من الطبيعي بالنسبة الى الذين ينعمون بتغذية أجسادهم وراحتها، أن يحبّوا البشر جسدياً وأن يسقطوا بسبب ذلك روحياً.

إن الذين يحبون أن تكون أجسادهم هيكلاً عظمياً من جراء التقشف يكرمونها كرفات شريفة ويحبونها كرفيق ودود للنفس، فيحبّهم عند ذلك جميع البشر بصفاء كإيقونات لله حية وكإخوة لهم.

إن الطفل البريء يرى كلَ شيء صافياً والجميع يرونه كملاك صغير، حتى ولو كان عرياناً لأنه يلبس نعمةَ النقاوة الإلهية. أمّا الكبار في السنّ، فإن لم يتعرّوا قليلاً من هيوليتهم من جراء التقشّف، لكي تنزلَ عليهم نعمةُ البراءة الإلهية، وحصل أن تعرّوا قليلاً، فإنهم يشككون البشر الجسدانيين ويظهرون شنيعي المنظر للأشخاص الروحيين.

أما بالنسبة لأهل العالم، فيجب على كل منّا أن يحرص ولا يتشجّع أبداً على إعطائهم صلاحيّات روحيّة (أي أن يكون لهم حقٌ

(١) تكوين ١٩: ٥

عليه) لئلاّ يتأذّوا ويؤذوا الآخرين، لأن ما يسيرون عليه وما يُملى عليهم هو غير ما نسير نحن عليه ويُملى علينا[1]. (ناموس الناس هو غير ناموس الرهبان).

إن الأفكار النقية تنقّي النفسَ كثيراً وتعطِّل كل أسلحة شيطان الزنى. هكذا لا يعود العدوّ باستطاعته أن يحارب الإنسانَ، لا بالأفكار ولا بالتهيّجات الجسدية. وتحفظه تلك النقاوة الطفولية من الأخطار أفضل من أي ذخيرة، لأنّ داخل الجسد النقي تُحفظ النفس النقية حيث تحلّ نعمة الله.

إن الذين يتقبّلون أفكاراً فاسدة «ويعتنون» بأجسادهم عن طريق الطعام والراحة معتقدين بأن الشرير يحاربهم حسداً، يتّهمون الشرير باطلاً.

أيضاً، الذين يهملون فروضهم الروحية بدون عذر ولا يبالون بخطاياهم الصغيرة، فسوف ينهارون سريعاً كالشجرة التي تسقط فجأة بسبب نخرها بالدود، وليس بضربة فأس.

لا يوجد إنسان أقوى من الذي يحارب مجرمًا (قاتل البشر) ويضرب بدون شفقة أهواءه فيقطعها ويتحرّر روحيًا من عبوديّتها.

إذا كان أحد منا يجاهد بقسوة، دون أن يتمكن من قطع أهوائه، فهذا يعني أن الكبرياء طاغ عليه وينفث سمومه فيه. أيضًا إن كانت الأهواء لا تتلاشى، فهذا يعني أن لديه ميلاً للكبرياء، أو أن الله يمتحننا لكي نجاهد أكثر وننال أجراً أكبر. هكذا يتعزى صغيرو النفوس والجبناء، فيتشدّدون ويجاهدون ولا ييأسون عند رؤيتهم الآخرين يتقدمون بينما هم يبقون واقفين مراوحين مكانهم.

(١) أي لديهم تيبيكون آخر

إن الله العطوف يحجب عنّا أعداءنا مرات كثيرة لكي لا نتأذى، لأن المجاهد في كل يوم يصارع عدداً أكبرَ من الشياطين. فبقدر ما نبذل من القوة لاقتلاع هوى واحد، بقدر ما يجتمع الأعداء علينا ويجتذبون الهوى من الجذور الى أسفل. وبينما لا يلحظ الواحد منا أي تقدّم تتقدم النفس إيجابيًا أكثر، لأنها تتواضع أكثر وتندفع في الجهاد باللجوء الى الصلاة والى الله. ويحصل أحياناً، أنه وداخل حالة الخيبة في أنفسنا الذليلة، تتخفى الحالة الروحية المرجوة.

أيضًا في بداية الحياة الروحية لا يسمح الله، من جراء محبته، أن يدرك الواحد منا حالته الخاطئة ولا إحسانات الله الجزيلة، لئلّا نيأس، وخاصة إذا كانت جبلته حساسة.

لذا، فلا نيأسن بل لنجاهدن دومًا برجاء وتواضع وتفانٍ، عندها ستزول أهواؤنا كلها شيئًا فشيئًا بنعمة الله؛ لأن سواد الطقس الرديء لا يبقى أبدًا بصورة مستمرة في السماء، بل تعود الشمس فتظهر... إن الرجاء مع الصبر يطردان الشتاء والبرد ويجلبان الصيف مع الطقس الجميل الذي يدفئ الأرض بحرارة الشمس فتخرج بساطها الأخضر. لا نتوقعن صيفًا روحيًا، إن لم نمرَّ أولاً بشتاء روحي، لكي يموت الدود الروحي فينا. لا نتوقعنَّ أن ينمو نبت إلهي داخلنا إن لم يمت أولاً النبت البشري؛ أي أن ينقلب الخضار العالمي بالفلاحة الروحية، فتسقط حبة الحنطة، لتخرج الخضار الحقيقي الذي يأتي بالثمر الكثير.

طبعاً، بحسب نوعية الأرض يتقدم محراث الفلاح فيها. إن كان الإبن الروحي صعب المراس، فإنه يؤذي نفسه، مما يمنع الفلاّح أن يتقدم في العمق. وبالتالي توجد في بستان قلب الراهب المبتدئ نباتات برية كثيرة، والشيخ (الأب الروحي) ليس مسؤولاً عن ذلك

لأن مسؤوليته هي طبقًا لطاعة تلميذه.

إن مرآة الإبن الروحي هي أبوه. عندما لا يكشف الإبن قلبه للأب الروحي فإنه يلطخ بالسواد (بالوسخ) من يمسك به، ويسخر منه أهل العالم ومن أوساخه. تماماً كمثل فحم المبخرة، بالرغم من كونه شديد السواد، يبقى بيدي القندلفت، الذي يحرقه أوّلاً حتى يصعد الدخان منه والبارود، بعدها يضع عليه البخور ويقدّم الذبيحة لله ويبخر الكنيسة[١].

إن الأحداث الذين لا يشعرون بالحاجة الى الطاعة وسماع نصائح من هم أكبر منهم لكي يُحفظوا من التجارب، بل هم يتحرّكون بحرية طِبقًا لمشيئتهم؛ فالعدو يجرحهم سريعًا جرحًا مميتًا ويمسك بهم، لأن الحرية الدنيوية تقود الى العبودية الروحية.

إن الذين توصلوا الى قطع مشيئتهم، قد قطعوا بسهولة كبيرة سلاسل الأهواء وتحرروا من هيمنة الشرير عليهم. فالراهب الذي يتبع مشيئته يصل الى الضلال. أما العلماني الذي يثق بفكره، ينتهي به الأمر عادة الى الطبيب النفساني.

إن النجاح الكبير الذي يحظى به الشرير هو أن يخرب ولو قليلاً ثقة الإبن الروحي بأبيه. وبالتالي يسقط المبتدئ كما تسقط القبة عندما ينتزع حجر واحد من رأسها.

إنّ الذين يسلمون ذواتهم ببساطة الى أبيهم الروحي، يتقدمون بثبات وراحة، لأنهم محمولون على أكتاف أبيهم، ويصلون فرحين الى الفردوس. أما الأبناء الروحيون الذين يحاولون الهروب من الطاعة، فإنهم يتعذبون كالعجول الهائجة، التي تشد الحبل باستمرار

(١) أي أن الأب الروحي يمسك أوساخ ابنه بيديه وينقيها كلها محولاً اياها الى فضائل عطرة

من جهة، ثم من جهة اخرى، الى أن تخرب الأعمدة وتسقطها أرضًا، بعد ذلك تركض كالمجنونة الى خارج الحظيرة فتتخبَّط رديئًا في وسط الأشواك، وإن لم يغثْها أحد - يا ستّار - تختنق.

على الراهب المبتدئ ألا يجاهد وفق مشيئته، بل يجاهد دومًا بمشورة أبيه الروحي. أيضًا، عليه أن لا ينفصل عن إخوته بمشيئته غير الناضجة، بحجة أنه يطلب نسكاً أقسى في البرية، لأن ثمرات التين، التي ما تزال بعد خضراء، هي غير نافعة عند قطفها، إذ بدل العسل تقطر حليبًا، وبذلك تبدو أنها ما تزال بحاجة الى رضاعة. كما أن الطفل يحتاج الى الرضاعة حوالي سنتين لكي ينمو طبيعيًا، كذلك الراهب المبتدئ يجب أن يرضع حليب التوبة في الدير على الأقل ثلاث سنوات وبعدها يخرج إلى البرية بمشيئة إلهنا، إذا كان ذلك موافقاً لحالته الروحية.

على الراهب المبتدئ أيضًا، ألا يغصب ذاته على النسك إرضاء لها، لأنه لن يستفيد روحيًا بل سيخطئ الى جسده سدى. فكما أن البطيخ الأصفر لا ينضج بالضغط الشديد عليه، بل يلزمه وقت لينضج، وهذا يظهر من رائحته، كذلك الذين يجاهدون بأنانية بقناعتهم الذاتية يتعذبون وينتفضون من تخدير قناعتهم الذاتية. أما الذين يجاهدون بتواضع ويخضعون لمشورة أب روحي يذوقون بتقوى العسل السماوي - وهم في هذه الحياة - الذي يقطر باستمرار داخل قلوبهم بدل الإنقباض الروحي والتشنج الناتجين من جراء الخوف والرعب وعدم راحة الضمير أمام الله.

في البدء، على الإبن الروحي أن يحرص كثيرًا لئلّا يترطب بالماء. فليضع بداية حسنة، لأنه عندما تشرب فتيلة قنديل الزيت ماء في البداية، لا تعود تصلح حتى ولو غطست بالشمع، إذ إنها

«ستشرقط» باستمرار. هكذا بالنسبة للإبن الروحي إن لم يبدأ حسنًا، سيتذمر باستمرار وسيتعب هو ويتعب الغير.

إنَّ الدّالة عند الإبن الروحي هي أكبر عدو له، لأنها تبعد عنه التقوى، ويتبعها عدم الإحساس بالعصيان واللامبالاة بالأخطاء الصغيرة التي، في البدء، قد يعتاد عليها ويراها طبيعية، فلا يعود يشعر بالراحة في أعماق نفسه ولا يعرف إلا القلق. كما، ولا يقدر أن يفهم ما يجري معه، لأن قلبه مائع خارجيًا ولا يعي الإنحرافات التي يقوم بها. إن الإنسان العديم الإحساس حتى ولو ضرب بالعصي كلها سيتوجع فقط في جسمه. في حين أن الراهب الحساس المتفاني ينجرح عميقًا ولو بكلمة واحدة ويتحسَّس لأقل زلة صنعها، ويظنها في كثير من الأحيان خطيئة كبيرة جداً. ويصاب أيضًا بنزف دم روحي عندما يأتي إليه أناس قساة بدون تمييز، ليطهِّروا جرحه الصغير بأظافرهم الوحشية.

إذا كان لدى التلميذ جراثيم روحية، عندها تضره المحبة الحارة في البدء، في حين أن قلب الأب الروحي الجامد خارجيًا قد يطهّر تلميذه ويجلب الى نفسه التقوى عبر ذلك التحفظ الإلهي الناتج عن هذه البرودة الخارجية.

إن الإبن الروحي الكثير الحساسية والمتفاني هو بحاجة الى أب روحي يتحلى بفضيلة التمييز والمحبة الكثيرة، لكي يخفف من حميته، لئلا يتأذى بسرعة من جراء نسكه. فهو يشبه بذلك متسلقي الجبال الذين يزيدون ساعات سيرهم شيئًا فشيئًا، فيصعدون الى أعلى القمم دون أن يتعبوا، وإذا لم يسيروا هكذا فإنهم، بالرغم من أن نشاطهم في الأيام الأولى كان جيداً، يتوقفون فجأة في نصف الطريق بسبب شدة تعبهم.

عندما لا يكون للأب الروحي خبرة كبيرة، بل محبة كبرى وتواضع كثير فمن المؤكد أنه يساعد أبناءه الروحيين مستعينًا بمشورة الآباء ذوي الخبرة الطويلة، وبنعمة الله التي يَتَلقّاها باستمرار من جراء تواضعه الجزيل. أمّا القاصر الذي يجمع أحداثًا كأبناء روحيين له فإنه يظهر كبرياءه الكبير المضروب به حتى نخاع عظمه، ويشبه أيضاً الطفل الذي يولد بلحية (أي غير طبيعي). أما الذين يتبعونه فسوف يظهر عليهم الأذى في العقل والقلب.

إن الذين ليس لهم أب روحي وعندهم استعداد داخلي للطاعة ينالون بغزارة نعمة الله.

فالآباء الذين لا يمتلكون خبرة روحية جيدة هم بمعظمهم من الإكليريكيين الذين يدرسون علم النفس بتقنيات بشرية. والغريب في الأمر أن معلميهم علماء نفس لا يؤمنون بالله ولا يسلّمون بوجود النفس. أو إنهم يقبلونها على طريقتهم الخاصة (معظمهم هكذا).

نتيجة لفعلهم هذا، يظهر هؤلاء الإكليريكيون بمظهر المرضى الروحيين. وبعد شفائهم سيدركون، من تلقاء ذاتهم، الروح المريض هذا ويتعرفون إزاء ذلك الى النعمة الإلهية، لكي يستخدموا القوة الإلهية في معالجة النفوس المريضة، فيشفونها دون أن يعتمدوا على الوسائل البشرية.

عندما يُساعَد الإنسان لكي يؤمن بالله والحياة المستقبلة-الأبدية- أي لكي يدرك المعنى العميق للحياة فيتوب ويبدل نهج حياته، تأتيه فوراً التعزية الإلهية عن طريق نعمة الله التي تحوّله وتطرد كل ما ورثه من السيئات. هكذا حصل مع أناسٍ خيّرين تابوا وجاهدوا بتواضع وحمية فامتلأوا نعمة، وتقدسوا، وها نحن اليوم نسجد لهم بتقوى

ونسأل شفاعاتهم على الرغم من أنهم كانوا قبلاً يتخبطون في الأهواء والموروثات. فالبار موسى الحبشي، مثلاً، كان قبلاً واحداً من اللصوص، سفاك دم، من وارثي الشر، لكنه ما إن آمن بالله حتى تاب وتنسك، فتلاشت كل أهوائه وافتقدته نعمة الله وأُهِّلَ لإحراز موهبة النبوة أيضًا.

ونورد مثلاً آخر عن القديس أرسانيوس الكبير الذي كان من أكبر العائلات الشريفة في روما، فكان صاحب فضائل بالإضافة الى علومه الجامعية العليا، وقد ترك كل شيء واعتنق حياة التوبة، فافتقدته أيضاً النعمة الالهية وأُهِّلَ لمواهب كثيرة.

وبالتالي ما هو مهمّ في كل ذلك هي نعمة الله؛ أما النفس، فوحده الروحاني الموهوب يمكنه أن يساعدها بإيمان عندما يحبها ويتألم من أجلها، لأنه يعلم قدرها الكبير. فيساعِدها على التوبة ويخفف عنها بالإعتراف، ويحررها من القلق ويقودها الى الفردوس أو يطرد الفكر الذي عن طريقه يعذب الشرير تلك النفس المرهفة الحس. لا يوجد في العالم مرض أكبر من الفكر الذي يقنع الشيطانُ الإنسانَ بواسطته أنه ليس بحالة جيدة. كما ولا يوجد لهذه الحالات طبيب أفضل من الأب الروحي ذي الخبرة، الذي يبث الثقة بفضل قداسته ويطرد تلك الأفكار عن خلائق الله الحساسة فيشفي النفوس والأجساد بدون دواء بنعمة الله ويضمن لها الفردوس.

المحبة

إن المحبة الروحية هي أسمى من محبة الإخوة بالجسد، لأنها بقرابة من المسيح وليس من الأم. والذين اقتنوا هذه المحبة النقية

(النبيلة) يفيضون لطفًا، لأن المسيح في داخلهم، والألوهة ترتسم على وجوههم. ويستحيل بالطبع أن تحلّ فينا محبة المسيح إن لم نتخلّ عن محبة الذات ونقربها لله ولإيقونته[1]، مضحّين بأنفسنا من أجل الآخرين دون أن نتوقع تضحيتهم لنا.

إنّ الذين يتألّمون كثيراً من أجل خلاص العالم ويساعدون بطريقتهم (أي يجاهدون) واضعين ذواتهم بين يدي الله بكل تواضع، هؤلاء إذ يشعرون بفرح يفوق العالم، تغدوا حياتهم ذكصولوجية مستمرة، لأنهم يرفرفون داخليًا مثل الملائكة ممجدين الله ليلَ نهار. أما الذين يهملون خلاص نفوسهم محاولين إيجاد الفرح والراحة في هذه الحياة الباطلة، فإنّهم يتعذّبون باستمرار ويشتبكون بقيود العالم التي لا نهاية لها ويعيشون الجحيم وهم في هذه الحياة.

إن المتفانين، كونهم ينشطون داخل نطاق التمجيد السماوي، يقبلون التجارب بفرح، ويمجّدون الله متلقّين على الدوام بركاته تعالى، وشاكرينه من أعماق قلوبهم[2] على كل شيء، ومعبّرين عن ذلك بأسلوب روحي يليق بأبناء الله.

وبالرغم من أن الله كريم لا زال يغدق علينا بركاته بوفرة ويعمل دومًا لخيرنا، وقد صنع كل الأشياء لخدمة جبلته لا بل جعلها لخير الإنسان، من النبات الى الحيوان والطيور الصغيرة والكبيرة، وحتى هو نفسه بالذات بذل ذاته ليخلّص الإنسان؛ ومع ذلك فإن كثيرين منا -للأسف- لم يقدّروا هذا العطاء، بل هم يطعنونه دوماً بنكرانهم الجميل وبعدم إحساسهم به، مع أنه منحنا الضمير ميراثًا الى جانب

(١) أي: أخينا الإنسان
(٢) أي: تذوب قلوبهم عرفانًا بالجميل

حسناته، له المجد. إن الضمير هو أول ناموس حفره الله بعمق في قَلْبَيْ الجَدَّين الأوَّلَين، وكل منا عند ولادته يرثه عن أهله. والذين تمكنوا من ترهيف ضمائرهم بتأمل ذواتهم كل يوم، يشعرون بأنفسهم غرباء عن هذا العالم، مما يجعل أهل العالم يستغربون دقة سيرتهم. أما الذين لا يفحصون ضمائرهم فلا يستفيدون من القراءات الروحية ولا من نصائح الشيوخ، كما وأنهم يعجزون عن تطبيق وصايا الله لعدم وجود الإحساس في نفوسهم.

إن ذوي الإحساس الرهيف وذوي التفاني الذين يطبقون الوصايا والتعاليم كلها، غالبًا ما يُفترى عليهم من قبل عديمي الإحساس بداعي ما يتنازلون لهم بمحبة، إلا أن الله بمحبته لا يبرح من قربهم. وكثيراً ما يجنون هم على أنفسهم مُضَخِّمين خطاياهم الصغيرة بسبب رهافة إحساسهم، محمِّلين أنفسهم زلات الآخرين. أما الله، فهو يحملهم أيضًا بلطفه الفردوسي ويؤازرهم جسدياً وروحياً.

إن الذين يظلمون ذوي الإحساس الرهيف ليسوا من الداخل بشرًا. والذين يزعمون أنهم ذوو إحساس رهيف، محبون وكيّسون ويصبرون من جهة على افتراءات من يفترون عليهم إلا أنهم يجيبون: «ألا جازاهم الله»، فليعلموا أنهم باتوا هزأةً للشرير دون أن يفقهوا ذلك، لأنهم بهذه الطريقة يلعنون بلباقة. وكلُّنا في هذه الحياة نُمتحن، لندخل الفردوس في الحياة الأبدية. ويحدثني فكري أن هذه «اللَّعنة اللَّبِقة» هي أدنى من المعدل في الحياة الروحية.

أما جميع الظالمين، فإنما يظلمون أنفسهم الى الأبد. والذين يتقبلون افتراءات الآخرين بفرح ينالون أجرًا أبديًّا مع فائدة.

وكثيرًا ما يسمح الله الجواد أن يقع الصّالحون في أيدي الأشرار، وذلك ليتخلوا عن صلاحهم الخاص وينالوا أجراً سماوياً[١].

وسيقبض كل انسان أجرته من رب العمل الذي استأجره. فالذين يعملون للمسيح «سينالون هنا مئة ضعف وحياة أبدية». أما الذين يعملون لرئيس الظلام فإنه سيجعل حياتهم سوداء منذ الآن.

الذين يعملون للمسيح بكبرياء يلطخون فضائلهم كما يتلوث البيض المقلي إذا سقط عليه قليل من البعر، ولا يصلح فيما بعد إلا للكب مع المقلاة.

أما الذين يعملون بتواضع ويُحرزون الفضائل ويوزعون باتضاع ومحبة ما اقتبسوه بالخبرة من حياة سرية، فهم المحسنون الكبار لأنهم يقدمون حسنة روحية ويساعدون ذوي النفوس الضعيفة والمتقلقلة مساعدة إيجابية. وكذلك الذين يرمون بأنفسهم وسط العالم، من جراء محبتهم (بعدما انتزعوا العالم من داخلهم[٢]) فإنهم يطيرون الى السماء فارّين من أيدي العالم.

المحبة مع عدم القنية يساعدان كثيراً على تحرير النفس من الأهواء وعلى غنى الإنسان من صلاح الله.

طبعاً إن الناس الصالحين لا يحقدون في قلوبهم، كما أنهم لا يغلقون صلاحهم دون الآخرين. ولذا لا يقتنون أشياء جميلة ولا يتأثرون بجمال العالم، مبرهنين بذلك على حرارة إيمانهم بالله وغزارة محبتهم له.

ليس من إنسان أشد ذكاء من الإنسان المحسن الذي يعطي ما هو

(١) ما يسببه لنا الأشرار من صلاح هو أسمى بكثير مما نكسبه بجهادنا الشخصي، اللهم إذا صبرنا
(٢) أي الآباء الذين بعد أن يتطهروا ويضبطوا أهواءهم في البرية يخرجون إلى العالم لإتمام عمل البشارة فيه.

أرضي وزائل ويبتاع ما هو سماوي وغير فاسد. كما أنه ليس من إنسان أكثر جهالة من الإنسان الطمّاع الذي يجمع باستمرار ويبقى بحاجة باستمرار، وبالنهاية يشتري الجحيم بما قد جمع واقتصد. والذين يغرقون في الأمور المادية يفقدون صوابهم كلياً لأنهم أضاعوا المسيح.

الذي تسلّطت عليه الأمور المادية بات عرضة للضيق والقلق، لأنه يرتجف أحيانًا خوفاً على ثروته وأحيانًا أخرى على موته. وكذلك البخيل الذي تقرّحت يده من شدة الصرّ وانغلق قلبه فأمسى صلبًا كالصخر؛ فلكي يشفى من مرض البخل هذا، عليه أن يزور أناسًا تعساء وحزانى كي يتألم معهم، فيلزمه ذاك على فتح يده شيئًا فشيئًا ويلين قلبه الصخري ويصبح قلبًا بشريًا، وهكذا يُفتح له باب الفردوس.

إن اللطف يلينّ القلب ويفتحه كما يصلح الزيت المفاتيح المصدأة.

إن الذين يؤاسون المتألمين يقتربون من الله بشكل طبيعي، لأنه تعالى هو دائماً بقرب أولاده المعذَّبين.

إن أولاد الله المتفانين الذين يساعدون الآخرين في حملهم، يقوّيهم الله روحيًا ويعتقهم من الصلبان (التجارب).

إن الذين ينظرون الى صلبان الصدّيقين الكبيرة لا يعودون يتضايقون أبدًا في تجاربهم الصغيرة، لأنهم بالرغم من أنهم أخطأوا كثيراً فيبقى عناؤهم أقل من عذاب الصدّيقين.

إن الذين يتحمّلون الشقاء ظلماً يشبهون المسيح. أما الذين يشقون من جراء خطاياهم؛ فإنهم مغبوطون لأنهم يدفعون فدية عن

خطاياهم في هذه الحياة.

إن الذين لا يشاركون الآخرين في آلامهم، يعانون من مرض روحي هو عدم الشفقة. أما الذين ينزعجون من أنين المرضى ويغتاظون لعدم إمكانهم على التركيز، هؤلاء يعانون من أمراض روحية كثيرة.

الذين يحبّون حقًّا ويجاهدون بدقة، إنما يصبرون بمحبة مضحّين، معوَزين، ومريحين قريبهم الذي هو المسيح.

الذين يبتغون الأخذ دومًا من الآخرين دون أن يقدّموا شيئًا للغير، ويطلبون باستمرار من الله دون أن يقدموا له خطاياهم (بالتوبة عنها)، يمسون غرباء كليًا عن الله ويسلّمون نفوسهم بأنفسهم الى أيدي قاتل البشر. وبما أنهم أحبوا أنفسهم، كان لا بد أن يتورّم فيهم القلق الكبير معانين قسماً من عذاب الجحيم ابتداء من هذه الحياة.

الذين لا يضعون أنفسهم مكان إخوتهم من البشر المتألمين، يتخلى الله عنهم فيقعون بصورة بشعة ويتعلّمون حال الألم. أما الذين يتألمون ويهتمون جدًا بالآخرين، غير مبالين بأنفسهم، يقيهم الله ويهتم بهم هو والناس.

عندما يقدّم الواحد قلبه لله، تسلب عقلَه محبّتهُ، ولا يعود يبالي بكل ما في العالم. فيفكر بالآب السماوي على الدوام ويمجده كالملاك، من فرط عشقه الإلهي، ليلاً ونهاراً.

إن إحسانات الله وحدها، إذا فكر بها الإنسان، تكفي لتفجير أحاسيس القلب المتفاني، فكم بالأحرى إذا فكر الإنسان بخطاياه وبتحنن الله الجزيل! فالمجاهدون الذين يشعرون بخطيئتهم

وبإحسانات الله متكّلين على تحننه الكبير، يرفعون أنفسهم الى الفردوس بضمان أكبر وبتعب جسدي أقل، أللهم إذا كانت نواياهم حسنة.

إن الذين يجاهدون بتقوى كبيرة وبلغوا نوعًا ما حالة الملائكة ويتغذون من العسل الفردوسي، فإنهم، مع ذلك، لم يُقَرِّبوا شيئًا مهما لله بالنسبة لما قدمه إلينا، لأنهم يأكلون العسل ويقدمون له الشمع. يتناولون الأثمار الطيبة ويقدمون لله بالمبخرة صمغ الشجر. وبالتالي فإننا لا نعمل شيئًا لله ولا نقدم إليه شيئًا بالنسبة لإحساناته الكبرى لنا. فالله الجواد يصنع من فضلاتنا وحتى من السماد ما نغتذي به من الثمار الطيبة، بينما نحن البشر التعساء نحول الأثمار اللذيذة الى سماد.

كما أن لطف الله يستخدم كل شيء للخير، كذلك يجب علينا نحن جبلته أن نستخدم كل الأمور للخير، فنستفيد ونفيد.

إن الصالحين من الناس يتّعظون حتى من زلات إخوتهم البشر، فيتخذونها بمثابة لجام متين للحرص من الإنحراف. أما الأشرار - للأسف - فلا يستفيدون حتى من فضائل الآخرين، لأنهم يترجمونها وفق قاموسهم الفاسد، لكونهم باتوا كالحين من سواد الشيطان قاتل البشر. وإنهم في هذه الحال يظلمون أنفسهم والآخرين روحيًا، فيكونون دومًا في ضيق مضايقين معهم الآخرين باسودادهم الروحي. لأن الطقس القاتم لا يسبب الضيق إلا لمن يعانون من الحزن.

إن ذوي الطباع السيئة يكونون غارقين دومًا بأفكارهم. ومن جرّاء قلوبهم المجمدة يُبرّدون ويُغرِّقون بالأفكار المتألمين من الناس،

الذين يلجأون إليهم بغية التعزية. أما رقيقو القلب، فمن جراء محبتهم الروحية (النبيلة)، التي يعبرون عنها بألم شديد، فإنهم يغَرّقون بها الشياطين، ويحرّرون النفوس ويوزّعون التعزية الإلهية على إخوتهم.

إن المحبة الروحية الحارة تجاه ذوي الإحساس تجعلهم أكثر إحساسًا، أما تجاه الوقحين فتجعلهم أكثر وقاحة.

إن يتيم الأم - وإن كان على مثال القنفذ - علينا أن نحتضنه بتوجع وحب حار، لكي يشعر أولاً بالدفء فيجرؤ على فتح قلبه.

واليتيم المتفاني يجب لجمه بشدة، عندما يكون مفعماً بالحماس، وذلك حتى لا يتأذى من جراء ما يبذله من التعب تعبيرًا عن عرفانه الكبير بالجميل.

إن محبة المسيح الحارة تغذي أكثر من أي غذاء مادي آخر، وتمنح النفس والجسد معًا حراريات كثيرة، وكثيرًا ما تشفي بلا دواء أمراضًا مستعصية وتريح النفوس.

الذين لا يُضحّون بصحتهم الجسدية محبة بالمسيح، ولا يبالون براحتهم، هؤلاء لن يجدوا راحة روحية لا في هذه الحياة ولا في الحياة الأبدية.

إن الذين يضحّون بحياتهم بمحبة نقية من أجل حماية إخوتهم، يتقلّدون المسيح، ويصبحون بالطبع من أعظم الأبطال؛ فالموت نفسه يرتعب منهم، لأنهم لم يحسبوا له حسابًا، حباً بمن يضحّون لـهم، وهكذا يهزمونه بالبقاء (أي بعدم الموت)، متناولين مفتاح الأبدية من تحت بلاطة القبر ومجتازين منه الى الغبطة الأبدية بأقدام خفيفة.

من الأفضل طبعًا، أن يضحي الإنسان الحسّاس بذاته دفعة واحدة من أجل حماية قريبه، من أن يتوانى أو يتخاذل، فيلبث متعذّبًا باستمرار، بسبب تأنيب ضميره له مدى العمر.

إن التضحية من أجل أخينا في الإنسانية هي بمثابة محبة كبرى للمسيح. والذين عندهم نية صالحة لفعل الإحسان ولكنهم يتألمون من أجل أنهم لا يملكون ما يقدمونه، فإنهم يحسنون من دم قلوبهم.

إن الذين يريدون الإستشهاد أيضًا محبة بالمسيح ولم تتوفر لهم ظروف ملائمة لذلك، يمكنهم أن يقرّبوا ضحية بدلاً عن نفوسهم، هذه المحبة التي تكويهم معبّرين عنها بالنسك الجسدي من أجل نفوس الراقدين المعذبين، كي يجدوا قليلاً من الراحة.

إن غير المبالين وعديمي الشفقة الذين يفكرون بأنفسهم فقط ويتخمونها بحال يخلو من الشعور، يفعمون قلوبهم بقلق كبير؛ ومن داخلهم ينخر الدود الآكل فيبدأ شقاؤهم من هذه الحياة. أما ذوو الشفقة فكونهم يشبعون الآخرين بالمحبة، فهم مفعمون على الدوام بمحبة الله وبركاته الغزيرة.

التواضع

طوبى لأولئك الذين استطاعوا أن يتمثّلوا بالأرض المتواضعة التي تحمل الجميع، محبة بهم فيما هم يدوسونها، وتغذّيهم بحنان كأم صالحة أعطت العنصر لجبلة جسدنا. كما وأنها تقبل بفرح كامل كل ما يرمون عليها سواء من الثمار الجيدة أو من

النفايات التي تحوّلها بهدوء الى فيتامينات وتقدّمها ثمارًا وافرة للصّالحين والأشرار على السواء.

إن المتواضع - كما يبدو - يفوق بقوّته العالم، لأنه فضلاً عن انتصاره، يحمل بضمير خفيف أثقالاً كثيرة لا تخصّه. ومع إنه يعيش محتملاً ازدراء الآخرين وظلمهم - بسبب ما ينسبه لنفسه من أخطاء ارتكبها الآخرون ويتقبّلها بمحبة - فإنه يشعر بفرح عظيم لا مثيل له لمقته هذا العالم الباطل. إن الإنتهارات والتجنيات الخ... هي أفضل سكّين لمن أذنبوا وذلك لتنظيف جراحاتهم القديمة؛ أما الذين لم يخطئوا، فإنها أشبه بسكّين الجلاد التي تجعل منهم شهداء، إن قبلوها بفرح حبًّا بالمسيح.

إن الكبار بالسن الذين لا يقبلون الإنتهارات والملاحظات القاسية لشفائهم أو لنوال الأجر (إذا لم يخطئوا)، يفوقون الأطفال جهلاً، عندما يرفضون معاينة الطبيب لخوفهم من وخزِ الإبرة، فيلبثون معانين من الحرارة والسعال باستمرار.

يجب أن نكون مدينين بالمعروف لمن طعنونا، لإزالة الأشواك من نفوسنا، أكثر من الذين حفروا أرضنا مجّانا وكشفوا لنا الكنز المخبأ المجهول.

لا ينتفع أحدنا إذا سحق ركبتيه بالسجدات اللامتناهية، ما لم يحطّم أنفه بالتواضع (بالتوبة الداخلية).

من يطلب التواضع من الله ويرفض الإنسان الذي أرسله الله إليه كي يذلّه، لا يعلم ماذا يطلب. لأن الفضائل لا تشترى من عند البقّال (بالكيلو)، ولكن الله يرسل إلينا أناسًا لنمتحن أنفسنا ونعمل، فنغتني ونكلل بالبركات.

إن الذي يحني رأسه بتواضع ويتقبّل ضربات الآخرين، يشفى من دماميله ويغدو جميلاً بالروح كالملاك. وهكذا يدخل من باب الفردوس الضيق.

مغبوط من شفي من دماميله وسلك طريق الرب الضيّق حاملاً أثقال غَيْرِهِ (افتراءات وتجنيات الخ...)، تاركًا الآخرين أحرارًا يحبكون لَه الأكاليل غير البالية بالإتهامات، لأن هذا يبين أصالة التواضع الذي لا يبالي في ما يقوله الآخرون ولكن في ما سيقوله الله يوم الدينونة.

إن الذي يتكلم بأسلوب المنطق مع من يحب الإتهام، أو مع من هو ناقص العقل ويطالبهما بالتفاهم، يبرهن عن نقص في معرفة النفس، لأن محب الإتهام (سيء الطبع) هو أسوأ من ناقص العقل، لأن عقله مظلم بالسوء والأنانية. أما المتواضعون فيتحلّون باللطف والإستنارة الإلهية ولا يعثرون أبدا بما يضع الشرير في دروبهم من عثرات.

معظم التجارب، غالبًا ما نسببها نحن، وذلك إذا رمنا التدخّل بأعمال الآخرين - أي إظهار أنفسنا. لم يصعد أحد الى السماء بطرق العالم، ولكن بالنزول الروحي (التواضع). ومن يمشي على منخفض يمشي بيقين ولا يقع أبداً.

إن الذي لا يطلب النصيحة في سيرته الروحية يضل الطريق ويتعب كثيراً ويتأخر. وإن لم يتذلل في طلب النصح - ولو بعد تأخر - فمن الصعب أن يصل الى غايته. أما الذين يلتمسون النصيحة فيسلكون براحة ويقين وتسترهم نعمة الله وتنيرهم لأنهم يتواضعون.

إن الذين يجاهدون ببساطة وبأفكار حسنة ويعترفون بها كلّها متيقّنين - من جراء تواضعهم - أنهم لا يقتنون شيئًا صالحًا، بل يجاهدون بتفان؛ هؤلاء يخبّئون في داخلهم كنزاً روحياً كبيراً دون أن يعلموا به لا هم ولا غيرهم من الناس. وهكذا يصونون كنزهم من التبعثر فلا يسلب من الخارج.

إن تواضع أحد أمام الإنسان المتواضع جدًا والرهيف الإحساس، فانه يستفيد كثيرًا. بينما إن تواضعت أمام الإنسان الذي يجهل التواضع أو طلبت النصيحة أو اعترفت بزلّاتك، فلقد جعلته أكثر كبرياء وأشد وقاحة.

الإنسان الذي يخلو من التواضع ومن الأفكار الحسنة، يكون مليئًا بالشكوك والتساؤلات. واذ هو في حالة تشوّش دائم، يحتاج في البداية الى أب روحي يتحلى بصبر كبير ليعطيه أجوبة على تساؤلاته، إلى أن يتطهّر ذهنه وقلبه، فيتمكن من رؤية الأمور بوضوح.

الإنسان المتواضع والرقيق القلب، كونه نقيًا وهادئًا من الداخل والخارج فهو يتميّز بعمق روحي أيضًا، ويرى المعاني الإلهية بعمق ويستفيد منها جدًا وينمو إيمانه كثيرًا خلال عيشه أسرار الله. أما المتكبر، فعدا أنه قد استحوذ عليه الظلام، يكون من الداخل والخارج في حالة اضطراب؛ وبسبب أنانيته يكتفي بسطحية الأمور ولا يمكنه التقدّم الى العمق، حيث اللآلئ الإلهية، ليغتني روحيًا.

الصلاة

إن النفس التي لا تزال متأثرة بجمالات العالم المادي، تعي أن العالم الباطل ما زال حياً فيها، ولذا تنجذب للمخلوق وليس للخالق، للجبلة وليس للجابل، بغضّ النظر عن كون الجبلة نقية وغير ملطخة بالخطايا. وبما أن الإنسان في صلة قربى بروح الله، فالروح هذا يتحد به تعالى، بواسطة الصلاة.

إنّ ضبط الفكر (أو التركيز) في الحياة الهدوئية (في البرية) يساعد جداً في الصلاة. أما الهدوء وحده فهو صلاة سرية ومساعد قوي أيضا في الصلاة، تماما كالنَّفَس في الإنسان الذي يَجري ولا يُرى.

إن الصلاة بعد نوم قليل، تغذي النَّفْس وتمنحها، الى جانب اليقظة الروحية، يقينًا كيقين طفل في أحضان أُمه. والطفل الذي يُسرع بلهفة الى أحضان أُمه ليرضع ويرتوي من حلاوة حنانها يفوق ذكاء الكبار في السن، حين يهربون من الإتحاد بالله بواسطة الصلاة، التي يتصورونها مشقة وتكليفاً في أكثر الأحيان.

بالحقيقة ليس من أُناس أوفر غبطة من أولئك الذين أحرزوا الإتصال بالمحطة السماوية وارتبطوا بالله بتقوى. كما أنه لا يوجد أكثر تعاسة ممن قطعوا علاقتهم بالله وراحوا يجولون في العالم مترنّحين، أو شرعوا في تبديل أزرار محطّاته لكي ينسوا قليلاً ما يعانون من القلق الشديد بسبب انحرافهم في الحياة.

طوبى لمن اتخذوا المسيح في قلوبهم محوراً يدورون حول اسمه القدّوس متهللين ولاهجين به عقلياً وبلا انقطاع «يا ربي يسوع المسيح، يا ابن الله، ارحمني».

إن الهدوء (بعيداً عن العالم) يجلب الهدوء الداخلي للنفس بسرعة، إذا ما اقترن بالنسك والصلاة المستمرة. وعندئذ لا يعود الإنسان يضطرب من الضجيج الخارجي، إذ يكون الجسد وحده على الأرض، وأما عقله ففي السماء. ولقد بلغ هذه الحالة الآباء القدّيسون، أولئك الناس اللاّهيوليون الذين لا يتميّزون تقريبًا بشيء عن الملائكة، ذلك لأنهم لم يتركوا السماء أيضًا ليلَ نهارٍ بل بقوا مصلّين عقليًا وبلا انقطاع.

إنّ القلب المأسور بالعالم الباطل يجعل النفس معاقة والعقل مظلماً، وإن كان المرء ظاهرياً يبدو كإنسان إلا أنه في الجوهر ساقطٌ روحياً.

إن السهرانية المقرونة بالصلاة تعطي صحة وحيوية للتقدم الروحي، لأنها تنقي الذهن وترقّقه، تذلل الجسد غير المنضبط، تدفئ القلب بمحبة الله فتتقبل النفس النعمة الالهية.

إن الصلاة الليلية تفيد أكثر من صلاة النهار، كالمطر الذي يفيد النبات أكثر من مطر النهار.

إن الذين يجاهدون في السهر مع نعس قليل، يحرّكون أحشاء الله أكثر من الذين يشبعون من النوم ولا ينعسون. والذين ينامون على كراسيهم هم أفضل بألف مرة من الذين ينامون على أسرّتهمُ، لكن ينبغي ألا نستهلك كل قوانا بأمور باطلة مآلها الغبار لنقدم لله، فيما بعد، تعبنا مفعماً بالتثاؤبات كذبيحة قايين[1]. أما عندما يكون للتعب عذر ويحاربنا النعس، فمن الأفضل أن يغافلنا النوم دقيقة أثناء السهرانية ويغادرنا بشكل طبيعي، من أن نطرده مسبقًا بالقهوة

(١) تكوين ٤: ٣

فتضطرب أعصابنا، وبالأخص إذا كانت طبيعتنا غير هادئة. من الأفضل أن يسهر الواحد ساعات أقل وتكون صلاته نقية من أن يصارع الليل حتى النهاية دون فائدة روحية ثم يقضي النهار كله مستلقيًا كالميت.

إن الإبتعاد عن الضجيج العالمي، وأيضاً عن الإزدحام البشري - وإذا أمكن للإنسان أن يكون وحده - يساعد كثيرًا على ممارسة الصلاة النقية. وعندما يشعر الإنسان بوحدته، تتحرك النفس بارتياح ويتصدع القلب أمام الله بتقوى، وتتشقّق قشرته القاسية شيئًا فشيئًا. وبعدما يطرحها عنه يبدأ بالشعور، ليس فقط إذا فكر بالله، ولكن أيضاً عندما يسمع اسمه تعالى أو يراه مكتوبًا، فيرتكض قلبه فرحًا ويقبله بفائق التقوى. هذا ما يحصل معه أيضاً لدى سماعه باسم المسيح أو باسم العذراء الفائقة القداسة، فتتحلّى نفسه داخليًا.

يناسب الراهب أن يكون وحده، وأن يجد راحة أكثر في الصلاة عندما ينفرد في قلايته. فاسم الراهب يطلق على من يحيا وحده مع الله ويناجيه بدون انقطاع، وليس من يتحدث مع الناس؛ لأن الأحاديث الدنيوية تشوّش الروح، وبمجرد سماعها يتعرقل المرء في الصلاة المتواصلة خاصة في بداية جهاده. لذا فالإنتباه ضروري جدًا في البداية لضبط الفكر، وفيما بعد فللإنتباه من عدم الوقوع في الضّلال.

إن القراءات الآبائية تساعد كثيرًا، لأن الآباء القديسين يترجمون لنا الإنجيل من خلال حياتهم فيه. وتساعدنا القراءات أيضًا على التأمل الداخلي في خطايانا، ونكراننا للجميل مقابل إحسانات الله الكثيرة. وكل ذلك يؤول بنا الى التواضع ويجلب لنا نعمة الله. فالمطالعة الروحية تبعث الدفء في النفس وتحثها على الصلاة وعلى

الجهاد بتفانٍ كبير. أما التأمل في ذواتنا فيجلب لنا التواضع ويدفعنا الى الصلاة التماساً لرحمة الله. لذا قبل البدء بعدِّ المسابح، حسن أن نَعدّ خطايانا وإحسانات الله الجزيلة.

أما فيما نحن نصلي، فإذا تشتت الذهن بأمور رديئة أو هاجمتنا أفكار رغم إرادتنا، علينا أن لا نستخدم حرب المماحكة ضد العدو؛ لأنه لو اجتمع كل المحامين ضد شيطان صغير واحد لما تمكنوا من إقناعه بالنقاش؛ أما إذا اتبعنا أسلوب الإستخفاف به فيجعلنا قادرين على طرد كل الأفكار الغير اللائقة، وخاصة أفكار التجديف. أما الشيطان سينجح عندئذ لفترة طويلة من الزمن ولكن بعدها يضمحل بالكلية. والجدير بالقول أنه ينبغي على الإنسان ألّا يتضايق من التجاديف الشيطانية التي تحارب فكره، بل أن يحزن على خطاياه الشخصية راجيًا تحنُّن الله اللّامحدود. لأنه حيث فقدان الرجاء بالله هناك يبرز ذَنَبُ الشرير.

إذاً ولكي نضبط ذهننا في القلب ساعة الصلاة، علينا أن نمسك تنفّسنا قليلاً ولكن ليس باستمرار، لأن القلب يتأذى من الضغط الجسدي ولا يتطهّر طبعًا بمثل هذا الضغط، بل بزفرة توبة ملؤها التفاني تخرج من أعماق القلب فتأتينا بتعزية إلهية. أما الضغط الجسدي فيسبب اليأس والقلق الذي ينتج عن محاولة الشخص لاقتحام نفسه بأنانية وعدم تمييز.

عندما يجاهد الإنسان وهو على الرجاء، تأتيه التعزية الإلهية وتشعر نفسه شعوراً قوياً بمؤانسات محبة الله، فينجذب قلبه الى الله وتجري المسبحة بفرح بفعل تلك الحرارة الإلهية. أما في البداية فيحتاج الإنسان، طبعًا، الى المثابرة والتفاني الممزوج بالتمييز حتى تسيل الزيوت الروحية وبعدها يبدأ الصلاة دونما انقطاع.

إن التنوع في السهرانية يساعد كثيراً. فإذا كان الإنسان يسهر وحده فليبدأ أولاً بالسجدات الكبيرة فالصغيرة ثم بالصلاة جالسًا أو راكعًا. ومن ثم يكرر هذا الترتيب تبعًا لعدد الساعات التي حددها للصلاة. إن هذه الطريقة تساعد كثيرًا لأنها تعطي حيوية روحية وتقصي التعب من خلال التنوع بين السجدات والحركات الأخرى في السهرانية. وكذلك فإنها تطرد النعاس وتجلب الصفاء الروحي وقت الصلاة.

إن الإكثار من العمل وما يسببه من تعب وشرود، خاصة إذا تمَّ باستعجال، يبطل اليقظة ويجعل النفس كالوحش. لأنه اذا أُبطلت الصلاة ومعها الواجبات الروحية، يستولي العدو حينئذٍ على «قممنا الروحية» ويحاربنا بكِلا الجسد والأفكار، فيعطّل قوانا الروحية والجسدية ويقطع شركتنا مع الله، فتقع نفوسنا أسيرة لأهوائنا.

أما العمل بتمييز - خاصة بالنسبة للمبتدئين - فيساعد كثيرا، لأنه يؤتي الإنسان صحة مضاعفة وبركة من الله. فبالإضافة إلى أن الراهب يقتصد بواسطته ما تحتاجه نفسه، يمكنه أيضًا أن يوزع بركاته على الآخرين، وبهذا يتمجد اسم الله ويغفر لأخصائه الراقدين خطاياهم. كما أنه يُفرض على الراهب أن يكون ذا نبلٍ روحي، أي موزّعاً بركات على الآخرين من عمل يديه وليس متكلاً على أتعاب الآخرين ليعيش، خاصة إذا كان شاباً وبصحة جيدة، لأن النبل الروحي يساعد كثيرًا، إذ إنه يعطي النفس أجنحة ويجعل الجسد يتغذى بالسلام الداخلي وبقليل من الطعام.

إذا أُنجز العمل اليدوي، بهدوء وصلاة، يتقدّس ويقدس الناس الذين يستفيدون منه. أما إذا أُنجز على عجل وبعصبية فإنه ينقل هذه الحالة العصبية الى الآخرين؛ لأن ما يُعمل بسرعة وجهد فهو

من مميزات أهل العالم.

يليق بالراهب أن يكون متحلياً بالسلام الداخلي والخارجي، وبالتقوى والصلاة المستمرة من أجل تقديس نفسه ونفوس إخوته الذين لا يجدون فرصة للصلاة.

عندما يكون العمل اليدوي مُضجّاً بطبيعته في بعض الأحيان، فإن الترتيل ببطءٍ يساعد النفس كثيراً الى أن تبلغ حالة الذهول الإلهي ولا تعود تتأثر بالعمل سواء أسمعت الضجيج أم لا. ومن المحبّذ أن يكون العمل اليدوي بسيطًا كي تعتاد الأيدي عليه دون الحاجة الى الذهن.

وينبغي الإنتباه كثيرًا لئلّا نستنفد كل قوانا الجسدية في العمل اليدوي فنعجز عن إتمام واجباتنا الروحية، أو نكتفي بإتمامها دون رغبة، مترقّبين صليب المسبحة لننتهي به السجدات، التي تساعدنا أكثر من كل الجهادات الروحية الأخرى.

بإحناء الركب نسجد أمام الله بتواضع ونسأله الرحمة والمسامحة عن خطايانا، وهذا ما يُسمى بـ«المطانيات» (توبات). إن المطانيات المقدّمة من أجلنا نحن، أو من أجل إخوتنا، أحياءً كانوا أم أمواتاً، إنما تشكل العمل اليدوي الأسمى من كل الأعمال الأخرى. هذا عمل في حقل التوبة لا مثيل له، أللّهم إذا قام به الإنسان بروح التفاني[١]. أما إذا تفاقم تشتّت فكرنا وضياعنا، بل انشغالنا بأمور أخرى تافهة وثانوية، فإننا نخسر نفوسنا في آخر المطاف.

إن كثرة المطانيات تتمّ عادة، عندما يتحرك القلب عرفانا بالجميل نحو الله. لأن النفس تعبر عن عرفانها برفرفة أجنحتها الخارجية،

(١) φιλοΤιμο

بالمطانيات، التي تجلب النعمة بوفرة وتساعد على اللّاهوى الجسدي.

إن المطانيات الكثيرة في البداية تصلح نتوء البطن السمين وتمنح الإنسان القدرة على تسلّق المرتفعات الروحية براحة كبيرة كما يتسلق الإنسان الجبال المرتفعة من دون تعب.

بدون جهاد نمسي جامدين أو بطيئي الحركة؛ ولكن يد الله ترفعنا الى السماء مجاناً، أللهم إن كنا ذوي تواضع كثير على الأقل. أما اذا تعرينا من التواضع - «يا ستّار» - فسنهبط سريعاً من فوق. حسن أن يجاهد الواحد كثيرًا ولكن بتواضع أكثر دون أن يفحص الآخرين ودون أن يدين أحداً سوى نفسه، أللهم إن شاء أن يقتني صحة روحية.

يستطيع ذوو الأمراض الجسدية العاجزون عن الجهاد أن يجاهدوا روحيًا عن طريق الصلاة متذكرين آلام الرب المقدسة فتزول أهواؤهم النفسية وتحلو عندئذ آلامهم ممجّدين الله بصبرهم الذي يمنحهم إكليل الشهادة.

أما عند إتمام القانون اليومي، فإن كان أحدٌ لا يستطيع تأدية ما ترتب عليه من سجدات كبيرة، فليكتفي بالصغيرة؛ وإن تعذّر عليه ذلك فليردد، على الأقل، صلاة الرب يسوع دون أن ينام إلّا إذا كان مريضاً أو معذوراً. علينا أن نفحص أنفسنا دوما لنعلم إن كنا فعلاً معذورين، كي لا تؤول نفوسنا الى عدم الإنضباط الروحي فيفاجأنا العدو الذي لا ينام أبدًا والذي يفكر على الدوام في إيجاد الفرصة لأذيتنا.

لذا، عندما نرى أنفسنا أحيانا مخدَّرين روحيًا وقلوبنا متجمدة،

علينا أن نزور إنسانًا مجاهدًا لإزالة التخدّر عنا، أو إنسانًا موجوعًا ليحمل بآلامه قلبنا على التحسس بالألم فيهِبَّ للمساعدة بمحبة، ومن جراء ذلك يذوب عنه الجليد.

عندما يتمتع الإنسان بصحة روحية جيدة ويبتعد عن الناس، بغية مساعدتهم أكثر عن طريق الصلاة، فيجد بالتالي أن الجميع قديسين وليس من خاطئ سواه.

أبّان هذه الحالة الروحية الجيّدة تساعد البرّية كثيرًا ليسلّم المجاهد ذاته لله تسليماً كلياً خالياً من التشتّت فيصير «فاضي الرأس» وتقوم النفس بقفزات روحية كبيرة. ولكن ينبغي الحرص الشديد من الضلال، وأن يكون رأس الإنسان (عقله) محصَّناً لئلا يبث فيه الشرّير فكر الكبرياء ويخدعه بتخيّلات وأنوار كاذبة لا ترفعه الى الفردوس بل تحدره الى الهاوية؛ لأن الشرير يُري الهاويات حدائق مستخفًّا بمخلوقات الله الضعيفة. ولكن الذي يتميز بمحبة روحية لا يسعى في هذه الحياة لرؤية أنوار حقيقية، بل وراء رحمة الله الذي يمنح كل ما تحتاج إليه جبلته.

إن حياة الاخوة في دير «الشركة»[١]، إذا تآزروا مع بعضهم البعض ولم يسبّبوا العثرات لأحد، تكون سيرتهم أضمن من حياة الهدوئيين المتوحدين، لأنهم بأقل ما يمكن من النكران الذاتي يستطيعون أن يُحرزوا تقدماً روحياً ملحوظاً. بينما المتوحد الهدوئي[٢] ينبغي أن يتميز بنكران ذاتي كبير وأن يحفر قبره بيده قبل أن يباشر عمله في الجهاد الروحي بتواضع وتمييز شديدين وبانتباه مستمر وصلاة غير منقطعة.

(١) مجموعة رهبان يعيشون تحت طاعة أب روحي وكل شيء عندهم مشترك.
(٢) اي الذي يعيش في قلاية وحده.

إن المبتدئ الذي يترك ضمانة الدير ويحبس نفسه بأنانية في قلاية متشبهاً بالنساك يشبه من يحبس نفسه في قفص المجانين، لأنه سيقع أسير القلق والأفكار الشريرة إن كان طبعه سريع التضايق وميالاً الى الإنزواء. وإذا بقي فيه بعد ذلك قليلٌ من التواضع يعود الى ديره فيخلص. أما إذا لبث مصرًّا على رأيه فسيهلك حتماً.

إن مسيرة الراهب الطبيعية هي: أن يطيع أولاً، ثم يتعلَّم ويجاهد بتواضع ويلتمس رحمة الله بتقوى. بهذه الطريقة يرتقي الى الجلجلة شيئًا فشيئًا، وبعدما يُصلب ينهض روحياً ممجداً الله ومغتبطاً كالملائكة.

أما الذين يعيشون الحياة الرهبانية بطريقة دنيوية، أي بفصح دائم دون المرور بالصوم الأربعيني وبأسبوع الآلام فسيستحيل عليهم القيام روحياً وهؤلاء لن يمكنهم أن يحبوا المسيح، لأنهم لم يتألموا معه حتى يشعروا بآلامه ويذوقوا فيما بعد حلاوة حبه فيغدوا، من جراء عشقهم الإلهي، كالمجانين منجذبين نحو السماء.

تالياً، فإن الراهب الذي لا يسلك الطريق الطبيعي للحياة الروحية، أي الصلب والقيامة، لكي يختبر الأحداث الفصحيّة الروحية السماوية، فهو أشقى أهل العالم. لأن أهل العالم، بسبب الضيق الذي يتحملونه في العالم، يمكنهم أن يفهموا شيئاً من العشق الإلهي إن كلمهم أحد عنه، بينما أولئك الذين انطلقوا بهدف المحبة الإلهية والأفراح السماوية (أي الرهبان)، فإنهم بمجرد النظر الى الأفراح العالمية (طبعا التي لا تعثِّر) يلبثون في نصف الطريق نظير امرأة لوط (تكوين ١٩ : ٢٦) فتتصلّب قلوبهم كالحجر ويتعثرون حتى من عبارة «العشق الإلهي» التي يسمعونها في كتب كنيستنا.

مثل هؤلاء هم بحاجة كبرى للصلاة لكي يُظهر الله فيهم معجزاته ويُحوّل قلوبهم المتحجرة الى قلوب بشرية روحية تعشق الله، الذي وحده يستطيع أن يقيم من الحجارة أولادًا «لإبراهيم»، كما جاء في الانجيل (متى ٣: ٨).

اللّاهوت

اللّاهوت هو كلام الله (λογοσ τoυ θεoυ)، الذي تعرفه النفوس النقية المتواضعة والمتجددة روحيًّا، وليس الكلام المنمّق الناجم عن تفكير الإنسان، الذي يصوغه بحسب الفن الأدبي معبرّاً عنه (بإنشاء) لغوي وروح حقوقية أو عالمية.

إن الكلمات المُصاغة لا يمكنها أن تتكلم في النفس البشرية، إلا إذا كان السامعون دنيويين جداً ويُعجبون فقط بالأحاديث الجميلة. لذلك تُشبَّه هذه الكلمات بالصنم الجميل الأبكم.

إن اللاهوت الذي يُدرَّس في الجامعة يفحص عادة الأمور تاريخيًّا وبالتالي يُفهم من الخارج فقط. ولما كان النسك الآبائي والحياة الداخلية مفقودين منه، كان لا بد من أن تشوبه احتمالات وتساؤلات كثيرة؛ لذلك يستحيل على الإنسان أن يفهم بعقله الطاقات الإلهية، ما لم يتدرّب على عيشها أولا لتتفاعل في داخله كلمة الله. ومن يعتقد أنه يستطيع أن يعرف أسرار الله بالنظريات العلمية الخارجية فقط، يشبه الجاهل الذي يريد رؤية الفردوس بالمرقب. أما الذين يتدربون آبائيًا فيصبحون لاهوتيين عمليًّا بافتقاد نعمة الروح القدس. والذين من بين هؤلاء حصلوا على العلم

والمعرفة الخارجية، بالإضافة الى أحوال النفس الداخلية، يمكنهم وصف الأسرار الإلهية والشرح الصحيح، تماماً كما فعل كثير من الآباء القديسين. وإذا لم يصبح المرء من أفراد العائلة الآبائية المقدسة ورغب في الترجمة والكتابة، فإنه سيتجنّى على القدّيسين ويؤذي نفسه والناس بإنتاجه الروحي العكر.

كذلك ليس جيداً أن يتكلم الإنسان بلاهوت وحياة غيره لأنه سيشبه عندئذ إنساناً عاقراً تبنّى أولاداً غرباء، معتقداً أنهم أولاده، لكي يظهر أبا لأولادٍ كثيرين. إن الآباء القديسين أخرجوا الكلمة الإلهية من قلوبهم وأطلعونا على خبراتهم وحروبهم الروحية ضد الشرير ومن نيران تجاربهم التي اعترفوا بها أو كتبوها لكي يساعدونا نحن فيما بعد، وذلك بدافع محبتهم التي لم يستأثروا بها، ناهيك عن التواضع وجميع المواهب الإلهية التي أعلنوا لنا أنها من الله.

إن الذين ينسبون نعم الله إلى ذواتهم هم أكثر الناس وقاحة وظلماً لأنهم يتعدّون على الله، لا بل بالأحرى على أنفسهم. وبسبب غرورهم الكبير ونكرانهم لفضل الله يُحرمون النعمة الإلهية كي لا تزداد دينونتهم، وكي لا ينهاروا.

الذين يشكرون الله على كل شيء ويراقبون ذواتهم بتواضع، ويتتبعون بلطف صنائع الله ومخلوقاته بمنظار لاهوتي يصبحون أشد اللاهوتيين إيمانًا وإن كانوا أُميّين، شأن الرعاة الذين يتتبعون حالات الطقس ليلاً ونهاراً فيصبحون من أفضل علماء الفلك.

إن الذين اقتنوا البساطة والنقاوة الداخلية بفضل بساطة معيشتهم ولطفهم وتفكيرهم الصالح يرون ما هو فائق الطبيعة بسيطاً جدًّا وكأنه طبيعي، وذلك لان كل شيء، بالنسبة لله، بسيط، إذ لا

يستخدم قوةً كبيرةً لما هو فائق الطبيعة، أو قوةً صغيرةً لما هو طبيعي، بل يعمل بنفس القوّة في كافة الأمور. فكل شيء بالنسبة إليه بسيط لأنه هو بسيط؛ وقد برهن لنا عن ذلك إبنه على الارض ببساطته المقدسة!!!

وإذ تتحقق الطهارة في الإنسان ويقتني البساطة مع الإيمان الحار والتقوى، يصير مسكناً للثالوث القدّوس. وبفضل تلك الإستنارة الإلهية التي يحصل عليها يجد مفاتيح المعاني الإلهية فيفسّر بسهولة روح الله بطريقة بسيطة وطبيعية جدًّا دون اللجوء الى التفكير العقلاني الذي يؤلم الرأس.

وهكذا فالإنسان، بالنسبة لما هو طاهر أو رديء يقدِّم تفسيره، وبناء عليه يُعرف إن كان يستفيد أو يتأذى، يُفيد أو يُؤذي. وكثيراً ما يؤذي لعدم خبرته، حتى ولو انطلق بنيّة حسنة. مثلاً: إذا كان يجهل أنه يوجد خمرة بيضاء وصب فيها صباغاً أحمر بقصد صبغها لتصير أجود، لا شك أنه سيسمّم الناس. وإن كان أيضًا ذا خبرة وعديم الشر، ولكن عدله ومنطقه هما بحسب المفهوم البشري، فإنه سيتعدى على روح الله، عزَّ وجلّ، فيؤذي نفسه والآخرين.

نرى في الإنجيل أن العدالة البشرية بمنطقها، دفعت عملة الساعة الأولى والثالثة الى الإحتجاج[١]. ولكن الله العارف خفايا القلوب، بعدله الإلهي الدقيق، دفع لعمال الساعة الحادية عشرة، علاوة على إجرتهم، ثمن القلق الذي عانوه قبل إيجادهم عملاً. إنه لحق أن يعطي الله وبدافع عدله الإلهي، الفائض بالتحنن والمحبة، لعمال الساعة الحادية عشرة أجرة أكثر، لأن هؤلاء المساكين قد عانوا نفسيًا وتكبدوا أكثر من أولئك الذين اشتغلوا ساعات أكثر وتعبوا

(١) متى ٢٠: ١-١٥

جسدياً. فأنّى لنا نحن البشر التعساء أن يسع عقلنا المحدود عدلاً إلهيًا كهذا؟ وأنّى لمحبتنا الضعيفة أن تشمل محبة كهذه والتي لا نهاية لها؟ لهذا حددت محبة الله أن يُعطى الجميع وبالتساوي إجرتهم بحسب الشرط المتفق عليه كي لا يعثر أولئك الذين أحبوا أنفسهم أكثر من الآخرين. وفي قوله لهم: «ما ظلمتكم، كذا تشارطنا...» فقد قصد بذلك: «أني سيد ومحبتي محبة نبيلة وعدلي عدل إلهي لا يمكنكم فهمه» ولكن ليس: «أني سيد ولا أحسب لأحد حسابًا». لأن الله أب لنا ونحن أولاد له، ومحبته الأبوية إنما يعرفها جميع الناس، فقد صلب الرب لكي يخلصنا ويعيدنا الى الفردوس.

إن استطعنا التخلي عن ذواتنا (عن حب الذات)، فذلك يعني أننا قد تحررنا من جاذبية الأرض ورأينا بعين إلهية حقيقة الأمور رؤية نقية عميقة. لذا من الضروري أن يخرج الإنسان أولاً من العالم الى البرية ويمارس هناك النسك بتواضع وصلاة عميقة ليعتق من أهوائه ويزيل الصدأ الروحي فيصير عنصرًا موصِلاً للنعمة الإلهية وهكذا يغدو لاهوتياً حقيقياً.

إن لم ينزع كل واحد الصدأ عن أسلاكه الروحية فانه سيبقى في حالة احتكاك (تماس contact) مفعماً بنظريات دنيوية وشكوك وتساؤلات. وعندما يكون أحد على هذه الحالة لا يستطيع أن يتكلم بالإلهيات، بل يتحدث عنها من حس أدبي، تاريخي، حقوقي أو علمي. فمثلاً لا يهمه سوى معرفة عدد المسامير التي بُجّن بها المسيح، إن كانت ثلاثة أم أربعة، وعدد الجنود الذين كانوا عند صليب المسيح، دون أن نفحص بعد ذلك ما هو ذات أهمية، ألا وهو، إن كان المسيح قد صلب من أجل خطايانا ليخلصنا، وتحمل الآلام أكثر من جميع القديسين الشهداء، الذين قد يعينهم كإله على

تحمل الآلام، وأما هو فلم يستعن في آلامه بقوة قط، محتملاً لفرط محبته الآلام الرهيبة مبجّن اليدين والرجلين بالمسامير. فإن كانت رجلاه قد بُجّنتا بمسمار واحد أو بمسمارين، فهذا ليس مهماً ما دام قد ثقبت رجلاه الإثنتان واحتمل الآلام وشرب المر لكي يحلّينا مجدداً وأبداً في الفردوس واضعاً إيانا الى جانبه كأب محبٍ متحنّنٍ.

آباء الكنيسة

إن الآباء القديسين، قديماً، كانوا يهرعون الى البرّية أولاً ويسلمون ذواتهم لأيدي الله مجاهدين لخلع أهوائهم دون أن يضعوا تصميماً أو مخططاً لحياتهم. وكانوا يبتعدون عن كل رتبة أو سيادة رغم بلوغهم القداسة، إلّا إذا دعتهم الكنيسة الأم فكانوا يطيعونها متممين مشيئة الله وممجدينه بسيرتهم المقدسة. يعني أنهم كانوا يصبحون من الروحانيين الموزعين الدم الإلهي الذين بلغوا حالة روحية جيدة في البرية بالطعام الروحي والإرشاد الآبائي والسهر.

أما في عصرنا الحاضر، فإن الكثيرين بيننا، ويا للأسف، متأثرين بالمحبة الدنيوية الفارغة من الروح، يبادرون الى إعطاء الدم، ودمنا مليء بالجراثيم الروحية، ظانين أنهم يعملون خيراً، فيسببون أذىً للآخرين أكثر فأكثر.

فلو عشنا آبائياً لكنّا جميعاً بصحة روحية جيّدة، ولحسَدنا عليها جميع المنشقّين عن الأُرثوذكسية فتركوا ضلالاتهم السقيمة وخَلُصوا دون كرازة. أما الآن فأولئك لا يتأثرون بتقليدنا الآبائي المقدس لعدم استمرارية آبائيتنا مع قديسينا وأصالة أهليتنا.

لقد كثر الكلام في عصرنا ويا للأسف، وازدادت الكتب وقلّت الخبرة في الحياة، لأن الناس آثروا الحياة الدنيا السهلة وراحة الجسد. ومعظمنا يستمتع بالمطالعة مع شيء من التطبيق أو عدمه. ونكتفي بالإعجاب من مجاهدي كنيستنا القديسين غير آبهين بما تكبدوه من تعب، بما أننا لم نعد نتعب لنتمكن من فهم مشقاتهم فنحبهم ونجاهد بتفانٍ للتمثل بهم.

أما الذين يجاهدون بتفانٍ غير مبالين براحة ذواتهم، متجرّدين من كل متطلبات الأنا، فهم يساعدون الآخرين مساعدة إيجابية الى حد كبير، لأنه وبالتفاني فقط من قبل المجاهدين، يشعر بالراحة أولئك الذين يحتاجون الى المساعدة فترتاح نفوسهم عندئذ ارتياحاً داخلياً في هذه الحياة وفي الحياة الأبدية.

إنَّ الذين يسعون وراء الأسياد العالميين، دون أن يسودوا على أهوائهم، ويعرضون عليهم مصالحهم الشخصية وكأنها روحية، لاجئين فوق ذلك الى السلطات العالمية لكي تجد لهم حُلولاً في قضاياهم الكنسية، لا شك أنهم متبرئون من نعمة الله كلياً.

فلا يخدعنا الشرير مفطّنا إيانا وقائلاً: «الى قيصر أرفع دعواي[1]» فالرسول بولس كان مسلّما الى سلطة قيصر، وإذ أُعلم مسبقاً من قبل الله أنه سيكرز بالمسيح في روما أيضًا، استنجد بقيصر ليحيلوه الى روما (ليعطوه الناولون).

إذا حاول أحدنا تنظيم الشؤون الكنسية بطريقة أُرثوذكسية رامياً الى تنصيب نفسه (أسقفاً) بأفضل ما يكون، كيف سيباركه الله؟!

وينبغي علينا أيضًا أن لا نتأثر بأولئك الذين ينظمون القضايا

(١) أع ٢٥: ١١

الكنسية تنظيماً أُرثوذكسياً جيداً إن كان وضعهم في الكنيسة يخلو من الرصانة ويثيرون فيه الإضطراب سواء بمبالغتهم أو بروعوناتهم.

إن كلا الطرفين يرهقان الكنيسة الأم وسائسيها، لأن المبالغة من الطرفين عادة ما تجرح كرأس المسمار. فالذي يمسك بالطرف الأول يشبه من مسَّه شيطان أحمق (لا يهمه شيء)، والذي يمسك بالطرف الآخر يشبه مجنونًا يتميز بحماس سخيف لا يخلو من العناد، وعندئذ - يا ساتر - قد يتطاحن الطرفان ولا يستطيع أحد أن يجد حلًّا لكليهما.

أما الذين يتمكنون فيما بعد من حني الطرفين وجمعهما، لا شك سيكللهم المسيح بإكليلين غير باليين.

ينبغي أن لا نسبب مشاكل في الكنيسة وأن لا نضخِّم ما يحصل فيها من هفوات بشرية صغيرة كي لا نحدث شراً أعظم فيفرح الشرير.

إن من يضطرب كثيراً لمخالفة صغيرة ويثور بعنف بغية إصلاحها، يشبه قندلفتا سخيف العقل، إذا ما رأى الشمعة تسيل يهجم بغشم لإصلاحها، غير مبالٍ بما سيطرحه على الارض من الشمع الذائب بهجومه، محدثاً أثناء الصلاة والعبادة ما لا يوصف من التشويش والإضطراب.

الذين يسببون الإضطراب في الكنيسة الأم هم كثيرون، للأسف، في عصرنا. منهم من المثقفين الذين تمسكوا بالعقيدة عقلياً وليس بروح الآباء القديسين؛ ومنهم من الأُميين الذين التقطوا العقيدة بين أسنانهم وباتوا يُصرون عليها عند تبادل الآراء في القضايا الكنائسية، وهكذا أمسوا عنصراً مؤذياً للكنسية أكثر ممن

يحاربون أُرثوذكسيتنا من الخارج.

إنّ الذين يبرّرون شرهم بتوبيخ الآخرين دون تأنيب ذواتهم، أو ينشرون في العالم القضايا الكنسية وأموراً أخرى لا ينطق بها متذرعين بحجة: «قل للكنيسة»[(١)]، فليبدأ هؤلاء أولاً «بكنيستهم الصغيرة»، بعائلتهم أو بأخويّتهم، وإن بدا لهم حسناً هذا الأمر فليُشهّروا عندئذ بالكنيسة الأم؛ لأن الأبناء الصالحين - بحسب اعتقادي - لا يذمّون أبدًا أمهاتهم. مع ذلك - ويا للأسف - فإن كثيرين ممن يتميزون بقصر النظر يغذّون المراهقة بحشوات حربية وافرة فيستولي بها شهود يهوى وغيرهم على مدن وقرى أرثوذكسية وينمون فيها نشاطهم التبشيري. وإنّ ما دعا الكثيرين إلى أن يصيروا شهود يهوه هو هذا النهج الشيطاني في التشهير بالإكليروس والكنيسة. هذا يعرفه الآباء الروحيون ذوو التمييز الحسن. ويعرف العالم بأسره أن هؤلاء المشهِّرين لم يردوا شخصاً واحداً من شهود يهوه الى الأُرثوذكسية بهذا النهج غير المستقيم.

أما إلهنا الصالح فيتحمّلنا بمحبة. ومع أنه يعرف تعاستنا، كونه عارف مكنونات القلوب، فهو لا يشهِّر بأحد منا. كذلك يفعل القدّيسون، فإنهم لم ينتهروا إنساناً خاطئاً أمام الجميع، بل ساعدوا في إصلاح الشر بمحبة ورأفة روحية وبطريقة سرّية. أما نحن فنفعل عكس ذلك، شأن المرائين، بالرغم من أننا خطأة.

فلا عذر لأحد، يشهِّر الناس أمام الجميع ويفضح ماضيهم، (طبعًا الناس الذين أفسحوا المجال للشيطان)، فيخلخل إيمان النفوس الضعيفة إلا لمن سكنه شيطان رئيس من الرتب العليا. إن روح الشرير لا يعلن فضائل الناس بل ضعفاتهم، بيد أن الناس

(١) متى ١٨: ١٧

المُعتَقين من أهوائهم، كونهم خالين من الشر، يصلحون الشر بالخير. وإذا صادفوا أحيانًا بعض الأوساخ التي يستحيل إزالتها، يستروها ببلاطة كي لا يشمئز من رؤيتها أحد المارّين. أما الذين ينكشونها فيشبهون الدجاج.

ليس مُخلِصًا كل من يقول الحقيقة وجهاً لوجه، ولا ذلك الذي ينشرها، بل من يقتني محبة وحياة حقة ويتكلم بتمييز في حينه، ويقول ما ينبغي قوله في الوقت المناسب.

إن الذين يوبخون الناس بدون تمييز يسودهم شر وظلام روحي، ومع ذلك ينظرون الى النّاس وكأنهم جذور أشجار مقطعة. وفيما هم ينحرونها بلا شفقة أمام أعين الناس الآخرين يفرحون للتربيع الذي يفعلونه بهم، كما يفعل الحطّاب.

إن الذين يرومون الأبوة الروحية قبل الأوان، بينما لا تزال السموم الروحية محقونة في داخلهم، يشبهون السفرجل الفج غير الناضج، الذي مهما حاولنا تحليته بالسكر لا يحلو؛ وإن نجح فسريعًا يحمض. أما الأقوال الحلوة والحقائق الكبرى فلها قيمة كبرى إذا خرجت من أفواه صادقة، وصداها يؤثر فقط في النفوس ذات النية الحسنة وفي كبار الناس الذين يتميّزون بذهن نقي.

إن الطهارة الداخلية، التي تتحلى بها النفس الجميلة الصادقة، تجمّل الإنسان أيضًا من الخارج. وفضلاً عن ذلك فهي تحلي هيأته بتلك الحلاوة الإلهية التي لمحبة الله. أما الجمال الداخلي للنفس، عدا عن أنه يحلّي الإنسان روحياً ويقدسه أيضاً خارجيا ويكشفه بالنعمة الإلهية، فهو يحلّي أيضًا الثياب الرثّة التي يرتديها ويقدّس ذلك المنعم عليه من الله.

إن الإنسان المبارك الذي تبدَّل داخلياً وتقدس من الداخل والخارج له قيمة كبيرة جداً لا تساويها قيمة جميع الناس الذين يتبدلون فقط من الخارج وباستمرار (بثيابهم فقط) ويحافظون على إنسانهم القديم (كآنية أثرية) متمسكين بخطاياهم.

إن كلمة واحدة مصبوغة بالألم والتجارب، والتي تخرج من أعماق قلب إنسان متواضع ذي خبرة، لها قيمة جزيلة لا يساويها جم من الأقوال الأدبية المتدفقة من فم إنسان يحيا خارجياً، ولقد تدرب لسانه على الكلام السطحي دون أن يؤثّر في النفوس، وذلك لأن هذا اللسان هو ترابي وليس لساناً نارياً يستقي من ألسنة العنصرة المقدسة.

الكبرياء

إن أعظم المتكبّرين هو من لا يتفاخر بكبريائه، بل يتفاخر بقوله إنه متواضع جداً.

من يبرّر نفسه عند الخطأ، يحوّل قلبه الى ملجأ شيطاني ويستمر متوغّلاً في الخطيئة وستحطّمه أنانيته دون فائدة، إن لم يحطمها مسبقاً. والذي يبرر أهواءه يشتد مرضه شيئاً فشيئاً ولا يلبث أن يكشفه السعال.

من لا يدرك وضعه الخاطئ ويتفاخر بنفسه، يعاني من مرضين (روحيّين): الجرب والسَّعفة. ومهما حاول تغطية جراحاته ليظهر بلياقة فسيرعاه جلده ويفضحه الحك والخمش.

الذين لا يتقبّلون الملاحظات، حتى ممن يحبونهم، تنصب عليهم

سخريات البشر الذين يفكرون أفكاراً دنيوية، فيلبثون في النهاية معوجين ويتعطلون روحيًا شأن الألواح الخشبية التي لا تقبل جلي النجار لكي تصبح أثاثًا، فيصنع منها «السقالة» حيث تداس وتتسخ بالوحل الى أن تهترئ وتطرح للنار.

إن المتفاقم بالكبرياء إذا كان غضوباً، لن ينتفع من المتواضع إذا اتضع هذا الأخير أمامه، بل يصير أشد وقاحة في أغلب الأحيان. بينما يضمحل الشيطان أمام المتواضع. ولهذا السبب تغادر النعمة الإلهية المتكبر وتأتي الى المتواضع.

إن من يعتد بنفسه يبرهن على أنه سليب العقل (مختل). لأنه عوض عن أن يشكر الله على كل الصالحات التي منحه إياها، يعتدي عليه تعالى، إذ ينسب مواهب الله الى ذاته.

من يتكبر باستمرار يظلم نفسه باستمرار، لأنه لن يحقق طيراناً روحياً في حياته، بل يستمر في السقوط الى أن يتحطم، إذ يحتاج الى قلب منسحق وفكر متضع.

الذين لم تحدث لهم سقطات في هذا العالم يبقى فيهم كبرياء العالم بأسره ويبدو أن كبرياءهم قد تعدّى حدوده (بلغ درجة شيطانية)، فسقطوا من أعلى القمة من الجانب الخلفي (سقطة شيطانية).

الذي عظم كبرياؤه هو أسوأ ممن فيه شيطان، لأن الكبرياء لا تفتر عن نفخ صاحبها حتى ينفجر فجأة. أما الذي فيه روح شرير، عدا عن أنه يتعذب ليفي ما عليه، أو ليدّخر، إن لم يكن هو السبب، فهذا يتضع كرها أمام أعين الناس وبالنهاية يعتقه الله فتستفيد نفسه مضاعفاً.

إن الكبرياء تشكل عائقاً كبيراً لنعمة الله، وكذلك الفكر المتكبر

فإنه يدنس فضائلنا كالزرق[١] الذي إذا ما سقط على البيض المقلي يفضي به الى الكب مع المقلاة.

إن الذين يستطيعون تحمل المتكبرين دون الهزء بهم، هم أغنى الناس تواضعاً وإيماناً وعدلاً، كونهم يحتملون باستمرار ظلم المتكبرين وازدراءهم.

علينا أن نشعر أننا مدينون كثيراً بالعرفان بالجميل لمن يظلموننا ويسقوننا السموم أكثر من الذين يؤدوننا واجب التقدير بالكلام الحلو أو بالأطعمة الشهية والحلويات، لأن السموم هي أفضل الأدوية للنفس.

لا نفتشن إن كان الناس قد مرمرونا ظلماً أو بحق، عن محبة أو عن سوء، أو إذا كنا أخطأنا قليلاً أم لم نخطىء، ولكن لنقبل بفرح ما تتركه لنا التجارب من ربح روحي ونمجد الله على كل شيء ونشكر الناس على ما ظلمونا به.

إن الضربات لضرورية جداً لخلاص نفوسنا، لانها تلمّع النفس. وبقدر ما يَدْعَكُ الإنسان ثيابه ويغسلها، بقدر ما تزداد نظافة، تماماً كالأخطبوط والصبّيدج، اللّذين بقدر ما يضربا على الصخر يزدادا ليونة ويخرج الحبر منهما. بالعكس فالغنج الذي نتلقاه من جراء مدح الناس، كثيراً ما يؤذي النفوس ويسبب لها ضرراً روحياً. وإذا لم يخفِ ذوو-الفضيلة فضيلتهم فسينالون مكافأتهم في هذه الحياة الباطلة. مع العلم أنه ينبغي أن يكون المديح، الذي نواجهه، أقل مما عندنا من الفضائل كي تُرجّح كفة الميزان صوب الصدّيقين يوم الدينونة فنرى وجه الله.

(١) Κουτσουλια = وسخ الطيور

الويل لنا إن نلنا شهرة «ملك البطيخ» وكنا من الداخل يقطينا، الويل لك يا بايسيوس!

الويل ثم الويل لمن لا يتنبه فيعطي الإنطباع للآخرين بأنه قديس. هذا قد ظلم نفسه الى الأبد وحرمها من صلوات الآخرين من أجل راحتها بعد المهات. ومع أنه بحاجة ماسة الى الصلوات والرحمة من العلى، فالجميع يغبطونه كقديس. أما أنا فقد أجرمت الى نفسي، يا للأسف، ولم أفطن لهذا الأمر؛ فصلّوا من أجلي لكي يمنحني الله الصالح راحة ورضوانا.

إن الراحة الدنيوية والإطمئنان لفكرنا لا يأتيان أبدًا من راحة النفس ولا من هذه الحياة، إذ تنقصها التعزية الإلهية. كما أنهما لا يوصلان الى الراحة في الآخرة، بل يأتياننا بالعذاب الذي لا يطاق من الآن والى الأبد.

من ينجرح لأنه سقط من أعين الناس لعدم انتباهه، ولم ينجرح لأنه جرح المسيح، سيبقى جريحًا على الدوام وبدون تعزية وسيستمر سقوطه حتى يغيّر مسلكه ويتّضع، وبهذا فقط سيخلص من السقطات في هذه الحياة، ومن تلك السقطة الأبدية التي تنتظره هناك.

من يفرح إذا تباهى به الناس، تسخر منه الشياطين.

لن يجد أحدٌ ثماراً روحية البتة عند المغتر بنفسه، وإن وجد القليل منها فستكون فارغة. بينما يغدو المتواضع مسكناً للروح لأنه غني بالروح.

إن أهل العالم الذين يتغذون جسدياً بغنى المآكل ونفسيًا بأقوال المديح، يلبثون صائمين وفارغين روحياً، أما العروش والسلطات

التي يسعون وراءها فستبقى في هذا العالم الباطل، ولا يبقى منها في الحياة الأخرى سوى الأحلام التي ستزيد من عذابهم لأن تلك المناصب كانت سبباً لحرمانهم من الخيرات السماوية. أما الذين جاهدوا روحياً وفضّلوا الطعام الرخيص والكرسي المتواضع (بدل العرش) وأقعدوا ذواتهم عليها، هؤلاء إذ أدانوا نفسهم بنفسهم، فإنهم يُعتقون من حكم الديان العادل يوم الدينونة ويرثون الفردوس كأبناء لله متفانين.

ما دمنا نلتمس التبرير في هذه الحياة ونهرب من التوبيخ، فهذا دليل على أن الفكر الدنيوي ما زال حياً فينا. وإذا حزنّا بسبب التوبيخ، فحزننا لن يكون ناتجاً عن توبة، بل عن محاباة تقطر مرارة مسمة للنفس والجسد.

إذا بكى المتفاني لأنه جرح المسيح بخطاياه، يحس فوراً بالتعزية الإلهية فيتعزى بمقدار حزنه.

إن النفس المتفانية والحساسة لا تستفيد من دقة الفحص لزلاتها قبل أن تتقوى روحياً، لأن الشرير عندئذ يحاربها بما يفوق حساسيتها ليسبب لها القلق. والشرير عادة لا يحاربنا بعنف ولكن بما يستهوينا، فإنه مثلاً يجعلنا نزداد بكاء وضيقًا لكي تحزنَ النفس ويستحوذ عليها القلق. ويحارب الشرير النساء أكثر لتفاقم إحساسهن الذي يسببه لهن المحتال، إذ لا تساعدُهنَّ قلوبهن الكبرى ولا منطقهن الأدنى من منطق الرجال (في الرجال يمتاز المنطق والرجولة، وفي النساء القلب). فإن وُجدت امرأة داهية حادة الفكر بعقلها الصغير وتميل بطبيعتها الى الشر أكثر منه الى المحبة معتبرة الشر رجولية ومفخرة لها، عندئذ - يا ساتر - بإمكانها أن تفوق البابا بعصمته وموسوليني بطغيانه.

إن الشر والكبرياء هما أكبرُ عدو ويفوقان على الشيطان نفسه، لأنهما لا يكتفيان بتدنيس الفضائل فحسب بل يجعلانها عديمة المنفعة، وأيضاً يجهدان النفس ويحدرانها الى الجحيم.

كما أنّ ثقباً واحداً يفسد الطعام داخل علبة الكونسرف، إذ يتسرب الهواء إلى داخلها، هكذا واذا عبر فكر كبرياء واحد رأسنا يدخل إليه الهواء فتمسي فضائلنا عديمة المنفعة.

إنّ الأنانية في أكثر الأحيان تسبّب لنا أضراراً روحية جسيمة، لأنها إحدى نباتات الكبرياء العكشات وأشدهن عنفًا.

إذا انتفت الـ«أنا» كليًا، واستعمل البشر لفظة الـ«أنت»، «هو»، «ذاك» عمّ التواضع والمحبة، والبركة الإلهية ستسيطر في العالم، فيحيا البشر حياة الملكوت على الارض. عسى أن يمنح الله الصالح هذه البركة لمخلوقاته. آمين.

التجارب

إن التجارب التي يسمح بها الله تكون بمستوى طاقتنا، لكن الناس الفاقدي الرحمة - للأسف - يزيدونها أحيانا كثيرة بسبب سخرياتهم وإزعاجهم فننثني أمامها.

إن الهواء القوي عادة يقصف الأشجار الطريّة ويقتلع تلك التي ليس لها جذور عميقة، أما ذات الجذور العميقة فيجعل جذورها في الأرض أكثر عمقًا. بيد أن الله الصالح لا يرضى بالأسلوب الشرس والخالي من الرحمة الذي يقتلع البعض ويقصف البعض الآخر، بل هو يريدنا أن نتصرف بشفقة كعلى مثال حنوه تعالى ونقدم المعونة

لإخوتنا بكل محبة وإحساس؛ لأن الناس ليسوا بأشجار، إنما إيقونات الله.

طبعاً إن النفس لا يمكن أن يؤذيها أحد سوى الإنسان نفسه. فالإنسان، أثناء التجارب التي يفتقده بها الله، يمتحن ويتيقن وحده من حالته الروحية، فيلزم الإتضاع. وإذا تقبّل التجارب بفرح كدواء لنفسه وصبر عليها، ممجّدًا وشاكرًا الله، تحلُّ عليه نعمته تعالى. أن الله الصالح يتركنا - لحسن الحظ - عرضة للتجربة، وإلا لباتت أهواؤنا مستترة فينا وغدونا ذوي مطالب غير معقولة يوم الدينونة. فإنه إن غض طرفه عن أهوائنا كلها وأخذنا كما نحن الى الفردوس، فسوف نسبب له مشاكل هناك أيضًا. لهذا يسمح الله بامتحاننا بالتّجارب في هذه الحياة لننفض الغبار عنا فتنتقى نفوسنا بالأحزان والبكاء ونلجأ مكرهين إليه من أجل خلاصنا.

إن البعيدين عن الله هم أتعس الناس في هذه الحياة وفي الآخرة. والأتعس منهم هم الشياطين الذين ابتعدوا عن الله منذ آلاف السنين ويستمرون في الإبتعاد عنه بكبريائهم وعدم توبتهم. أما الأوسع غبطة من الجميع، فأولئك الذين أظهروا توبة كبرى بألم وانسحاق داخلي، فسحقوا بذلك العدو المتكبر وأذلوا بالنسك جسدهم غير المنضبط وأخضعوه للروح، ووهبوا السماء بتوبتهم (برجوعهم الى الله) الفرح الأعظم.

إذا سكنت الخطيئة طويلاً في الإنسان، فمن الطبيعي أن تزداد حقوق الشيطان عليه. وعند محاولة طرده وجب هدم البيت القديم وبناء بيت جديد مكانه.

إن الذين دخلهم الشيطان منذ الولادة، إذا لبثوا غير متذمرين،

ينالون أجراً كبيراً الى أن تحررهم نعمة الله. أما الذين كانوا السبب لدخوله، فيجب أن يجاهدوا بأنفسهم ليتحرروا منه.

الذين ولدوا بأهواء وراثية كبيرة وجاهدوا لقطعها محرزين الفضائل، هم أجدر بالمديح من الأولاد الذين ورثوا ديونًا من أهلهم وبعدما سدّدوها اقتنوا ثروة كبيرة فيما بعد.

ينبغي ألا تقلق في هذه الحياة بسبب تعدّيات البشر أو الشياطين، لأن ذلك لا يقلق حتى الله بالذات، ما دام يدوّنها تعالى في مصحفه ويحفظها مع فائدتها في البنك السماوي.

من ينتظر الإنصاف من البشر، لا شك يكون بلا عقل، والأسوأ منه هو ذاك الذي لا ينسى تعديات الناس عليه ولا الإحسانات التي صنعها هو مع الآخرين.

يجب أن نحس بأننا مدينون بالجميل لمن لا يشعرون بالوفاء تجاهنا أكثر ممن يشكروننا دوماً ويوفونا كامل الحق في هذه الحياة الباطلة.

إن أفضل الصلوات لنا، هي أن يَصُبَّ الناس ظلماً اللعنات علينا، ونقبلها بصمت ولطف.

إن اللعنة - طبعًا - لا تؤثر في من يعيشون بقرب الله، لأنهم يزخرون لطفاً ولا يعرفون الشر. وبقدر ما يجاد بالشر على هؤلاء الناس المقدّسين، يشعرون بفرح داخلي عظيم ويحوّلون الشر الى عنصر تقديس. أما البعيدون عن الله، لحظة يشعرون بنقصان التعزية، يصير عذابهم مضاعفاً، لأن من لا يؤمن بالله وبالحياة الآخرة، فضلاً عن أنه يبقى خالياً من التعزية، فإنه يحكم على نفسه أبدياً.

إن الذين لا يؤمنون بالله، أو يؤمنون به قليلاً، ويثقون كثيراً (بالأنا) وبأنفسهم، يكونون سبباً لدمار العالم، ولكنهم بالرغم من ذلك لا يستطيعون تحقيق مشروعهم الشيطاني، لأنه وقبل أن يتمكن هؤلاء الناس الأشرار من التجمّع، تبعثرهم الشياطين الأردياء بتناحر بعضهم بعض. فالشيطان الذي يجمعهم، لا يملك المحبة لكي يوحدّهم، ولا هم يملكون التواضع لكي يتحمّل الواحد منهم الآخر بصبر؛ وهكذا يتلاشى الشر قبل تجاوز حدوده.

إن روح العالم - للأسف - يدرّب العقل باستمرار على الشر، ويعتبر التعدي على القريب ذكاء. ومن يفعل ذلك ينال لقب «شيطان داهية»، بينما لا يهدأ هذا التعيس من المعاناة، بسبب تبكيت ضميره (الجحيم الصغرى).

إن سعير تبكيت الضمير نار لاهبة تحرق داخل النفس. فالضمير يبدأ بتعذيبها من هذه الحياة ولا يفتر كالدود عن نخرها. فإن لم يَتُبْ الإنسان في هذه الحياة ويوفي ما تعدى به على إخوته الناس، ولو بنيّته الصالحة، على الأقل، إن لم يتمكن بطريقة أخرى، فإن «الدود الذي لا ينام» سيستمر في نخر نفسه في الحياة الآخرة.

إن الإنسان غير التائب يفوق الناس كلّهم جهلاً وحماقة، لأنه فضلاً عن أنه يتعذب من ديمومة القلق، كونه لا يتوب، ليعتق من هذه الجحيم الصغرى (تبكيت الضمير) الذي يقوده الى الجحيم الأبدية الأسوأ، فانه يُحرم من الأفراح الفردوسية على الأرض التي يستمر التائب في التمتع بها في الفردوس بعد الموت بقرب الله، بدرجة أسمى.

ليس من فرح في العالم يضاهي محبة الله التي يهبها تعالى بغزارة

لأبنائه المتفانين، وهي دوماً مصحوبة بحنانه بدءاً من هذه الحياة. وبما أنها محبة تعاش ولا يعبر عنها، فكيف هي إذاً تلك المحبة الأسمى التي يحفظها تعالى في الفردوس ولا يمنحنا إياها الآن، لعجزنا عن حملها داخل قلبنا الترابي؟!

القداسة

لقد اقتنى القدّيسون القداسة بنيران التجارب وبالخبرة الروحية، التي تركوها لنا فيما بعد وقاية من حيل قاتل البشر (الشيطان). وإذ قهروا الأهواء بفضل جهاداتهم التي قاموا بها، أحرزوا أكاليل الظفر ونالوا نعمة غزيرة من لدن المسيح. والآن فإنهم يساعدوننا من السماء بشفاعاتهم. وأما نحن فمدينون لهم بتأدية الشكر الجزيل والتقوى.

من يكرم القديسين، لا شك أنه يكرم والدة الإله إكراماً جزيلاً. ومن أكرم والدة الإله يكرم الثالوث الكلي قدسه إكراما فائقاً.

إن القدّيسين لا يسيئون الفهم كما يفعل الناس، فإن أظهرنا تقوى لقديس صغير أكثر من قديس آخر عظيم فإنهم لا يتضايقون، وذلك لأنهم قدّيسون ومنزّهون عن الحساسيات البشرية. بيد أن قداستهم، كونهم أناسًا، هي أقل كمالاً من قداسة المسيح كإله. ولذا ينبغي ألا نتعثر إذا رأينا بجانب فضائلهم العديدة بعض الهفوات، التي حصلت في بدء جهادهم الروحي، ونتشبّث بها مبرّرين ضعفنا. لأنه في بدء تدريبهم الروحي كان الله نفسه هو المدرب، وكان يرفع عنهم أحيانًا نعمته ليدركوا ضعفهم البشري ويتواضعوا، فينالوا فيما بعد نعمة مضاعفة ويكونوا لنا، نحن

أيضًا، قدوة.

لكن أنّى لنا الفطنة لندرك إن كانت أغلبية الضعفات التي أظهرها القديسون فعلوها عَمْداً لكي يُموِّهوا علينا قداستهم؟ لأنه إن كان القديسون يبتاعون القداسة لما كانت لديهم قداسة وبالتالي لما كانوا قديسين.

ولذا يجب أن نوقرهم بكثير من التقوى ونُقِرَّ أيضًا أنّنا مدينون لأولئك الذين بقيت أسماؤهم مجهولة عنا لكنّهم يساعدوننا بصمت سواء أكان بشفاعاتهم أم بمثال عظمة تواضعهم الصامت. وكما يملي عليّ فكري، إنهم قد أصروا في الطلب من الله أن يظلوا مجهولين كي لا يحظوا بتكريم الناس، مثابرين على مساعدتهم «بالخفاء».

طبعاً، إن القديسين جاهدوا، كل منهم على طريقته الخاصة، وكل منهم يساعدنا بطريقته الخاصة المقدسة أيضاً، ويكلم النفس بلغتها التي تفهمها لتحصل على الإفادة.

إن القدّيسين بأجمعهم جاهدوا حباً بالمسيح. الشهداء بإهراق دمائهم، والآباء الأبرار بسكب عَرَقهم ودموعهم، مستنبطين الإختبارات الروحية، كما يفعل علماء النبات الماهرون. وهكذا ذاقوا المرّ حُبًّا بإيقونة الله (الإنسان) وتركوا لنا حصيلة جهاداتهم الروحية التي بها نستدرك الشر أو نعالج داء روحيًّا نعاني منه، فنكسب عافيتنا. وإن جاهدنا أيضًا بتفان واقتدينا بهم، نتقدس.

طبعاً إن ما حققه الأبرار من جهادات في الصوم والسهر الخ... وما كابده الشهداء من تعذيبات وآلام لا يقاس بآلام ربنا، لأن الكلّ نال مساعدة إلهية من المسيح فغدا عذابهم محلّى بمحبته الكبرى

وأصبحت مذاقة السيف لهم أحلى من نغم الكمان على عنقهم. بينما المسيح احتمل الألم بملئه في جسده الطري لفرط محبته للجبلة البشرية ولم يستعنْ قطعًا بقوته الإلهية. فإن شعر الإنسان بهذه المحبة بعمق، صار إنسانًا حقيقيًا من الداخل، وإلّا بات أقسى مخلوقات الله. فالشمس شعرت بآلام الرب وأخفت أشعتها إذ لم تحتمل رؤيته. والأرض اهتزّت لدى مشاهدتها إياه. الحجارة تفطّرت. والقبور تشقّقت بقوة فائقة وقام على أثرها العديد من الراقدين من زمن بعيد وخرجوا محتجّين على تصرف الإنسان الناكر جميل إلهه المحسن والمخلص.

وبما أننا لم نقدّم للمسيح شيئًا، فينبغي على الأقل ألا نذيقه المر، بل على العكس أن نقدّم له الشكر ونعيّد لآلامه المقدسة بكل تقوى، ونكرم القديسين الذين أهرقوا دماءهم وصبّوا عرقهم مع دموعهم محبة بالمسيح لكي نحظى بعونهم. وعند سماعنا قراءة السنكسار: «في هذا اليوم نقيم تذكار القديس فلان...» لنقف شأن الجنود بكل ورع وخشوع وانتباه لدى قراءة أسماء إخوتنا الذين استشهدوا ببطولة وشجاعة.

التمييز

إن النسك الذي يتم بتمييز، إذا رافقه التواضع والمحبة، يقدّس الإنسان بسرعة كبرى وبقليل من التعب الجسدي. بقدر ما يتقدم المجاهد روحيًا ويراقب ذاته، بقدر ما تتفتح أعين نفسه، فيميّز بصورة أفضل بين أخطائه وإحسانات الله؛ وإذ يتضع وينسحق داخلياً تأتيه نعمة الله فيستنير ويزداد تمييزاً.

إن المتفاني وشديد الإحساس لا يدعه الله يعرف حالته الخاطئة بكليّتها ولا إحساناته تعالى بكمالها لئلّا ييأس، وإنما يبين له ذلك شيئاً فشيئاً بقدر ما يتقدّم ويتقوّى. كذلك أيضاً الإنسان المتكبر لا يساعده الله على قطع أهوائه كي لا يزداد تكبُّرًا. وعندما يبلغ مرحلة الكره لنفسه من جراء تواتر السقطات ويدرك ضعفه ويتّضع، عندئذ تقترب منه نعمة الله وتساعده، فيصعد السلم الروحي درجتين - درجتين.

لذا ينبغي ألا نَزِنَ قداسة إخوتنا الناس بميزان بشري، لأن الله وحده يعرف أعماق البشر، كونه عارفاً خفايا القلوب.

إنّ ما سيحرّك أحشاء الله كثيرا يوم الدينونة، هو ما يعمله كل منا في إصلاح إنسانه العتيق.

من اقتنى الفضائل بجهاده يمتاز عمن ولد بفضائل طبيعية. ولكي يسمع الأخير «نعما أيها العبد الصالح»(١) ليس عليه إلا أن يضاعف فضائله.

طبعاً، كل منا يقتني ولو قليلاً من التمييز، ولكن معظمنا للأسف لا يستغلّه لمنفعة نفسه، بل لإدانة الآخرين وانتقادهم بالإصرار على إصلاحهم، فيتلوّث. بينما الواجب علينا أن نكون شديدين على أنفسنا ونبادر الى الجهاد بحرارة ونقطع أهواءنا فنتحرر ونحلّق الى السماء.

إن الذين لا يعزمون على بداية الجهاد بتفان، تاركين العمر ينطوي على هواه، لا يبرح عنهم الدوار ويلبثون مرضى بالنفس والجسد، وفي النهاية يصبحون عديمي الجدوى، وسيطالبهم الله بما

(١) متى ٢٥: ٢١

أعطاهم من نعم.

إن الفطن والمتحلي بالتمييز، لا يكتفي بأن يستفيد ممّا منحه الله الكريم من نِعَمٍ ولا مما يلقاه من الناس من لطف لتقدمه الروحي وحسب، ولكنه ينسب كل ما يلقاه من ظلم وازدراء الخ. . . الى شر الشيطان قاتل البشر، ويحزن فوق ذلك من أجل نهايته المرهبة وما ستلقاه نفسه، سائلاً رحمة الله.

إن لوم الذات وانتقاد النفس يساعدان كثيراً على إزالة القشور عن عيني النفس فنرى بوضوح.

إن ذوي الإحساس الرهيف عليهم أن يحترزوا من لوم النفس، لأن الشرير ينتهز هذه الفرصة ليؤدي بهم الى اليأس (لفرط إحساسهم). ولذلك عليهم أن يقرنوا لوم النفس بالرجاء بالله. وإذا وجد أحد نفسه قلقاً في هذه الحالة، فليعلم أن الشيطان أدخل ذيله (ذنبه) الى قلبه.

عندما يتألم الواحد كثيراً بسبب خطاياه أو بسبب نكرانه لاحسانات الله، لكن يبقى رجاؤه قوي بالله، ينال تعزية كبرى من لدنه تعالى.

يجب ألا نيأس، إذا جاهدنا ولم نرَ أننا نحرز تقدّمًا، بل بالعكس نجد أنه في كل محاولة تكون النتيجة صفرًا، لأننا، نحن معشر البشر جميعاً، مهما حاولنا معتمدين على قوتنا البشرية، لا نستطيع أن نأتي نتيجة إلا بالأصفار، لا أقل ولا أكثر. لكن وعندما يرى المسيح ضعف محاولتنا البشرية، يضع لنا العدد المناسب في بدء الأصفار فتصبح هذه ذات قيمة ونشعر عند ذاك بقليل من التقدم. لذا ينبغي أن نتكل على الله دوماً ولا نيأس أبداً.

من«الأنا» فقط ينبغي أن نيأس، ونحاول بمقدار استطاعتنا أن نسحقه قبل أن يسحقنا. فالذين يجاهدون بأنانية، صائمين ساهرين الخ... يشقون دون فائدة روحية، لأنهم يضربون الهواء لا الشياطين. وعوض أن يطردوا التجارب يتلقونها بكثرة، وبالتالي يواجهون صعوبات في جهادهم (فيكاد القلق يخنقهم). أما الذين يجاهدون كثيراً وبتواضع كبير ورجاؤهم عظيم بالله، تفرح قلوبهم ويجنحون بنفوسهم.

إن كل عمل بل إن كل فضيلة نمارسها، تحتاج الى تواضع ومحبة وتمييز فيكون هذا بمثابة ملح يملّح كل الفضائل، لذلك قال المسيح في الإنجيل: «كل ذبيحة تملح بملح»[1].

من الأفضل أن يتناول الواحد في اليوم وجبتين وبكمية قليلة لتكون معدته خفيفة وعقله متواضعاً، من أن يأكل مرة واحدة في اليوم فتتخم معدته وينتفخ رأسه بالكبرياء.

إن التمييز يساهم كثيراً في إدخال السلام الى النفس، السلام الذي يساهم جداً في ممارسة النسك ويؤتي النفس والجسد طاقاتٍ كبرى تفوق تلك التي يمنحها الغذاء المادي. وعندما لا يوجد سلام داخلي، فالطعام، حتى الجيد منه، يسمّم ولا يؤتي طاقة، بل وبسبب ما تفرزه المرارة باستمرار، يتأذى الإنسان نفساً وجسداً.

إن الذين يتغذّون بمحبة الله لا يبالون كثيراً بالطعام المادي، وعندما يتناولونه لا يشعرون بطعمه، لأنهم إذ ذاك يشعرون بالله شعوراً قوياً ويتغذّون ببركة محبته الحلوة.

إن شهوة الأطعمة الطيبة لها طعم (إغراء) الشرير. ومن لا يقطع

(١) مرقص ٩: ٤٩

هذه الشهوة يُصطاد بصنارة العدو ثم يُقلى بحرارة جسده. بينما اشتهاء الأطعمة الروحية يفصل القلب عن الأرضيات ويرفع النفس نحو السماويّات فتذوق طعام الملائكة. فالذين لا يلجمون قلوبهم عن الشهوات المادية غير الضرورية - لا نعني إطلاقًا الشهوات الجسدية - ولا يضبطون عقولهم داخل قلوبهم ليقدموها لله بأجمعها، تاركينها حرة، تنتظرهم تعاسة مضاعفة.

إذا فُقدت اليقظة فُقد الذهن معها من الرأس، أي أن الشيطان يكون قد سرقه فيلبث الجسد بلا عقل كجذع شجرة يابسة. وإذا جمعنا عقلنا فيما بعد يكون مثقلاً بالأقذار التي يستعملها الشرّير وقوداً لتشغيل الجذع (الجسد) ساخراً منا وراقصاً، من جراء شره، فرحًا.

ولكي لا يشرد العقل، ينبغي أن يعتاد على امتصاص اسم يسوع الحلو داخل القلب فينجح. لأنه عند غياب العقل - كما عند غياب رب البيت عن بيته - يحصل خراب البيت.

وإذا لم يكن العقل معنا، حتى ولو قمنا بالهذيذ الروحي، فإننا لا ننتفع شيئاً، بل نخسر الوقت ونتعب دون فائدة لأننا لا نستطيع أن نتذكر شيئًا، كالمطبعجي إذا كان عقله شارداً ولا يضع الحبر على الأحرف، تعمل الآلات بالهواء ولا تطبع شيئاً.

وأيضاً، إن الذين يطالعون وعقلهم ملتصق بهم ويفرحون بما يطالعونه ولكنهم لا يعملون به بغية تقدّمهم الروحي، يشبهون الفلاحين الذين يستثقلون مسك المحراث فيرتاحون في الظل الكثيف ويقرأون كتب الزراعة ويتعلّمون النظريات المتعددة فيلبثون تعساء وفاشلين.

إن النساء يجدن راحة كبيرة في القراءة، ويمكنهن أن يستفدن أكثر من الرجال لكونهن أقل منطقاً وأكثر إيماناً منهم، لكن للأسف قليلات هُنَّ اللّواتي ينتفعن ويتقدمن، لأن الأغلبية منهن إن أدركن كنه ذواتهن، يأخذن بالنحيب ويبدأن بفحص الجراثيم الروحية قبل أن يقطعن الأهواء الكبرى ويتركن الصغرى منها فتزول شيئاً فشيئاً، بنعمة الله. وبالرغم من أن أغلبية النساء تتوفر لهن الإستعدادات الكبرى للحياة الروحية، مع ذلك لا يتقدمن إلا قليلاً. نعم إن نسبة المنطق أدنى عندهن، وهذا لا ضرر فيه وحسب، بل مفيد من جهة الإيمان، بينما الرجال يزعزعون إيمانهم بمنطقهم.

إن المحبة من طبيعة النساء ويمكنهن أن يسلمن ذواتهن من كل القلب، بينما الرجال بحاجة الى ممارسة كي تخضع قلوبهم لله، وإلا لما كان بين الإنسان والصنم أي فرق.

بالتالي، فإن الاستعدادات الروحية تتوفر فينا جميعاً، رجالاً كنا أم نساء؛ ولا مبرر لنا، بل يكفي أن نبادر الى العمل بما وهبنا الله من إمكانيات، لكي نصل الى الفردوس ونكون بجانبه، فيفرح هو ونفرح نحن أيضا كأبناء له.

وكما يعاملنا الله الصالح بمحبة ولطف داعياً إيانا الى الفردوس، كذلك ينبغي علينا نحن أيضاً أن نعامل الناس على مثاله، وليس بالعنف مصمّتين ضمائرنا بزعمنا أننا بأسلوبنا القاسي نرسل نفوساً الى الفردوس.

من يعامل الناس بعنف زاعماً أنه يفيدهم روحيًّا، يفوق ديوكليتيانوس في الشر، لأن ذلك كان وثنياً لا مسيحياً.

لم ينصحنا المسيح بقتل البشر بطريقة وحشية بغية إرسال النفوس

الى الفردوس، بل علّمنا أن نساعد إخوتنا لكي نذهب معاً الى الفردوس. فالذين يصابرون آلام الشهادة من المسيحيين لهم أجر أكبر من الشهداء، إن صبروا بفرح ولم ينتقدوا معذبيهم، بل شكروهم لأنهم بالعذاب يوفون ما عليهم من الخطايا، أو على الأجر، إن لم يخطئوا في حياتهم، أو على الإكليل، الذي سينالونه بسببهم من لدن المسيح.

إن الإنسان الإنفعالي (المشحون بالأهواء) إن وبّخ أنانيا يكون كمن يضرب القدّاحة (حجر النار) فتشتعل النيران! وإن وبّخ هذا الفاقد التمييز إنسانًا رهيف_الحس جرحه في العمق، كالرجل الشرس الذي يأخذ فرشاة حديدية خشنة فينظف بها ما تفرزه عين الطفل. كذلك الذي يكرز بكلمة الله بأنانية واضطراب (بدافع من أهوائه)، يشبه القنفذ الذي يحمل حبات العنب على ريشه الشائك ليغذي بها أولاده، فبدل أن يغذيها يدميها بتحركه العصبي خاصة إذا كانت لا تزال صغيرة ناعمة.

إن الذين يتحلّون بالتمييز، تمتاز محبتهم بالنبل والتواضع، فيحلّون بلطفهم مُرَّ الحقيقة بعينه ببساطة عرضهم لها، فتأتي بإفادة إيجابية أكثر من الأقوال الحلوة، شأن الأدوية المرّة التي تفيد أكثر من المشروبات الحلوة.

إن المحبة المستترة تكشف ذاتها، لأنها تحلي الإنسان بكليته حتى من الخارج وتجمّله بالنعمة الإلهية التي لا تخبّأ بسبب إشعاعها.

إن الملاك ينشر دوما، كملاك، ما عنده من فرح وسرور سماوي. أما الملاك المستتر بهيئة ملاك، فينشر الإضطراب (الذي عنده)، أو يثير القلب جسديًا ليضلّل النفس باللذّة الجسدية موهماً إياها أنها إلهية روحية.

إن الإنسان المتواضع ولو كان عديم الخبرة، يميّز كلام الله من كلام الشيطان، لأنه يتحلى بطهارة روحية وبقربى من الملاك. أما الأناني والجسداني، عدا أن الشيطان يضله بسهولة، فإنه ينقل شره وجسدانيته ويؤذي بميكروباته الروحية النفوس السريعة العطب.

إن الإنسان المنعم عليه من الله ينقل النعمة الإلهية ويحوّل البشر الجسدانيين ويعتقهم من عبودية الأهواء ويقربهم من الله فيخلصوا.

الذين يبتعدون عن المسيح يُحرَمون من الإستنارة الإلهية، لأنهم يتركون، كالأغبياء، ما هو مشمس ويذهبون الى الظل فيبردون ويمرضون روحياً. بينما جميعنا، بالرغم من أننا قد مُنحنا من الله ما يوافق كل منا من المواهب، فإن البعض لا يعمل بها لخلاص نفسه وخلاص الآخرين، وإنما معظمنا وفي أكثر الأحيان، يستغلها لفعل الشر فيؤذي نفسه والآخرين.

إن كان الوديع أو عديم الهوى بطبيعته، يساعده طبعه قيراطاً واحدًا لكي يتقدم روحيًا، فإن الحادَّ أو الغَضُوبَ يساعده طَبْعُهُ قيراطين لما يمتلكه من قوة، أللهم إذا استخدم قوته ضد أهوائه وضد الشرير.

إن الذين اقتبسوا عادات سيئة لعدم انتباههم أثناء حياتهم في العالم، عليهم أن يتقبّلوا تذمر حرب العدو، رافضين كل الشهوات الرديئة. فإذا جاهدوا على هذا المنوال فسوف يتطهرون ويبلغون رتبة الأنقياء الذين لم يعرفوا في حياتهم خطايا كبيرة ولا اقتبسوا عادات سيئة، ولا تداهمهم الآن حرب كبرى.

علينا أن ننتبه جميعنا جداً ولا نقبل على الإطلاق «تليفونات» العدو الشريرة (الأفكار الرديئة)، وذلك «لئلّا ندنس هيكل الروح

القدس»[1] فتغادرنا نعمة الله ونلبث في الظلمة.

إن الذي يحرص على طهارته الروحية ويحافظ عليها، يحافظ أيضًا على النعمة الإلهية فتلبث رؤيته نقية، فيُحوِّل الموجود داخل مَعْمَله الروحي الجيّد وما هو غير طاهر، الى جيّد. فالأوراق غير النافعة، مثلاً، يحوّلها الى محارم نظيفة والى أوراق طباعة ودفاتر الخ... ويحوّل قطع البرونز المكسورة الى «شماعدين» صغيرة وكبيرة، والذهب الى كؤوس مقدسة. أما الإنسان الذي يقبل الشر ويفتكر به، فيحول كل ما هو حسن ونافع الى ما هو سيء ومضر. كالمعمل الذي يصدر موادًا حربية، فإنه يصنع من الذهب قذائف للمدافع وأمشاط للخرطوش، لأن آلاته قد أعدت لهذه الغاية.

لذا فلنتعرّض لكل فكر سيء ولنفعل كل ما هو خير وذلك إن شئنا تحويل مصنع قلبنا الرديء الى مصنع خير. طبعاً، ينبغي ألا يجاهد المرء بطريقة سكولاستيكية سقيمة ويغرق فيها بعد بسبب القلق (مصارعا أفكاره)، ولكن عليه أن يبسط جهاده ويتكّل على المسيح لا على نفسه. إن المسيح هو محبة ورفق وتعزية ولا يغرق أحدًا، وعنده توفر الأوكسيجين الروحي أي التعزية الإلهية. فالعمل الروحي الدقيق هو غير السكولاستيكية السقيمة التي تغرق المرء وتقلقه داخلياً وذلك بسبب الضغط الخارجي الخالي من التمييز، ذلك الضغط الذي يفجر الرأس من الألم.

وينبغي أيضًا ألا نُصِرَّ على الآخرين لإقناعهم تقبّل الطريقة السكولاستيكية موجعين رأسنا، لكن علينا أن نقول لهم الحقيقة مراراً إن كانوا يجهلونها ولا يعرفون سوى الأكاذيب - كمن يصلح مُنَبِّهًا قد فلت «رسّوره» من المحور. وحتى الذين يعرفون الحقيقة

(1) ١كو ٦: ١٩

بطريقتهم الخاصة ويجعلونها ملكًا لهم لكي يدعموا بها آراءهم، من الأفضل أن يتجنبهم المرء لئلّا يتعب مجانًا ويعطّل الحقائق الكبرى. لأن الحائط المبني من التراب لا يلتصق عليه طين من الكلس بل من التراب والقش. أما الذين أمسى الغضب والإضطراب من طبيعتهم ويهاجمون ظروفاً متعددة لكي يسود، حسب زعمهم، الهدوء والسلام الروحي في العالم، يشبهون الريح العاصف القوي الذي يضرب البحر ويقصفه بالأمواج المزبدة، فيرفعها مهدّدًا البحر بغية تسكينه، بينما تغرق السفن في عرضه وفي مينائه.

فلا نعمل إذاً من أجل تهدئة الآخرين إن كنا لا نعيش الهدوء الداخلي للنفس. ولا نطلب من أبينا الروحي أن يؤمن لنا الهدوء (السلام) الخارجي إن لم نتصافح قبل كل شيء داخلياً مع الذي جرحناه أو ظلمناه، ما دام هناك إمكانية المقابلة. وكذلك، لا نبرر خطايانا في الإعتراف حتى لا يستثقلها ضمرينا فيما بعد.

ينبغي ألا نوبّخ المتواضع ورهيف الحس توبيخاً قاسياً لئلّا يزداد حمله ثقلاً أكثر مما أخطأ، ويخشى أن يخور تحته.

يجب ألا نصرّ على إذلال الأناني والعنيد بواسطة الكلام، ولكن بالصلاة والتواضع. لأننا إن أصرّينا سيرغي ويزبد، والطرف الآخر سوف يتعب ويتضايق ويكدّه العرق.

وكثيراً ما يسبب التصرف الخالي من التمييز شراً أسوأ من تصرف المجانين الذين يفجّون الرؤوس. لأن عديمي التمييز كثيراً ما يجرحون قلوباً بكلامهم القاسي جراحاً مميتة (مؤدين بالنفوس الى اليأس).

كذلك اللياقة العالمية المغلفة بالرياء فإنها تخدع للوهلة الأولى، فإذ

يفتح المرء قلبه لصاحب هذه اللياقة يشوه تقواه أما ذلك الإنسان الدنيوي الذي لا يعرف ماهية الإحترام والتقوى. (كمن يوزع نقودًا ذهبية لأناس لا يعرفون إلا الدراخمات البرونزية).

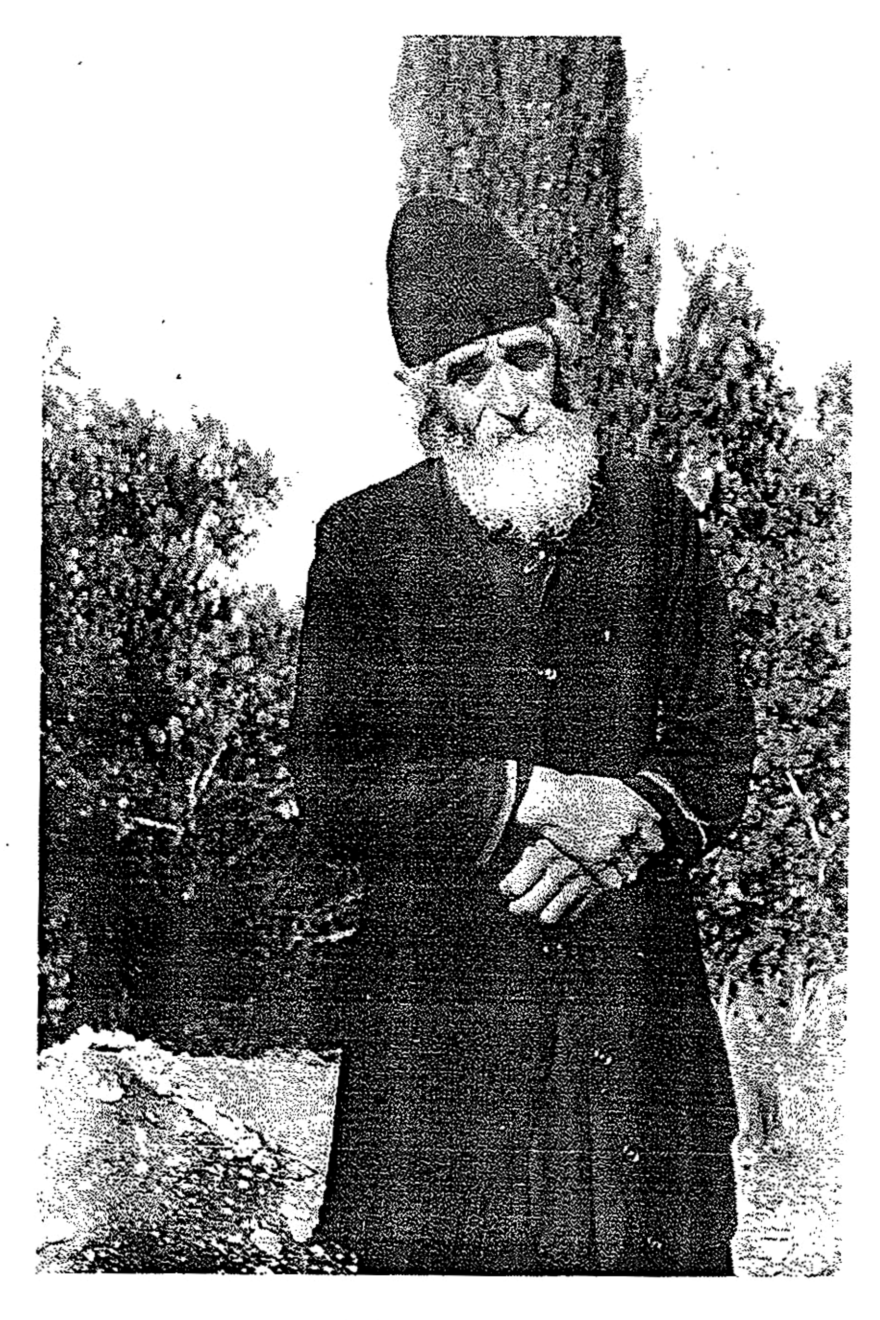
ومع أناس نعرفهم، إن لم يوجد موضوع مشترك للبحث فيه، ينبغي الإنتباه؛ لأن الحديث بعدما يبتدئ بأمور روحية، ينتهي بثرثرة نسائية. وفضلاً عن أننا نضيع الوقت فإننا نخسر أنفسنا بدينونة الآخرين، حيث لا يحق لنا أن ندين أحدًا ولا أن ننتقد الظروف، بل أن نساعد - إن أمكن - في إيجاد حل بعد نقاش إيجابي مضنك. كما لا يحق لنا أيضًا أن ندين الراقدين، لأن نفوس الناس جميعها - لحسن الحظ - هي في يدي الله وستجد رحمة على ما أعتقد.

إن ما يفرض على كل أرثوذكسي، أن يجعل غير الأرثوذكسيين يقلقون قلقاً إيجابياً، ليفهموا أنهم في ضلال ولئلا يطمئنوا لما يعتقدونه فيحرموا في هذه الحياة من غنى بركات الأرثوذكسية، ويخسروا في الآخرة أكثر بركات الله الأبدية.

وما يتوجب علينا نحن - ولنا الحق المباشر - أن ندين بشدة نفسنا الشريرة، لأننا إن لم نعاقبها بإرادتنا في هذه الحياة على ما اقترفته من الزلات، ولا قطعنا شهواتنا الرديئة سنعاقب أبديًا.

بالتالي ليس ضروريًا أن نعرف متى سيكون المجيء الثاني للرب؛ لأنه عندما يرقد الإنسان سيدان وفق ما يكون عليه يوم يفاجئه الموت.

فليعطنا الله الصالح توبة صالحة لكي نرث نحن أبناءه الفردوس الذي أعده لنا كأب جزيل التحنن. آمين.



الراهب پاييسيوس في قلاية الصليب - آثوس
(من حيث كان يكتب الرسائل)

الرسالة الثالثة

نباتات روحية



يسوع	المسيح
الغا	لب

قلاية الصليب الكريم
١٣/١/١٩٧١

أخواتي بالمسيح، باركن.

استلمت رسائلكنّ منذ أيام وفكّرت أن أرسل لكنّ بعض النباتات الروحية. طبعاً، ولا واحدة منها هي من عندي، لكن الكثير منها موجود في «حديقة والدة الاله». في حوزتي نباتات أخذتها من راهب خبير عرفته جيداً، وقد استفادت نفسي منه كثيراً. سأذكرها لكي تدركنَ جيداً نوعية النباتات التي يصفها لكل هوى بمفرده. ربما لا تحتجنها الآن، ولكن لا مانع من أن تكون في حوزتكنّ، لأننا كلنا بشر. وها إني ألفّ النباتات بأوراق لأرسلها، لكن لا الأوراق ولا النباتات من عندي.

لما كان المرض الأكبر هو الكبرياء التي نقلتنا من الفردوس الى الارض ولا تزال دائبة حتى تأخذنا من الأرض الى الجحيم، بدأت فيه.

سؤال: كيف يمكن ألا أتكبرّ أيها الشيخ وأنا أرى أفكاراً حكيمة تهبط عليّ وتثير إعجاب رفقائي بالدراسة؟

جواب: إن التي تهبط على رؤوسنا من العُلى هي من عند الله. أما التي تنزل من رأسنا، من أنفنا، فهي خاصتنا.

وسأله آخر: عندما أصلي من أجل ذاتي لكي أُعتق من الهوى، أو من أجل شخص آخر أعرفه، لماذا أحياناً يستجيب لي الله وأحياناً لا

يستجيب، مع إني أتعب كثيراً في الصلاة؟

جواب: إن الله يفحص بدقة ما مستوى تواضعنا وليس تعبنا. فإن كان عندنا كبرياء-التي بها تحصل السقطات-فما فائدة من تضرعنا إليه لينجينا من هذه الاخيرة؛ فإن استجاب الله لنا وأعتقنا منها، فما الإفادة؟ ولهذا لا يستجيب لنا الله الصالح، فربما كثرة السقطات تناسبنا لكي نتواضع. وعندما لا يشفينا من الهوى، ينبغي الفهم أنه عندنا تكبّر وعلينا أن نتوسل إليه لكي يعتقنا منه وما تَبَقّى فإنه يزول عنا وحده.

وسأله راهب: عندما كنت في العالم أيها الشيخ كنت أفضل. والآن بعدما أتيت الى الدير لماذا أنا في حال أسوأ؟

أجاب: هذا صحيح يا أخي، لأنك في العالم كنت تقارن نفسك بأهل العالم، أما في الدير فإنك تقارن نفسك بالقديسين.

وسئل مرة: أيها الشيخ، ماذا أفعل؟ إني أحسد وأحيانا كثيرة أفرح إذا شاهدت الإخوة الناجحين يخطئون.

جواب: قل: أتوسل إليك يا إلهي أن تساعد إخوتي لكي يصل كل منهم الى مستوى القديس الذي يحمل اسمه، أما أنا فلأصل الى مستوى إخوتي. إفعل ذلك وسترى قوة الله وكيف ستعمل فيك.

وسأله مرة أخ: أريد ترك الدير لأني لست مرتاحًا. أتراني أفعل حسنًا؟

أجابه الشيخ: أراهب أنت؟

- لا يا أبي. أنا مرشح.
- طبعًا يمكنك. إنما لم تقل كم سنة لك مرشح؟

- حوالي ثلاث سنوات.

- إن كنت تفكر بالذهاب الى البرية الداخلية، أعتقد أن ذلك باكرٌ جدًا. أما إن كنت تفكر بالعودة الى العالم فقد تأخرت، لأن الذين كانوا يشاهدونك مدة ثلاث سنوات هم على يقين أنك راهب فإن تجردت من الثوب الرهباني تعثر نفوساً كثيرة.

- فلماذا تجذبني هذه الأفكار الى العالم؟

- لأنك نسيت سريعاً ما قد كابدته لتتحرر من العالم. فإن حاولت تذكر ذلك سيتوقف عقلك عن تذكر العالم ويبقى ملتصقاً بالسماويات.

سئل من قبل شيخ متقدم جداً: أيها الشيخ، إن ذهني يجري وحده في يسوع ليس فقط أثناء النهار ولكن خلال النوم أيضاً. وكثيرًا ما أستيقظ والصلاة تلبث مستمرة دون انقطاع، العمل أهذا ضلال؟

أجاب الشيخ: هذا ليس بضلال يا أخي، لكنه ليس أيضاً منك. إنه عطية من الله ويجب أن تشكره وتتضرع إليه كي يمنحه للآخرين الذين هم أفضل منك. قل لله: يا إلهي بما أنك لم تأنف مني، أنا الحقير، وقد منحتني نعمة إلهية، فأطلب منك أن تمنحها لجميع جبلتك الذين هم أفضل مني.

سئل من قبل راهب آخر: عندما أُطيل السهر تداهمني أفكار سيئة فأتضايق، إذ لا أستطيع أحيانًا طردها، ماذا أفعل؟

جواب: يا أخي، إن سهرانيتك، إما ترافقها كبرياء، وإما أنك تجاهد فوق طاقتك وجهادك ليس نقياً. حاول أن لا يكون جهادك جافاً لكي لا يسبب لك مشاعر كاذبة. وحاول ألّا يراك الآخرون لئلا يؤدي بك الجهاد الى الضلال.

سؤال: كم ساعة ينبغي أن أنام؟ إن أرسانيوس الكبير يقول ساعة واحدة.

أجاب الشيخ: يقول أرسانيوس الكبير ساعة واحدة إن كنت مجاهداً، وأنا أقول لك الشيء نفسه إن كنت أرسانيوس الكبير. لكني أعتقد أن المبتدئ عندما لا تواجهه حرب ينبغي أن ينام بتمييز. وكذلك عليه أن يأكل بتمييز كي لا يكون مثل الفرّوج الخمل فيفترسه الشر. لأنه عندما يجاهد أكثر من طاقته يدخل في حالة الدوار ولا يعود يفهم ما يقرأه ولا ما يصلّيه، وذلك لأنه في ذات الوقت لا يكون قد اقتنى بعد ذخيرة روحية، فكيف يمكنه بالتالي أن ينمو ويثمر؟ لكن عندما تواجهه حرب، فقبل أن يبدأ بمعاقبة جسده بشدة، فليفحص نفسه جيّدًا لعلّ الجسد لا ذنب عليه بل السبب هو من التكبر والإدانة اللتين في نفسه. إن هذا ما نتيقنه إذا قمنا بجهاد صغير (أي بصوم وسهرانية)، وتضرّعنا الى الله ليساعدَنا لكنه لم يستجبْ، فإن هذا لدليل على أن العطل في مكان آخر.

سؤال: أتساءل يا أبي كيف أن الآباء القديسين بعدما خلعوا الإنسان العتيق لبثوا مجاهدين بحال تفوق الوصف.

جواب: يا أخي إنك تسألني عن ملائكة أرضيين وليس عن بشر. عندما يخلع المرء إنسانه العتيق يغدو متوشحًا بالله. وإذ يكون في هذه الحالة، هل بإمكانه أن يرغب في أمور مادية؟ فالآباء القدّيسون كانوا أحيانا يأكلون وأحيانا أخرى ينسون تناول الطعام. وكذلك بالنسبة للنوم. لأن حضور الله الشديد كان يغذّيهم بالحلاوة الفردوسية. وبما أنهم بلغوا هذه الحالة اللاهيولية فإنهم لم يكونوا بحاجة كبرى، كما نحن، الى الأطعمة والنوم، لأنهم كانوا مزوّدين

بِطاقات روحية لسكنى المسيح فيهم.

سؤال: كم مسبحة من المستحسن أن يعمل الإنسان؟

جواب: فلاح يزرع عشرة فدادين أرض ويحصد منها خمسة آلاف كيلو من القمح. وآخر يزرع خمسين فداناً ولا يحصد منها حتى البذار، لكنه يحصد فقط تعب يديه من المحراث.

سئل: يا أبي عندما كنت في الجامعة، كنت أعرف تقدّمي من العلامات التي أحصل عليها. أما هنا في الحياة الروحية، فلا أعرف أين أنا.

جواب: في الحياة الروحية عليك أن تراقب تقدمك من خلال أفكارك. فإن كانت تراودك على الدوام أفكار سيئة وتطردها بعد تكرارها، إعلم عندئذ أنك دخلت مرحلة التوبة وأنك تجاهد. وإن كانت تأتيك أحيانًا أفكار رديئة فتطردها، وأحيانًا أخرى تأتيك أفكار حسنة مقابل لا شيء، وإن كان عدد الافكار الحسنة عشرة مقابل صفر من الأفكار السيئة فيمكنك من خلال عدّ الوحدات، معرفة مستواك. وعندما ترى أن الأفكار الرديئة قلّت والحسنة زادت إعلم أن الأفكار السيئة بدأت بالإنعدام والحسنة بلغت بالعشرات وعلامتك قد تحسنت. وعندما تتوقف الأفكار الرديئة كلّيًا ولا يبقى سوى الأفكار الحسنة، إعلم عندئذ أن النقاوة حلّت، والقلب، المغارة، قد تطهر وتحوّل الى مغارة بيت لحم.

سأله أحد الإخوة: هل سيء أن أرد على أبي الروحي بعنف وعناد صبياني؟

أجاب: إن التيبيكون حسب علمك، مرة يقول لنا أن نكرر «يا رب ارحم» ثلاث مرات، ومرة أخرى اثنتي عشرة مرة، وأحيانا

أربعين مرة. أي إن الأهواء سيئة في كل الأعمار. وبنسبة عمر كل واحد منا يكون عدد الـ«يا رب ارحم». وما لا أستطيع إدراكه هو أنك مع كبر سنك تتميز بعناد صبياني! فإن لبثت مصراً على عنادك الصبياني، ينبغي أن تتقبل شد الأذنين والصفعة من وقت لآخر.

وسأله أخ آخر: أيها الشيخ: أنا لدي مواهب كثيرة ومقدرات ويقول لي فكري إني مظلوم، فأنا حائر من هذه الأفكار. ماذا أفعل؟

أجاب: لدى سماعي في البدء «أنا لدي» فهمت أنه ليس لديك أي شيء سوى «الأنا». وهذا «الأنا» هو الذي أضناك ويضنيك ويضني الآخرين. وعندما تزيله منك تنكسر مطرقة العدو ويتوقف عن ضرب رأسك بالأفكار، رأسك الذي جعله العدو كالتالندو (الناقوس) وعليه يطنّ بنغمات مواهبك.

سأله أحد الإخوة: ماذا أفعل بمزاجي القاسي الذي يجرح الآخرين؟

أجاب: مزاجك القاسي دِرْهُ على إنسانك العتيق ليصير صالح الإستعمال. يجب أن تعلم أنه بين الإخوة توجد نفوس مجرَّحة وبحاجة على الأقل الى تعزية، إن لم نقل الى شفاء، وليس الى المزيد من الجراح. كما أنه توجد نفوس ملائكية يجب معاملتها بتقوى. ففي نظر الله، على ما أعتقد، أن الملائكة المتجسدين هم ذوو قيمة أكبر من الملائكة في السماوات. بيد أن الشيطان كثيراً ما يسخر منا بالشكل التالي: أن نسجد بتقوى كبيرة لإيقونة الملاك، بينما قريبنا الملاك المتجسّد الذي هو إيقونة الله فنجرّحه بإهاناتنا الخ. . .

سؤال: كم ساعة يجب أن يقرأ كلٌ منا؟

جواب: هذا هو ما لا أفهمه، يا أخي. ذوو الصحة ليس أولئك الذين يأكلون كثيراً ويبتلعون الطعام دون مضغ، إنما الذين يأكلون قليلاً ويمضغون الطعام جيداً. وأيضا يجب أن يجترّ الإنسان ما قرأه ويتضرع الى الله كي يَحُلَّ عُقْرَ ذهنه باستنارته الإلهية، مبتدئاً ولادة المعاني الإلهية، عندئذ يحل عليه لسان العنصرة الناري. أما بالنسبة للقراءات الاخرى، إذا حفظناها غيبًا لكي نقتني المعرفة ونوزع ذكاء للناس دون أن نضغط على أنفسنا ونطبق ما قرأناه، فإننا ليس فقط لن نفيد الآخرين، وبل بالعكس فإننا نبذر عدم الإيمان عندما يرون أن ما نقوله لا صلة له بذاتنا.

لذا فليكن هدف القراءة التطبيق وليس الحفظ عن ظهر القلب بل من داخل القلب، وليس لتمرين اللسان، لكي نتمكن من تقبل اللسان الناري فنحيا أسرار الله. أن يتعلم الإنسان كثيراً كيما يقتني الغلم والمعرفة ويقوم بمهمة المعلم، بينما هو لا يطبق، فذاك لا يفعل شيئًا سوى أنه ينفخ رأسه فلا يستطيع أن يصعد الى القمر لو حاول حتى بواسطة الآلات.

سئل مرة: ماذا أفعل أيها الشيخ؟ إن أفكاراً تداهمني، ومع إني أرفضها تضايقني.

أجاب: وأنا أيضًا يا أخي، فوق سطح قلايتي تمر طائرات أحيانًا كثيرة وتعكر هدوئي. إنه لأمر سيء أن يمهد الإنسان مساحة من قلبه لهبوط الطائرات عليها. فإن حصل ذلك في بعض الأحيان، إذهب على الفور للإعتراف واغرس في مطار قلبك أشجاراً مثمرة لكي يصير فردوساً من جديد.

سؤال: أيها الشيخ، إن كانت الأفكار من النوع الذي لا يُنطق

به، فماذا أفعل؟

جواب: فهمت ما تعنيه. إنها الأفكار التي تتعلق بالله وبالإلهيات الخ... وأحيانًا كثيرة التي تتعلق بالأب الروحي أيضًا. إن هذه الأفكار تجديفية وكلها من الشيطان. فالتجديف هو من الشيطان، والخطايا هذه إنما هي خطايا الشيطان. لذا يا اخي ليس من الصواب أن نحزن على خطايا الشيطان. عندما يعترف الواحد للأب الروحي ويقول تأتيني أفكار تجديفية على الله أو على المسيح أو على الروح القدس أو على والدة الاله أو على القديسين أو عليك يا أبي الروحي... فلا حاجة لأن يقول أكثر من ذلك. والأب الروحي لا يسأل عن تفاصيل، وعلينا نحن أيضاً أن لا نقولها. وإنما نكتفي بالقول «تداهمني أفكار تجديفية».

إن الشيطان الرديء، يوهمنا بأفكار سيئة ضد الروح القدس، وبعدها يقول لنا، هذه خطيئة لا تغتفر الخ... فلماذا لم ندرك نحن ذلك بسرعة؟ فليقل لنفسه هذا الكلام بما أنه هو المجدف على الروح القدس وليس نحن. من هنا يمكننا الفهم أن هذه الافكار هي من الشيطان الذي اعتاد أن يبثها في عقول الأتقياء وذوي الإحساس الرهيف لكي يغتنم منهم ما يغتنم. وإن لم يتمكن من جرّ الإنسان الى اليأس والإنتحار يحمله على الأقل الى الجنون. وإذا أخفق في هذا أيضا يفرح إذا سبب له كآبة. ويكفيه إذا عطل جبلة الله وتركها بلا نفع.

لما عرفت أنكنّ تردن أن تتعلَّمن ما هو التجديف على الروح القدس ومتى يكون الإنسان مذنبًا، جئت لأقول لكنّ كلمتين معبرًا لكنّ بهما عن شعوري:

التجديف - عامة - هو الإزدراء بالإلهيات ويكون الإنسان مذنبًا إذا جدّف عن قصد وكان يتميز بعقل سليم. وبالتالي يستحيل على الإنسان النقي أن يجدف. في الصف الإبتدائي الذين يجدفون على الروح القدس هم ذوو الوقاحة. وفي الصف الثاني هم المحتقرون لله والإلهيات. وفي الصف الثالث هو الشيطان نفسه. لذا يجب أن نحذر بقدر استطاعتنا من الوقاحة والإحتقار، ليس فقط احتقار الإلهيات، وإنما احتقار القريب كونه إيقونة الله. فلا نعطي أهمية للأفكار التجديفية التي يحملها إلينا الشيطان رغم إرادتنا.

سؤال: هل ينبغي أن نؤمن بالأحلام أيها الأب ونفسّرها؟

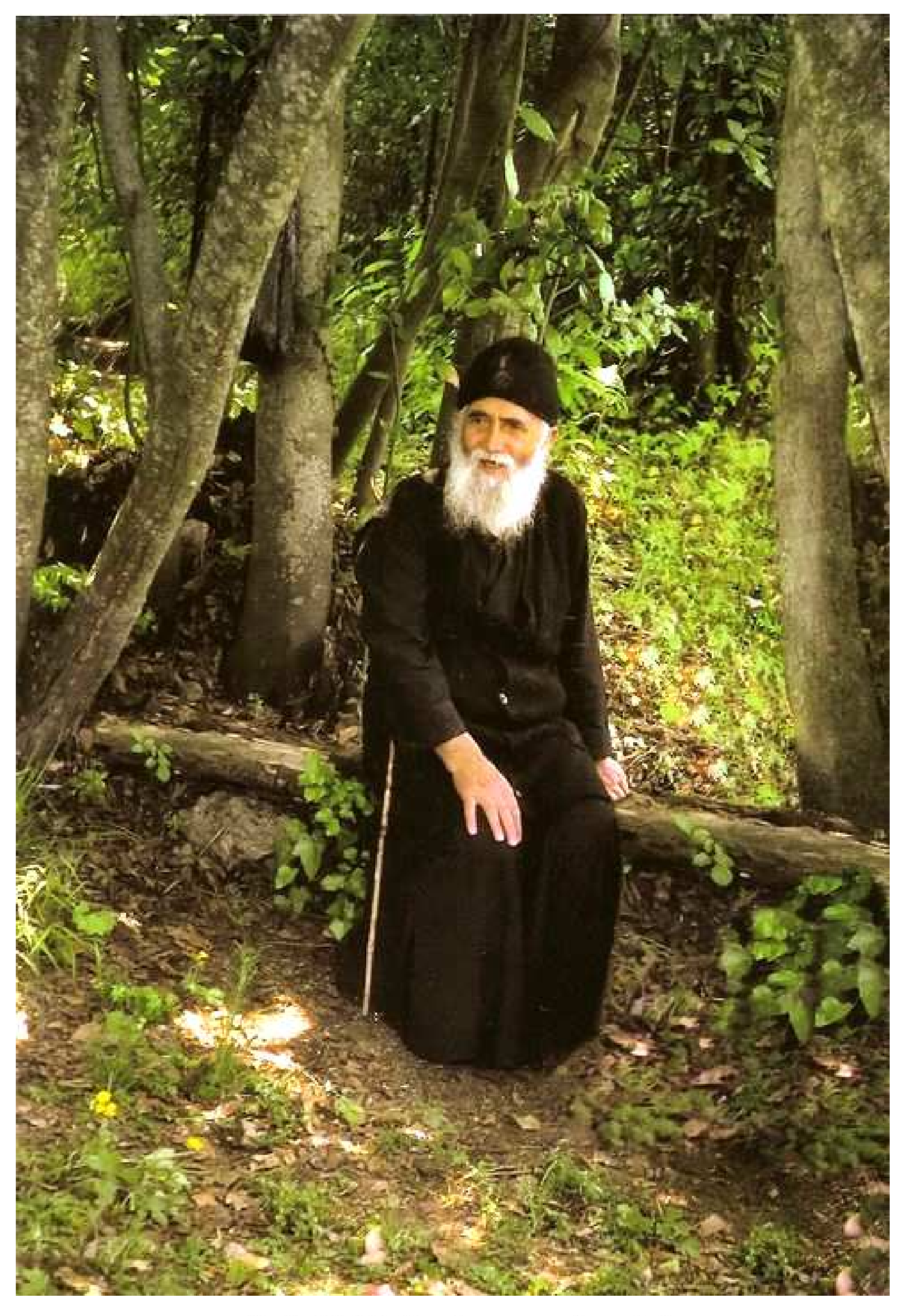
جواب: نعم، إن بلغت يا أخي درجة يوسف. وإلا فلا ينبغي.

أعتقد أن هذه النباتات تكفي الآن ويجب أن أضعها في الكيس (الظرف) بغية إرسالها. إن الظرف والأوراق التي أطوي بها هذه النباتات كلها ليست مني. لا أريد منكن شيئًا مقابل ذلك سوى أن تصلّين من أجلي من وقت الى آخر لأني بحاجة الى صلواتكن. وهذا طبعًا ما أريده رغم أنه متعب لكنّ.

جاهدن بقدر استطاعتكن في تنمية الشهامة والنبل في الحياة الروحية. لا تتركن الحسد يتسرب من السياج لئلّا يدنس لطفكن شأن الفأر الذي يسقط في خابية الزيت. إن لطف المرأة بطبيعتها عظيم، لكن الأغلبية منهن للأسف يغطين الخابية بمنديل رقيق فتسقط فيها الفئران وتلوثها. لذا وجب الإنتباه الشديد.

ليكن المسيح ووالدة الإله بعونكن.

أخوكن بالرب الراهب باييسيوس.



الراهب بايسيوس بجانب قلاية الباناغوذا – آثوس
(آخر مكان نسك فيه)

الرسالة الرابعة

حفنة من الخبرة

حفنة من بزار القطين المحمّص على نار التجارب



يسوع	المسيح
الغا	لب

قلاية الصليب الكريم نيسان ١٩٧٤

أحد حاملات الطيب

الى أخوات دير القديس يوحنا الإنجيلي الحبيب اللاهوتي سوروتي

أخواتي بالرب، المسيح قام.

اليوم هو أحد حاملات الطيب، وأنا ذاهب الى دير ستافرونيكيتا الشريف ليلاً، للمشاركة بالقداس الإلهي، تذكرت حاملات الطيب اللواتي غلبت محبتهن الكبرى رجولية الرسل، ثم تذكرت حاملات الطيب في أيامنا هذه وارتأيت حسناً أن أكتب لهن ما أحسست به في هذا اليوم المقدس، أحد حاملات الطيب، وأن أُرسله الى أخواتي. ليس هناك ما يسترعي الإنتباه فيما أُرسل. إنها حفنة من الخبرات، من بزار اليقطين، حمّصتها في كيس التجارب، فكثيراً ما يسند القلبَ قليلٌ من بزر اليقطين المحمّص لينسى الإنسان جوعه حتى يحين موعد الغذاء المشبع.

كما يحتوي هذا الكيس، بعضاً من البذور التي لها صلة بالرهبنة، وإنما خصّصتها للعلمانيين، لكي ننتبه لها ونتحفّظ من مختلف التيّارات العالمية التي تحاول تبريد الروح الرهباني وتسويته بروح العالم.

على العلمانيين أن يتأثروا بروح الرهبنة ويطبّقوا ما يستطيعون منه على الصعيد الروحي، لأن الوصايا هي هي بالنسبة للعلمانيين والرهبان، والفردوس واحد.

إن المحبة الروحية كما أفهمها، فضلاً عن أنها تتميز بشجاعة كبرى، تلتفّ حولها جميع الفضائل الأخرى، مما يُستدل أنها الأم الحنون لكل الفضائل.

الذين يعطون ملء محبتهم لله يأخذون ملء محبته تعالى، ومنها يعطون البشر.

إن الذين يحبون الناس أكثر من الله فكون محبتهم جسدية - سواء أكان بمعناها الحسن أو الرديء - يلبثون جسدانيين. كذلك الذين يحبون الأرضيات أكثر من السماويات فهم أيضًا من تراب.

إن الذين يرتاحون داخل العالم الماديّ ولا يهتمون بخلاص نفوسهم يشبهون العصافير الساذجة، التي لا تتحرك بقوة داخل البيضة لكي تكسر القشرة وتخرج فرحة إلى الشمس - إلى الطيران السماوي في الحياة الفردوسية - بل تبقى دون حراك وتموت داخل القشرة.

إن الذين يخافون الموت ويحبّون الحياة الباطلة يخافون أيضًا من الميكروبات؛ وبالتالي يلبثون تحت سلطة الجبن الذي يجعلهم أسرى هذه الحالة الروحية المائتة.

إن الناس الجريئين لا يخافون الموت أبداً، لذا فهم يجاهدون بتفان ونكران للذات. وإذ يضعون الموت نصب أعينهم متأملين فيه كل يوم يستعدّون روحيًا ويجاهدون بأكثر جرأة. وهكذا يغلبون الباطل ويعيشون في الأبدية ابتداءً من هنا بفرح فردوسي.

لا نتتظرن أن يُنتزع العالم الباطل منا بسهولة بينما يحلو لنا الوجود فيه. أما عندما نتغرب عن العالم فيتغرب عقلنا بسهولة عنه ويسعى لأن يكون بقرب الله. وعندما يبدأ العقل بالتردّد الى جوار الله، فإنه

أحيانًا كثيرة ينسى مسكنه ومسكن نفسه أيضًا، أي جسده الترابي.

إن البشر الذين يعطون كل شيء لله ويودعونه كل ذواتهم يعيشون تحت قبة الله الكبيرة بحماية العناية الإلهية. عندئذ يصبحون أولاداً لله ويمكنهم من خلاله تعالى مساعدة العالم التعيس بصلواتهم وباستنارتهم الإلهية، فيعطون التوجيه المستقيم للناس كي يقتربوا من الله ويجدوا خلاصهم وسعادتهم وسلام نفوسهم من جراء تعزية الله لهم، لأن راحة النفس توجد فقط بقرب الله.

إن الذين يبتعدون عن الله لا يجدون الراحة في أي مكان. لذا فإنهم يدورون قلقين حتى حول القمر، لأن كوكب الأرض بكلّيته لا يُهدِّئ قلقهم. وإذ يدورون مثل «قشاط الماكينة» بسرعة جنونية ويهدرون مالاً كثيرًا في الهواء، ويكلّفهم سفرهم الطويل هذا كثيرًا من الخبز، يلبث العديد من البشر صائماً وجائعًا حتى في القرن العشرين هذا.

بداية الشر تنطلق من العقل، خاصة عندما يهتم فقط بالعلوم ويبقى بعيداً كل البعد عن الله. فمثل هؤلاء الناس لا يجدون السلام الداخلي ولا الإتزان. بينما إذا اهتم عقلهم بالله مستخدمين العلم لتنمية إنسانهم الداخلي من أجل خير العالم، عندئذ يتقدّس عقلهم.

للأسف، إن العلم الخارجي (الدنيوي) بات مشوّها للبشر وحتى للطبيعة الجميلة التي خلقها الله، مما جعل حياة الناس غير طبيعية ومليئة بالقلق الذي يقود المئات منهم كل يوم - حتى الأطفال - الى علماء النفس وأطبائه. ناهيك عن المستشفيات النفسية التي تُبنى باستمرار وترسل أطباء للتخصص، بينما أغلبهم لا يؤمنون بالله ولا يقبلون بوجود النفس. فكيف يمكن لمثل هؤلاء أن

يساعدوا النفوس، بينما هم أنفسهم يحيون قلقين؟ أم كيف يمكن للإنسان أن يتعزى حقيقياً إن كان لا يؤمن بالله والحياة الأبدية بعد الموت؟ إذاً عندما يدرك الإنسان معنى الحياة الحقة بعمقها يفارقه القلق برمته وتأتيه التعزية الإلهية فيشفى.

إن الأطباء الذين يعطون الأولوية للثقافة الداخلية (للنفس) ويستخدمون العلم الخارجي من أجل الثقافة الداخلية، هؤلاء سرعان ما يتجلون بالروح ويصبحون قادرين على مساعدة الكثيرين من الناس مساعدة إيجابية، محررين إياهم من قلق الجحيم وموجّهينهم إلى الفرح الفردوسي. ويمكن لهؤلاء الأطباء المؤمنين بالله، أحيانًا كثيرة، أن يقدموا بشهادتهم الصغيرة مساعدات كبرى، لأنهم ذوو نعمة كبيرة لا ذوو «أوراق كثيرة» (شهادات).

زهرة صغيرة من صنع الله قيمتها تفوق باقة من الزهور الإصطناعية وتختلف عنها كما يختلف اللاهيوليّ عن النايلون.

إن الناس الخارجيين ذوي المعرفة الدنيوية، هم مشحونون بالأنانية والكبرياء، ويشبهون الكواكب الصناعية التي تدور في الهواء وتعطي انطباعاً أنها كواكب طبيعية. بينما، لو حدّقت النظر فيها لوجدت سيرها ملتويًا وأدركت أنها من صناعة بشرية رخيصة.

إن الناس ذوي الحس الداخلي، كونهم متواضعون، فهم كواكب حقيقية، وحركة دورانها سريعة الى الغاية وتعمل بدون ضجيج وباتضاع دون أن يدرك الواحد كيفية حركتها رغم ضخامتها. وهي متخفية في أقصى السماء وتعطي انطباعًا للبشر أنها مصابيح مشتعلة بنور خافت.

إن المتواضعين يشبهون أيضًا العندليب الذي يختفي في الوديان

ويبث الفرح في نفوس البشر بأغاريده العذبة ممجّدًا صانع العالم ليلاً ونهاراً، بينما المتكبرون فهم يفعلون كبعض الدجاجات التي تملأ الفضاء ضجيجاً بقوقها[1]، كأن بيضتها كبيرة بحجم الكرة الأرضية.

إن العصافير الكبيرة التي تهاجر الى البلاد الحارة، إذ تعلم بمشقة السفر الكبير، تتميز بمحبة كبيرة، فتحمل على أجنحتها العصافير الصغيرة التي تصادفها في الطريق، لكنها أحيانًا كثيرة تلاقي ذماً من قبل فراخ الدجاج التي تحيا على الأرض في القن ولا تحسن النظر من جراء الأقذار التي دخلت في أعينها وهي تحفر في المذبلة. إن أناساً على غرار هذه الدجاجات، من الأفضل أن تضع مقصاً على ألسنتها لئلا تلقى في الجحيم إذ لا تستطيع إقفال أفواهها.

لا نتوقعن تفاهماً روحياً مع أناس لا يؤمنون بالله. فلنصلِّ كي يغفر لهم الله وينيرهم، وعلينا أن لا نتعب في إقناع بشر ذوي أنانية وطبع رديء كي يدركوا الحقيقة، وإن زعموا أنهم مسيحيون، لأن الحقيقة لا تسع في داخلهم. مثل هؤلاء المسيحيين بالإسم فقط، إذا طلبوا منا حلّ مشاكلهم عندما يتطاحنون فيما بينهم، فلنجب طلبهم فقط إذا قبلوا منا الحلّ بحسب الإنجيل. لأن كل الحلول الأخرى، ما عدا الإنجيل، هي ألم متواصل في الرأس ولا يهدأ إلا بالأسبرين.

إن البشر الذين يتنازعون فيما بينهم، كلهم يزعمون أن الحق بجانبهم ويحاولون أن يأخذوا أكثر مما يستحقون، وهذا ما يجعلهم في خصام مستمر. أما أفضل قسمة فهي التي يجريها الإنجيل.

---

(١) صوت الدجاج.

إن المتكبرين، كونهم مشحونين بالأنانية، لا يخرجون من ذاتهم. وبما أنهم محرومون من الإستنارة الإلهية يرون جميع البشر كالنمل فلا يحسبون لهم حسابًا. وإن احتاجوا يومًا لأناس لتنفيذ مخططهم المدروس فإنهم يطلبون مساعدتهم لهم كعمال لا كمعاونين، مستغلين إمكانيات كل واحد منهم لتنفيذ هدفهم. وذوو القلوب البسيطة عادة يقعون ضحايا إلا أنهم يأتون بربح وافر إذ يدّخرون كنز لطفهم في خزانة الله.

بالنسبة للأشخاص المتحفظين من بعضهم البعض في مسائل فردية، يجب أن نعرب عن رأينا جهاراً أمام الطرفين لكي لا يأخذ أحدهما ما يوافقه من كلامنا ويستخدمه كمدفع من النوع الثقيل، خاصة إذا كان كلامنا ذا أهمية كبرى، فيضرب به خصمه دون شفقة وتصيبنا نحن أيضًا الشظايا ونحن في سلامنا. حسن أن يتحاشى الواحد، بقدر استطاعته، مثل هؤلاء الأشخاص محافظة على السلامة ليتمكن من الصلاة من أجل سلام هؤلاء الناس وبالإجمال من أجل سلام العالم. عندما لا يستطيع المرء الهروب كلياً من مثل هؤلاء البشر المعثرين، فليحاول على الأقل تجنب كثرة الجدل ليخفف من حدة ضررهم على نفسه. وسيان إن كان بعض هؤلاء وكأنهم ليسوا أردياء ولكنهم يتميزون بالرعونة، فإنه من جراء رعونتهم يسببون العثرات.

إذا شئنا يوماً ما نشر حدث فلندعو إنسانًا ساذجًا ولنتظاهر بأننا نأتمنه سراً، طالبين ألا يبوح به لأحد. فهذا الإتفاق إنما هو كاف لانتشار الخبر في العالم، لأن هذا الإنسان سيبوح به قائلاً لكل واحد: «ليبقى ذلك سراً فيما بيننا».

عندما يُفترى أو يُعتدى علينا من قبل الساذجين أو الأردياء الذين

يفسدون الحقيقة، فخير لنا ألا نطلب الإنصاف - إن استطعنا - من هؤلاء الأشخاص إذا كان التعدي ينال منّا شخصيًا، وعلينا ألّا نقول: «ليجازهم الله»، لأن هذه لعنة. بل من الأحسن أن نغفر لهم من كل قلوبنا ولنطلب الى الله أن يشدّدنا لنستطيع تحمل الإفتراء ونتابع حياتنا الروحية بخفية قدر المستطاع. ولا ضير أن يواصل أولئك الأشخاص الذين اتخذوا الإدانة والإنتقاد نظاماً لحياتهم، لأنهم بهذا الأسلوب يعدّون لنا باستمرار أكاليل ذهبية للحياة الحقة.

مغبطون، لا بل مثلثو الغبطة هم الذين يُحسَبون في أعين الناس بشراً من البرونز، من جراء السمعة الرديئة التي يلصقها بهم البشر الأردياء، بينما هم أواني ذهبية نقية من العيار الأربعة والعشرين (٢٤).

الويل ثم الويل لمعدن البرونز الذي يصقله الناس ويلمعونه ويخدعون به العالم، على أنه ذهب. (هذه صورة عني، أنا التعيس، بايسيوس. صلّوا من اجلي).

عندما يصبح القلب أتوناً يلتهب بمحبة الله يستطيع آنئذ أن يلتهم الباطل إذا دنا منه، فيشعر بالسلام الداخلي ولو صادفت هذا الإنسان تجارب لهيبية في حياته.

إن النظافة تطرد الذباب عادة والميكروبات وتؤمن الصحة للإنسان، كذلك طهارة النفس فإنّها تطرد الشياطين، ولا تفسح لها المجال للدخول. فإن دخلت، نحن لا يمكننا صدّها خارجًا عنا، ولكن هي لا تستطيع أذيتنا.

إن الذباب يحوم عادة على الأطعمة المطهية جيّدًا بالبهارات والصلصات. فإن تجنبناها لبثت الشياطين بعيدة دون أسلحة.

إن قليلاً من الجمر يقضي حاجة الطبّاخ ويغنيه عن اللهيب والدخان، فيُتم الطباخ عمله حسناً على نار خافتة. عندما تكون أطعمتنا محدودة ولا نضيف عليها باستمرار، فإن شهوات الجسد، فضلاً عن أنها لا تلهب ولا تظلم عقلنا بالدخان، فإنها تنطفئ بالكلية شيئًا فشيئًا وتطفئ معها الأفكار.

عندما تنحصر رغباتنا في الأطعمة الخفيفة وفي الراحة القليلة لجسدنا الهيكلي، عندئذ تتهلل النفس داخل هيكلها.

لا ييأسن الذين يعيشون وسط العالم، إذا سيطرت عليهم شهوات كثيرة وكانت طبيعتهم غير منضبطة وتسير بسرعة نحو الأسفل، بل فليتكلوا على الله القادر على كل شيء ويحوّلوا بعنف مقود سيارتهم القوية نحو طريق الله، صعوداً، فلا يلبثوا أن يسبقوا السيارات الأخرى البطيئة الحركة التي كانت قد سارت قبلهم منذ سنوات كثيرة في طريق الله ولكن ببطء.

إن التجارب الكبرى عادة ما تكون للحظات، فإن تجنبناها في تلك اللحظة تعبر طغمات الشياطين هاربة فننجو من أيدي الأعداء.

إن الأولاد العديمي الإنتباه الذين يتلهّون في الطريق، عادة ما تضربهم السيارات كالعصافير التي ترفرف أمام الحيات فتنجذب إليها وتمسي طعامًا لها.

إن العصافير تحميهم أمهم بحنانها وتدفئهم بجناحيها المتواضعين بتقوى ومخافة الله؛ أما إذا كانت منتوفة الريش فتبردهم.

تتسرب البرودة الروحية الى الأولاد من نوافذ حواس الأهل المفتوحة، وتأتي من الأم إذا كانت غير مكسوة بالإحتشام، بل فوق ذلك تحاول تعرية أولادها.

إن تصرُّفَ الأهل المزيّف مهما بدا حسنًا، فهو لا يُعِدُّ الأولاد داخليًا، لذا لا يخضعون لهم، حتى ولو ضغطوا عليهم. وإذا أبدى الأولاد انكماشًا، فهذا لأنهم لا يستطيعون أن يفعلوا سوى ذلك، لكن عندما يصبحون كبارًا ويرون أنهم ليسوا بحاجة ماسة الى أهلهم، يستشيطون غيظاً ويفرغون كل ما كانوا يخبئونه من الحقد على ذويهم.

إن حياة الأهل المقدسة تنشئ نفوس الأولاد فيخضعون لهم بشكل طبيعي ويكبرون بتقوى دون أي جراحات نفسية (وبصحة مضاعفة) فيفرح الأولاد بأهلهم، والأهل بأولادهم في هذه الحياة وفي الحياة الابدية، حيث جميعهم سيتهللون معاً.

إن رئيسات الأديار بما أنهن أمهات روحيات، ولهن رسالة كبرى وهي أن يلدن البنات ولادة روحية، فمن المستحسن أن لا يفرضن أنفسهن على بناتهن كرئيسات، بل كأمهات فاضلات تحلين بالتقوى من جراء حياتهن المقدسة. وفضلاً عن ذلك، عليهن ألا يبالغن في تصرفهن كرئيسات، خاصة إذا كانت البعض منهن لم تختبرن مرحلة الخضوع والتلمذة.

لا نحاول تعهد أبناء روحيين إن كنا لا نستطيع نحن أنفسنا أن نطيع في البدء من وقت الى آخر كي نتمكن من العيش سوية.

إن الإبن الروحي - خاصة في البداية - يتطلب حناناً كبيراً لئلا يكبر ويلبث ممقوتًا لشعوره بالنقص. لأن كثيرين من الأولاد في العالم لديهم أهل. لكن للأسف فإن العديد من الأولاد، سواء أكان لهم أهل أو لا، لم يعرفوا مذاقة الحنان بل التذمّر والشكوى من أهلهم. لذا يجب أن نكون ذوي محبة وحنان وسعة في التمييز لكي

يكبر الأبناء الروحيّون ويقتنوا صحة مزدوجة لئلّا يتأذّوا، كونهم لا يزالون صغاراً، ويتضرّروا بسبب غيرتهم الصبيانية العارية من التمييز.

كما أن أهل العالم الأغنياء يجعلون أولادهم أغنياء بالمقتنيات المادية، كذلك فالأغنياء روحياً يجعلون أولادهم أغنياء بالروح. لكن السبيل لاقتناء الغنى الروحي فهو قبل كل شيء أن نصبح فقراء من الأهواء (وبالطبع من المقتنيات المادية أيضًا). فعندما نتنقى من الأهواء كلياً، نحصل حينئذ على غنى اللطف فنوزّعه على أولادنا الروحيين عامة، فيتناولونه بمثابة غذاء جسدي وروحي معاً، لأن اللطف بمحبته الحارة يمنح الأولاد حراريات أكثر من أي طعام آخر.

فإننا إن لم نقتنِ الغنى الروحي لكي نتمكن من تأمين القوت من الفوائد الروحية، فإننا إذ نبدأ في العمل مجّاناً لصالح الآخرين، سنكون أتعس الناس وممن يستحقون الشفقة. لذا لا نعتبرن الوقت يمضي ضياعاً إذا صرفنا قسما منه على أنفسنا، أو أمضينا حياتنا كلها في بناء ذواتنا. لأن ميزة العمل السري - الروحي - هو الكرازة بكلمة الله سرياً داخل نفوس البشر.

إن ميزة الفضيلة هي أنها تكشف الإنسان مهما حاول التخفي. وإن تراءى بالبلاهة من أجل المسيح فستكشفه فضيلته ولو آجلاً؛ لأن كنزه الخزين الذي سينكشف بكامله فيما بعد، سيساعد حينئذ ربما نفوساً أكثر.

إن الإتكال على الله هو صلاة سرية متواصلة، وهذه الصلاة إنما تأتينا بقوى إلهية، دون إشاعات وبلبلة، حيث نكون بحاجة إليها.

فيُمجد الله بشكر على الدوام من قبل أبنائه المتفانين.

إن الرهبان العديمي القنية الذين يسلمون ذواتهم لله، فكل مخازن الله غدت في أيديهم، وهم لا يحتاجون إلا لرفع أيديهم الى السماء لينالوا البركات.

إن العديمي القنية، لديهم أيضًا كل مخازن من يعرفونهم من الناس، الذين بدورهم سلّموا ذواتهم الى أيدي رجال الله.

إن العديمي القنية يؤثرون حتى في اللصوص الذين إذا انكشفت فضيلة هؤلاء أمامهم يساعدونهم فيتخذوا عدم قنية هؤلاء مثالًا لهم. بيد أن صلاة العديمي القنية تساعد اللصوص أكثر لكي ينيرهم الله فيتوبوا متوقفين عن السرقة. فإذا انخدع اللصوص وذهبوا لسرقة العديمي القنية ولم يجدوا عندهم شيئًا ذو قيمة ليأخذوه، لا يرجعون بلا منفعة، بل يتعلّمون درساً عن لطف عديمي القنية الذين حزنوا عليهم لِما تكبّدوه من التعب ورجعوا فارغي الأيدي. إن هذا الحزن يؤثر كثيراً في اللصوص ويؤول بهم الى التغير.

أما الذين لا يحفظون نذر عدم القنية ويجمعون الغنى، فإنهم يجذبون اللصوص إليهم ليلاً، وبعد أن يلقوا منهم الضرب بالعصي ينهبون كل ما هو ثمين ولا يتركون سوى الرث وما يليق بالرهبان. أي أن ما لا نطبقه بحسب الإنجيل، أسوة بالآباء القديسين، فإننا نطبقه بعصا اللصوص.

علينا أن لا نطمئن بعد أن صرنا عديمي القنية بعصا اللصوص؛ بل ينبغي أن يؤنبنا ضميرنا على عدم حفظنا عدم القنية وعدم أخذنا القرار باكراً بأن نعطي ما نملك من أشياء لا نحتاج إليها للعلمانيين،

وذلك قبل أن يضطر اللصوص الى سرقتها معرّضين شرفهم كبشر. إن هؤلاء اللصوص إن كانوا على شيء من الإحساس ربما أنّبهم ضميرهم على ضرب راهب، وإن كانوا بضربه قد أحسنوا إليه أصلاً، إنما بأسلوب سيء.

فلنجرد قلايتنا من كل غنى، ونفسنا من كل هوى لكي تكون سيرتنا كرهبان ورسالتنا ذات معنى. فإنه حيث الغنى المادي فهناك الفقر الروحي.

إن الغنى هو كارثة كبرى للنفس، إذا لم يُوزَّع على الفقراء من أجل نفوسنا نحن ومن أجل نفوس أخصائنا الراقدين.

إن الغنى يخنق النفس بقلق عدم الشبع. فعندما نرى إنسانًا قلقًا ومتضايقًا وحزينًا، وهو يملك كل شيء ولا ينقصه أي شيء، ينبغي أن نعلم، أن ما ينقصه هو الله.

إن أكبر الأغنياء وأفضلهم في العالم، هم الذين لا يملكون غنى ماديًا بل يكونون في حالة فقر مدقع من المال والأهواء معاً. هؤلاء لا يقتنون شيئًا من الخارج ولا من الداخل، خاليًا من المنفعة، بل يقتنون الله فقط، ويفرحون به باستمرار ويحيون حياة فردوسية من هنا، إذ حيث الله هناك الفردوس.

حيث لا يوجد أثر للتعزية البشرية، فهناك يملك الله ويفيض السرور، الذي لا يعود يسعه القلب.

إن المحبة التي تُعاش في البرية والتي تخلو من التعزية - كونها تخلو من فكر العالم - لا يسعها العالم، ولا عقول الكثيرين من الناس الذين يفكرون بطريقة عالمية، فلهذا غالباً ما يُساء فهمها.

عندما تبدأ عملية التنظيف الروحية للقلب الدنيوي، بعيداً عن العالم وحباً بالله، عندئذ يمكن للإنسان أن يسع داخل قلبه كل الناس وكل الحيوانات وحتى دبّابات الأرض جميعها مع كل طبيعة الله الجميلة، التي غدت جميلة وحسنة وذلك لأن نفس الإنسان الحسناء فيّاضة باللطف.

لكي نقتني اللطف الداخلي، فإنه يساعدنا كثيراً، أن نضع ذاتنا مكان الآخر. وإذ ذاك وبصورة طبيعية نشعر بالمحبة والألم والتواضع والشكر لله مع التمجيد الدائم له. فلنصلِّ قلبياً من أجل قريبنا لتكون صلاتنا مقبولة لدى الله وفاعلة لمساعدة إخوتنا.

حتى لو وضعنا ذاتنا مكان الحية، فلا شك أننا سنحزن عليها جدًّا، مما يجعلها تشعر بذلك على الفور فتدنو منا كصديق. هكذا يزداد شكرنا لله، بالطبع، لأنه لم يخلقنا حيّات بل أناساً على صورته. بينما لو أراد الله كسيد قدير، لكان خلقنا حيات تزحف على الأرض وتأكل التراب، قابعين في الجُحر أكثر أيامنا ومخدّرين.

بالتالي إن المحبة المقرونة بالألم، عندما تضع ذاتها مكان الآخر تجعل قلب الإنسان رحباً فيسع الحيات أيضاً ويصادقها. أما الحسد فيجعل الإنسان على غرار الحية التي تعض الناس وتسممهم فينهالون عليها بالضرب بحقد. وعندئذ تظهر أمامك صورة الجحيم بكل أشكالها الشيطانية البشعة. (الله يستر!)

إن الحسودين حيثما حلّوا حملوا معهم الشر والنميمة وعذاب الجحيم، وحاولوا تعذيب الآخرين كما يفعل الشيطان.

إن الناس المتميّزين بالمحبة واللطف يشبهون الملائكة الذين يحملون الفرح والسرور أينما وُجدوا. فالنساء كونهن يتميّزن بمحبة

أكبر، يحاربهن الشيطان حسداً منه ويحاول تسميم محبتهن بسم الغيرة. وإن لقي تجاوباً من إحدى النساء جعل المرأة تبلغ أحيانًا بشرِّها المستوى الشيطاني. (الله يستر)!

أما طبيعة الرجال فتتميّز بسحابة كبرى من الكبرياء. لكن إذا أضاف العدو الغيرة الى سحابة الكبرياء الصغرى التي عند المرأة، تغدو لا تطاق وتتجاوز تلك السّحابة المسمّمة تلك التي عند الرجال. (الغيرة تتميز بنوع من العفونة الرطبة والصعبة الزوال).

إن الأشخاص الذين يعتنون بنا يمكنهم مساعدتنا، إن سمحنا لهم وأبدينا لهم تواضعنا. لأننا إن لبثنا عائشين داخل سحابة الكبرياء، نظن أن العالم بأسره يعيش في مثل هذا الجو ولن يهمنا شيء بالكلية من بعد، فنبقى مرضى داخل الضباب الى أن نموت. (الله يستر)!

إن اتفق لنا أحياناً وكنا وحدنا ولم نجد أحداً ملتمسين مساعدته لنرى خطايانا، فلنخرج عندئذ من جو قلايتنا الى تلة ما، ولنفحص ذواتنا كشخص آخر، فنفهم إن كنا نسلك صحيحاً أو ضللنا الطريق. إن متابعة ذواتنا ضرورية. فكما أن البقالة إن لم يراقبوا الربح وينتبهوا للخسارة، سريعاً يقعون تحت الدين، كذلك فإن مراقبة الأفكار ضرورية؛ لأن كثيرين من الناس بسبب اللامبالاة، أحرقوا منازلهم ولبثوا في الشارع بحال يرثى له.

إن المبتدئ، لكي يتمم بناءه الروحي - فعلاوة على المواد التي عنده والتي هي قيد الطلب - يحتاج الى بنّاء ماهر ليهدم له المنزل القديم ويطرد منه المستأجر العاتي (إنسانه العتيق)، فيبدأ بالعمل بترتيب. وبعد أن ينتهي من بنيان البيت الجديد يملؤه بالعفش.

وقبل أن نباشر بجلي الخشب، ينبغي أن ننتبه لهواه ولا نجلي بعكسه فنسبب تَسليخًا فيه. فإن لاحظنا تَسليخًا في الخشب، يجب أن نجعل شفرة الفارة على قليل من البروز لئلّا يصير التّسليخ الى حالة أسوأ. وهكذا يجري الجلي مرة من الطرف الأول ومرة من الطرف الآخر، وإلا لن يتم الجلي على الأصول.

هناك بعض الألواح التي تبدو متماسكة من الخارج، بينما هي من الداخل ليفيّة. وعند جليها من الزغب تظهر نوعيتها على الفور. وهناك ألواح أخرى أيضاً، تبدو من الخارج غير صالحة، إلا أنها من الداخل قطرانية ممتازة. لذا علينا أن لا نحكم مستندين على الخارجيات قبل الإختبار، خاصة عندما تنقصنا الإستنارة الإلهية أو الخبرة.

يجب أن يكون الرهبان كلهم نور، فيسلكوا طريق القطران (صمغ الخشب الصنوبري) ويراقبون تحول الخشب الى عيدان قطرانية سريعة الإشتعال. إن الصنوبر تناسبه الأرض الصخرية المشمسة، فبعد سلخ قشرته، يرشح بالدموع الصمغية التي تروي باستمرار الجذع الى جانب أشعة الشمس المدفئة وتحوله شيئاً فشيئاً الى عيدان ثقاب جيدة، تؤمن كل ما يحتاجه الناس للإنارة ولإشعال نيرانهم.

طبعاً إن سلخ القشرة، هدفه إزالة جلد الإنسان العتيق وليس تجريحه دونما تمييز، ورمْيِه بلا فائدة.

لنرفض الأسلوب العسكري، ولننهج الأسلوب الملائكي للتقوى. لأن عصا الرئاسة إذا كانت تتحلى بالنعمة الإلهية تجذب الرهبان من بعيد مثلما يجذب المغناطيس المعادن.

إن صرتنّ أمهات روحيات فاخدمن المسيح بتواضع بعملكن وقدّمن الخدمة كما قدمها المسيح لتلاميذه.

أذكرن دائماً موسى كم عانى من الشعب المتذمر، وكم صلى بمحبة وضحّى من أجل شعبه، وكم من السنين جاهد في البرية حتى وصل هو وشعبه الى أرض الميعاد. فإن تذكرتن ذلك ستنلن شجاعة كبيرة ولن تتذمرن أبداً من التجارب الصغيرة بالنسبة لما تكبده موسى.

لا تسعين أبداً وراء الرئاسة أو أية مراكز أخرى لنوال المجد، لأن هذا يظهر أن مرضاً قد مَدّ جذوره فينا الى العمق. وإننا كمرضى نسلك طريقاً بخلاف ذلك الذي سلكه الآباء القديسون (طريق التواضع) وبلغوا به الى الفردوس.

إن كنا لا نستطيع مماثلة آباء مصر القديسين بدقّته الرهبانية الكبرى، فلنتشبه على الأقل «بجمالهم» التي كانت تكتفي بقليل من الأكل، ومع ذلك كانت تحمل أحمالاً ثقيلة جداً. ومن كثرة الركوع عُقِرَتْ ركبها، بينما هي محمّلة وتسير بتواضع وراء حمار صغير. وهي في طبعها لا تنسى أبداً من أحسن إليها، بل تكنُّ له كل شكر وامتنان.

بالطبع إن الذين عرفوا عظمة وماهية التوبة (الإسكيم الرهباني) لا يتمنّون أية رتبة أخرى، ما دام كلُّ شيء باطلاً في هذه الحياة. فإذا أدركنا ذلك فإننا نخضع بتواضع ونحيا بالتوبة في ديرنا بصبر، مسرورين مدى العمر.

إنّ الذين أخذوا الإسكيم الرهباني شباناً ويجاهدون بتواضع

وتفان، يحركون أحشاء الله. فإذا تغبّر إسكيمهم الملائكي قليلاً من الخارج (مع الزمن) فإني أعتقد أنه يلبث نظيفًا أكثر من إسكيم أولئك الرهبان الذين يأخذونه في الشيخوخة عن قصد، لكي يلبثوا متهاونين في حياتهم، وفي ساعة موتهم يفتخرون به لجِدَّته. ربما قد أخذوه في تلك الساعة من الخياط، ويقدّمون النذور وهم على فراش الموت بصوت خافت وهم بين حي وميت، ويقولون إنهم سيحفظون البتولية والفقر والطاعة. أين؟ في القبر؟! حاشا لنا أن ندع أفكارنا تستعذب هذه الأضاليل.

أما إذا كان من الشيوخ، مَن تمكنوا بعد جهاد، من الوصول في الساعة الحادية عشرة، وحصلوا فوراً على الإسكيم الرهباني، ولبثوا يجاهدون كثيراً في لوم الذات - طالما أنهم لم يعد بمقدورهم أن يمارسوا النسك الجسدي - فهذا موضوع آخر.

طوبى لمن أخذوا الإسكيم الملائكي وهم يجاهدون بتواضع وتفان، ويعيشون على الأرض مثل الملائكة، وينيرون العالم بمثالهم النير، ويحسنون الى العالم بصلواتهم، بنعمة الإله الرحيم، للأحياء وللأموات. إن حياة هؤلاء المقدسة - على ما أعتقد - هي أسمى ذكرانية من أجل كافة الأجيال الراقدين من أقاربهم، وتمنح الراحة لنفوسهم، فضلاً عما يشعرون به من الفرح والإفتخار بالجيل الذي خلّفوه. وبالطبع فإن صلوات هؤلاء الملائكة الأرضيين تريح بنعمة الله النفوس، لأنها مقبولة لديه تعالى.

كما أنه لمحزن جداً أن يعيش الناس حياة خاطئة ويضيفوا أثقالاً على نفوس أجيالهم الراقدين. لأن هؤلاء الآخرين يشعرون بالذنب أنهم كانوا السبب لولادة أولئك الذين يعيشون بعيدين عن الله وتنتظرهم الجحيم الأبدية بعد الجحيم الوقتية التي يعيشونها في هذه

الحياة.

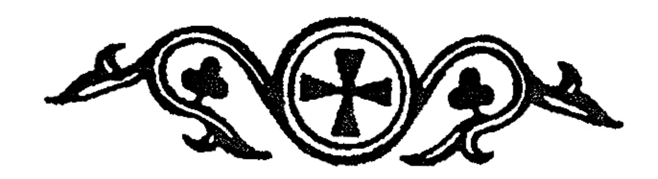
فصلّوا أن ينيرنا الله الصالح جميعاً نحن البشر، وأن يمنحنا توبة صالحة، لأننا نحتاج إليها جميعنا (وأنا أكثر من الجميع)، كي يجدنا الموت بحالة روحية جيدة، فنستحق عندها ملكوت الله السماوي.

آمين، آمين، آمين.

ليمنحنا الله ذلك.

مع محبة المسيح —

أخوكم، الراهب بابيسيوس.



الرسالة الخامسة

حول البتولية والمحبة



يسوع	المسيح
الغا	لب

قلاية الصليب الكريم

٢٦/١١/١٩٧٣

الى الأخت بالرب والأم فيلوثاي، باركي.

أتحيّر كيف أن الأخوات ينتظرن أن آتي إليكنّ، رغم أنه لم يمرّ أكثر من ستة أشهرٍ على زيارتي الأخيرة لكنّ! ولكن، لئلا يحزنّ على غيابي، جلست وكتبت لكنّ رسالة مؤلفة من ثلاثين صفحة، تجد كل أخت داخل هذه الصفحات ما يريح فكرها ويشعرها بالفرح نفسه الذي تشعر به عند حضوري.

في هذه الرسالة أكتب عن المحبة والتواضع، أهزّ العقل المتحجر وأُبرز عمل النعمة الإلهية. بكلمات قليلة أهز الروح الفلسفية المدّعية بالمنفتحة والمُشْبَعة بالهرطقات الغربية التي، للأسف، تهبّ ريحها فتضرب من الكنيسة حتى الجامعة.

هناك سبب آخر جعلني أشعر بالحاجة لأكتب إليكنّ عن هذا الموضوع، وهو أن في ديركنّ الكثير من البنات المثقفات والرفيعات الشأن فأخشى أن يكنّ قد أسأن فهم عمل النعمة الإلهية متكّلات على ما عندهنّ من معطيات بشرية، فيتعذبنّ في كل أيام حياتهنّ ويخيب أملهنّ دون أن يبلغن الهدف المقصود في الدير.

أما إذا كنت قد كتبت لكنّ في المرات السابقة عن هذا الموضوع

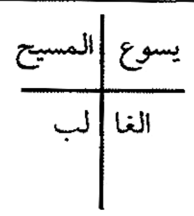
فأرسلنّ لي صورة عن ما كتبت لأعرف ما سأرسل لكنّ في المستقبل.

ليس من شيء غير ذلك.

المسيح مع والدة الاله معكنّ

أخوكِ، الراهب بايسيوس.





قلاية الصليب الكريم
٢٥/١١/١٩٧٣

حول البتولية والمحبة

«بعون القديسة كاترينا»!

الى أخواتي الراهبات المكرسات للمسيح في إيسيخَستيريون الرسول يوحنا اللاهوتي، أُرسل من بعيد بعض الصفحات حول البتولية والمحبة كي أساعدهن على مماثلته حرفياً، مرفقاً كلماتي الصغيرة بالصلاة لكي يباركها إلهنا الآب الغني.

لكي نحب الله - بحسب فهمي - علينا أن نؤمن به. وبنسبة إيماننا به طبعاً، تكون محبتنا له. فإن كانت محبتنا فاترة يكون إيماننا أيضا فاتراً. إن الإيمان الحار بالله يولد المحبة الحارة له تعالى ولإيقونته، أي لأخينا الإنسان. ومن فيض محبتنا له، التي لا يسعها قلبنا، ترتوي معه الحيوانات البائسة.

إن المحبة الحارة والفياضة، كونها نبيلة، لا تنظر أبدًا الى منفعتها في ما تضحي إما لله وإما للقريب. فالذي يعمل الخير متوقعاً المكافأة هو أجير، وعندما يتجنب الخطيئة خوفًا من الذهاب الى الجحيم فهو ما زال أيضا يهتم بتأمين مستقبل صالح لنفسه. أما الذي يعمل الخير بدافع المحبة ويتألم من أجل الغير دون أن يفكر بأية مكافأة سماوية،

ولا يفعل الخطيئة لئلا يجرح المسيح المحسن الذي طعن على الصليب وافتداه بدمه الفائق القدس، ولا يريد الذهاب الى الجحيم متفانياً من أجل الرب لئلا يحزنه، فهو ليس فقط عامل حسن، بل ابن مخلص الله.

كثيرون يتكلمون عن المحبة (وأنا منهم)، لكننا لا نعلم وزنها كم قيراط. فلو أراد المسيح أن يختبرنا كي يعلم كل واحد منا قدر محبته له، ليقول لنا: «لقد امتلأ الفردوس يا أولادي ولم يبقَ فيه مكان لكم» لأجابه بعض منا بوقاحة: «لماذا لم تقل لنا من قبل؟» ولكان آخرون أسرعوا متفادين الوقت لكي يستلحقوا اللحظة الأخيرة في هذه الحياة ليصرفوها في اللهو صامّين آذانهم عن المسيح. أما أولاد الله المتميزون بالتفاني لأجابوه باحترام: «لا تحزن من أجلنا أيها المسيح، يكفينا أن الفردوس قد امتلأ، وهذا ما يبعث فينا فرحاً عظيماً كما لو كنا نحن داخله». وبالتالي لاستمر هؤلاء في جهادهم الروحي بتفان كما من قبل حبًّا بمن أحبوه محبة حقة.

إن المحبة الرخيصة تنظر دوماً الى منفعتها الخاصة، فالمسيحي الذي يعيش هذه المحبة الرخيصة، الى ما قبل وخز الضمير ليعذبه أو الى ما هو غير محرّم، فإنه يعيشها بغية التمتع بالدنيويات. مثلاً فهو يأكل الطعام حتى منتصف ليل أحد مرفع الجبن (الغاية الثانية عشرة إلا خمس دقائق) ويتمتع بكل فرح دنيوي الى النهاية لكنه لا يقرب المحرمات، ويشكو فوق ذلك لعدم شعوره بمحبة الله داخلياً الخ. . . (أي داخل محبته الرخيصة).

إن المحبة الخالصة (الحارة) التي تضحي بنفسها ولا تتمتّع دنيوياً تستنفدها محبة الله فتؤول بحياة الإنسان الى صيام أربعيني متواصل، والى فرح فصحي مستديم. إن محبتنا الخالصة لله تجعل القلب

بتضحياتها يغلي غلياناً عذباً، يرتفع فيه العشق الإلهي، شأن البخار المستحيل ضبطه، ويتحد بالله. فهذه الحالة الروحية لا تكفي بأن تجعل القلب خارجًا عن ذاته وحسب، بل تقتلع القلب أيضًا من الجسد (الشهوات الجسدية) وتسلمه بجملته لله لامعاً متلألئاً.

عندما يسلِّم القلب بجملته لله، يُوزَّع حينئذ بشكل طبيعي على كل العالم، ومن جراء ذلك تغدو المحبة محبة إلهية. إذ إن محبتنا الكبرى للمسيح لا يمكن حصرها في القلب ولا في بيت، لا في مباني جمعيات ولا داخل حدود مسيجة بأشرطة شائكة، لأن المسيح لا يُقفل عليه. فإن وُجدت أشرطة شائكة على حدود قلب المسيحي الأُرثوذكسي بالجوهر، فإننا بالتالي نقفل على اسم يسوع وليس على المسيح الذي لا يُقفل عليه.

نحن ننسى أننا أولاد آدم بالجسد، وبالروح أبناء المسيح. فإن وُجدت المحبة الخالصة شعر عندئذ كل منا أنه أخ للآخر، ولو لم يكن ثمر الروح هو المحبة (المسيح) لَمَا اهتم المسيحيون بالأعراق فيما بعد (تمييز الأجناس)، بل لرأوا كل شيء نقيًا مقدسًا وتسربلوا نعمة الله.

بقي آدم ساكناً في الفردوس والله ساكن في قلبه الفردوسي، ولبث متسربلاً نعمة الله وهو عريانٌ وحوله جميع الحيوانات يداعبها وتلحسه باحترام كسيد عليها عندما كان قلبه نقياً في محبة الله وحفظ وصيته. ولما تعدّى آدم وصية الله تعرى من نعمته تعالى ولبس «الرداء الجلدي» وطرد من الفردوس وأمسى آدم المنعم عليه متوحشًا، وتوحشت بسببه العديد من الحيوانات. وبعد أن كانت تدنو منه باحترام وتلحسه باتت تثور عليه وتنهشه بأسنانها أو تكتفي بعضّه.

إن حفظ وصايا الله تقرب الإنسان منه تعالى وتنزع عنه مجددًا «الرداء الجلدي»، أي الإنسان العتيق؛ فيلبس من جديد النعمة الإلهية ويعود الى حالته الأولى، الى ما قبل السقوط، ويسلك ببراءة بين البشر ووسط الحيوانات المفترسة بدون خوف منها، فتنظر إليه من بعيد وتشعر بطهارته ومحبته فتدنو منه وتلحسه باحترام معترفة به سيدًا عليها وتخلع عنها الوحشية ما دام سيدها قد عاد الى أُنسه.

إن البرِّية المباركة تساعد كثيراً في مصالحة جبلة الله مع جابلها، ومن ثم تتحول إلى فردوس أرضي وتجمع الحيوانات المفترسة مجددًا حول الإنسان الذي جعلته أنيسًا.

فأحبب، يا أخي، قدر استطاعتك البرِّية والحياة اللاهيولية وارمِ في حظيرة الفقراء كل ما تقتنيه من أشياء مادية. بسّط حياتك بقدر استطاعتك كي تتحرر من القلق الدنيوي حتى يكون لحياتك معنى.

إنتبه ألا تغيّر وجه البرِّية المقدسة بنفسك المشحونة بالأهواء؛ لأن هذا خرق لكرامتها ويشبه كما لو ذهبت للسجود أمام الجلجلة المقدسة وأنت حامل آلة «البُزق».

إن البرِّية هي للسيرة الملائكية الروحية السامية ولمزيد من النسك الجسدي، وليست للراحة الجسدية او للاصطياف.

إذاً أحبب البرِّية بكل قسوة فقرها، إن شئت أن تثمر نفسك العاقر بسرعة وتصبح بلا هوى.

عندما يذهب المرء الى البرية، بعيداً عن العالم وعن المادة، ينطوي قلبه فوراً ويأتي الى قرب الله، وعندها يقفل قلبه عن كل شيء سوى الله. وإذا شاء أن يخلد إليه تعالى يغيب عن الأرض أحيانًا كثيرة (أي يُخطَف). وعندما يصير الإنسان في ذهول يتوقف عقله عن التفكير

ويبدأ فعل النعمة التي دأبها الروحانيات لا غير. وإذا قارنا بين الفعل الإلهي وقوة العقل الجسدية لا نجد أي تشابه بينهما على الإطلاق. فالعقل، كي يتعلم لغة جديدة أو لغتين، كثيراً ما يكدّ ويمضي في التعلّم سنين عديدة. وفي عصرنا، بما أن أغلبية البشر يعرفون لغات أجنبية متعددة، فإنهم قد قطعوا كل صلة بينهم وبين ألسنة العنصرة المقدسة وفاقوا بذلك حدث بابل.

عندما يقتني الإنسان المحبة، أي المسيح، ولو كان أخرساً أو أصماً، يمكنه أن يتفاهم مع الملايين من الشعوب رغم اختلاف أعمارهم ولغاتهم. إن المحبة المصحوبة بالألم من أجل أخينا، لها قوة المسيح؛ فهي تلينّ نفوس البرابرة وتهدّئ الوحوش المفترسة لتدنو من الإنسان كحمل وديع.

من يحب جميع الناس ويشاركهم آلامهم، هذا لا يتركه الله متألماً في نكبته. من لا يهتم بنفسه حباً بالآخرين، فالله يهتم به كثيراً جداً ويهتم به كذلك جميع الناس.

من استطاع أن يرفع عقله دوماً الى الله، فذاك يشعر بحضور الله دوماً الى جانبه بكل حنانه الأبوي.

حيث المحبة هناك يسكن المسيح - المحبة، وحيث التواضع هناك تسكن نعمة الله ممسكة به (بالتواضع)، وهناك يملك الله وتتحول الأرض الى فردوس. أما حيث تنعدم المحبة والتواضع، فهناك يسكن الشيطان (العدو)، ومعه يعيش البشر حياة الجحيم من هنا، من على الأرض وحتى الآخرة، حيث النار الابدية.

إن غني الإنجيل المتكبر العديم الشفقة، بعد وفاته لم يتمكن من اجتياز الهاوية الكبيرة التي تفصله عن الفردوس في أحضان

إبراهيم[١]. ونحن، ما دمنا في هذه الحياة، إن شئنا، نستطيع بنعمة الله أن نقفز الهاوية من الآن ونوجد في أحضان الله، أللهم إن تجاوزنا كبرياءنا وعدم شفقتنا.

كما أن الإنسان المثقل بالأحمال، إن أراد القفز يجب أن ينزل عنه الحمل كله، هكذا نحن أيضًا ينبغي أن نترك حمل خطايانا بالإعتراف. كذلك الإنسان الذي لا يتخلص من بِرازه يتسمم جسمه بكامله ويسبب لذاته عوارض جسدية ونفسية عديدة، هكذا من لا يعترف يسمم نفسه باستمرار ويهدم جسمه بدودة وخز الضمير التي تنخر فيه بلا انقطاع.

إن الأهل الصالحين يحبون أولادهم بالتساوي ويبدون اهتمامات خاصة بالضعفاء أو بالمعاقين منهم، كذلك يفعل الله الآب الصالح مع أبنائه الضعفاء جسدياً أو روحياً، أللهم إن كانوا ذوي نية صالحة ويمنحونه صلاحية التدخل الإلهي.

إن الإخوة الأصحاء من جراء محبتهم لإخوتهم الضعفاء، أو الهزيلي البنية، يرفعون عنهم الثقيل من الأحمال ويتركون الخفيف منها؛ كذلك، فالأقوياء في الحياة الروحية يأخذون على عاتقهم ما هو ثقيل من التعدي والظلم ويتركون ما هو خفيف منه للضعفاء.

إن الذين اقتنوا محبة كبيرة مع تواضع ويأوون التعيس والمظلوم والممقوت من الجميع، يقومون بعمل محبة كبير؛ فإنه ولو وجد مأوى للأطفال التعيسي الحظ، للعناية بهم بشكل من الأشكال، فلا يوجد للأسف مأوى للمظلوم التعيس الذي يكرهه الجميع لثقله وبشاعته. فالجميع للأسف يطالبون بالحق ويدّعونه لأنفسهم.

---

(١) لوقا ١٦: ١٩-٣١

والأسوأ أن كل واحد يدّعي لنفسه الحق فيؤول بهم ذلك الى المطاحنة.

أما الأصحاء الذين اقتنوا محبة وتواضعاً، كثيراً ما يتخاصمون من جراء محبتهم لبعضهم البعض ويتساءلون من سيسبق الى حمل الأثقل، أو الى أخذ الأدنى، أو الى الاحتفاظ لنفسه بما هو مهترئ ليأكله هو نفسه ويترك الأفضل لقريبه، الذي هو المسيح. وفيما هو يأكل المهترئ يشعر بحلاوة أعظم مما يشعره أخوه الذي يأكل الجيد، لأن الأول يأكل المحبة، والمحبة تأكله. (هكذا يتخاصم الروحيون مع بعضهم البعض).

كما أن الريف الغني بالأوكسجين والصافي بمناخه وهدوئه مساعد جدًّا لصحة الجسد، كذلك الدير بهدوئه وفقره الخالي من التشتت، بعيدًا عن العالم، يساعد كثيراً لصحة النفس.

إنتبه ألا تجعل هدوءك يتعكر بمشاكل الزوار. استضف الزوار فقط عندما يوجد سبب لذلك، وإلا فستكون من الجهال. كذلك إذا قبلت الضيف بعد إلحاحه بدون سبب فلربما يتصرف بوقاحة كبرى.

لا تقم صداقة لك حتى ولو كانت مع ذوي الرتب العالية، لأن زياراتهم لك ستكون بمثابة زيارة حديقة الحيوانات، خاصة إذا كانوا ذوي روح دنيوي. ولا تجعل أصدقاء لك أيضاً من الناس الذين تهمهم الأمور السطحية ويتميزون بمزاج قلق، فهؤلاء يمرون بحديقتك مرور الريح الجنوبية (الحارة).

إنتبه ألّا ترتبط بمشاريع مع أناس ليس لهم صلة بالحياة الرهبانية، ولا تتقدم لمساعدتهم إلّا من بعيد بالصلاة من أجلهم،

لأن هؤلاء سيشوشون هدوءك ويعكرون سلامك باستمرار، فيستحيل عليك فيما بعد أن تصلي من أجل سلام العالم ومن أجلك أنت وحتى من أجلهم هم أيضًا.

إن الإنسان الذي يزجك في مشكلات، ولو عن قصد سامحه حتى السبعين مرة سبع مرات[١] مجتمعة، لكن تجنبه بعد ذلك إن لم يكن مريضاً، حبًّا بخلاصه وخلاصك، مصلياً من أجله فقط.

إن الذي يتجنب الناس ولا يضيع وقته ولا يخطئ أيضًا، بل يقفل على ذاته في القلاية وينقّب في نفسه، سيفتح منجمه الروحي سريعًا ويغتني منه، فيتمكن من مساعدة الآخرين. أما الذي يستثقل التنقيب في نفسه متوخياً التجوال، لن يُفلح روحياً، وسيبقى عاملاً بسيطاً يحرث أهواءه برقابة الشيطان. لذا من الأفضل أن يقفل الراهب على نفسه في القلاية ويطبّق القليل الذي يعرفه، من أن يدور باستمرار لتعلّم الكثير موزّعاً شطاراته خارجاً، فيبقى داخله فارغاً على حاله.

إن قيمة معرفة الذات لا تساويها معارف العالم كله، لأن معرفة النفس تسبب لنا التواضع بصورة طبيعية وتجعله فينا حالة ثابتة، فتثبت فينا النعمة الإلهية باستمرار. أما كثرة العلوم فيُخشى من أن تنفخ الرأس وتجعله كالمنطاد فيواجه المخاطر أو ينفجر في الهواء (بانفصام الشخصية)، أو يتدحرج (بالكبرياء) ويتحطم إرباً إرباً. ولهذا يجب أن تتبع المعرفة مخافة الله، وأن ترافقها الخبرة العملية لكي يوجد توازن في النفس. وبالتالي فإننا بأمسّ الحاجة الى التطبيق في حياة القلاية لا الى طلب العلم باستمرار.

(١) لوقا ١٦: ١٩-٣١

لا تعتاد الخروج من قلايتك الدافئة إن لم يوجد سبب هام. وذلك كي لا يلفحك برد الرياح العالمية القارس، خاصة إذا كنت ضعيفاً روحياً.

الذي يعتاد الدوران خارج قلايته باستمرار، تشبه نفسه حالة قلايته المتروكة والمملوءة ببعير الفئران، وساحتها مليئة بالعشب والثعابين. أما الذي يبقى في قلايته يلبث محميًّا مثل الجندي في مرقابه، وخاصة إذا كان حديثاً في الإبتداء فعليه ألا يخرج أبداً.

إن المبتدئين وبسبب قصر نظرهم الروحي، عليهم أن يشعروا بالحاجة لطلب المشورة من الشيوخ الذين ينظرون الى بعيد من خلال خبرتهم. وكذلك يجب ألّا ييأسوا في البدء من الدير بسبب السواد الروحي الذي يشعرون به، لأن الإخضرار الذي شاهدوه في العالم لم يكن حنطة، بل عشباً أخضر لراحة النظر فقط. أما هذا الإسوداد فهو الحراثة لزرع البذار الروحية، وسوف يخضرّ فيما بعد، ويعطي سنابل مليئة بالقمح.

لا تحزن على ما خسره جسدك في الرهبنة من الكيلوغرامات، لأن الدود يحزن وحده على ذلك، إذ ينتظر الإحتفال الكبير لرقادك. أما أنت فيجب أن تفرح لأنك أخرجت السموم بهذه الطريقة من نفسك. وما تضحّي أنت به في النسك محبة بالله، فإنه ذو قيمة أكبر من الذبائح الحيوانية التي قدّمها أهل العهد القديم، لكي يظهروا امتنانهم لله.

إن الراهب المجاهد تؤثر فيه رؤية هيكل جسده العظمي، فينظر إليه باحترام وتقوى كصديق له. أما محب الجسد فيدغدغه جسده المعلوف الفجع باستمرار، فينظر إليه كعدو، ويشعر أنه خاضع له،

وأن نفسه وجسده كلاهما متعرضان لسعير الجحيم ابتداء من هذه الحياة.

إن الصوم يذلّل الجسد جداً، والسهر مع الصلاة يذلّلانه أكثر إذا استُضيف التواضع في النفس. أما عندما توجد الكبرياء ولا يبرح الشيطان عنا، فمن الطبيعي إذاً أن يعترض الجسد حتى ولو كان هيكلاً عظمياً، شأن الحمار النحيل الذي يعرج من الجانبين إذا أهملوه بلا علف بغية هُزاله لئلا يرفِس، لكنه يستمر في الرَّفس، لأنه مسكون بشيطان.

لذلك وَجَب تصوير المبتدئ على الأشعة من قِبَل أبيه الطبيب الروحي كي يرى أولاً الوجع فيتمكن من وصف الدواء ونوعية الأغذية المطلوبة.

عندما يتجنب المبتدئ المريض نصيحة طبيبه، الأب الروحي، لا يمكنه أن يستعيد صحته أبداً (صحة النفس والجسد).

إن المبتدئ الكامل الصحة والذي يتجنب النصائح والملاحقة الروحية من أبيه الروحي، فإنه سيمرض عاجلاً أم آجلاً مرضاً شديداً؛ لأن الكبرياء والمشيئة الذاتية هما قرنا الشيطان اللذان يدفعان المبتدئ باستمرار نحو الهوة.

أما التواضع - كونه يحتوي على الخضوع والتضحية - يُرضي الله أكثر من أي تضحية اخرى ويطرد الشيطان بعيداً جداً أكثر مما يطرده البخور، عندها تمسي النواميس الروحية غير سارية المفعول.

إن الإنسان الذي يتأذّى من المدح يُظهر خللاً روحياً (إلا إذا كان صغير السن وعنده على صبيانيته وأنانيته اللّتين لا ينفعه قطعهما بعنف).

من يصطنع الخلل العقلي (يتباله من أجل المسيح) يفوق بعقله فلاسفة العالم جمعاء، لأن الفلاسفة يخدعهم العالم الباطل وأمجاده. أما المتباله من أجل المسيح فقد استطاع أن يَسْخَر بأباطيل العالم كلها، ويحيا الحقيقة متخفياً بمرارة شريفة، وإن صح القول: نجا من مراءاة العالم السيئة (النفاق). وإذ يرى أن الصراحة لا تنفعه يتابع السير نحو المرارة الشريفة لكي يحفظ كنزه الروحي.

لا تجهد نفسك إذا لم تستطع نوال المجد والغنى مما هو باطل من الأشياء والأمجاد، لأن هذه لا تنفعك ولا ضرورة لها في الحياة الحقيقية، ولا يمكن حتى نقلها الى هناك. وما سنحمله معنا الى الآخرة هو أعمالنا، لا غير، التي بها سنؤَمن ما يلزمه جواز سفرنا لرحلتنا الأبدية الكبرى.

إن عشت في الخفاء وأُزيلت من أمام عينيك الأغراض المادية، ستذوق عظمة الفرح لأنك عندئذ سترى وجه الله وتشعر بحضوره الى جانبك إبتداءً من هذه الحياة، وستعلن لك أسرار الله بوضوح.

إن بطل المسيح المتواضع والمستتر هو من فاق العالم بذكائه، لأنه استطاع أن يحفظ كنزه الروحي في خزانة الله.

إن المتكبر هو سخيف، لأن الشيطان يسخر منه بحبة «كاراميلا» من المديح وينهبه ثروة تعبه كلها.

إن المتواضع لا تفارقه المحبة، لأن هاتين الفضيلتين هما أختان، وبهاتين الميزتين، التواضع والمحبة، يُميز الملائكة القديسون أبناء الله عن غيرهم ويأخذونهم بمحبة ويجتازون بهم الجمارك الفضائية بلا خوف ويرفعونهم الى الآب الجزيل التحنن.

إن المتواضع هو تقي وصامت، ولذا هو من أقرباء والدة الإله،

مريم الممتلئة نعمة. فإنها حين كانت حاملة في حشاها كلمة الله متجسداً، لبثت صامتة إلى أن وُلد الكلمة وتكلم هو وحده في الوقت المناسب.

إن المتكبر يحمل قلقاً داخلياً ويسبب الفوضى خارجياً، ويرغب دوماً في إطلاق الأحكام باستمرار، أي بإفراغ ما عنده من الجوز المنخور، ليحدث ضجة. وإن وُجدت واحدة من جوزاته سليمة فهي لا تخلو من الأنانية (مثل الجوز المحنحن)، فإذا مسست أنانيته برزت أهواؤه دفعة واحدة، كالنمل المخبأ في جذوع الجوزة المنخورة إذا ضربته بيدك.

إن مَن لا يتقبل الضربة أو الملاحظة بتواضع - متعللاً بأنه لم يخطئ حينها، أو ربما كان قد أخطأ قبلاً ووفى ما كان عليه، إما أنه لم يخطئ أبداً ولكن الله سمح بتلك الضربة أو الملاحظة ليدّخر له بعض القروش في صندوق التوفير الأبدي الخاص به - هذا الإنسان سوف يتلقى الضرب باستمرار من جميع النواحي بسبب عتوٍّ نفسه ومن الآخرين ومن الشيطان الذي سيرميه في تجربة تلو الأخرى، فيستشيط غيظاً ويخسر بالتالي نفسه.

الذي يحفر في نفسه بعمق ويضع أساسات متواضعة لمبناه الروحي، يقطع جذور أنانيته فيثبت مبناه الى الأبد دون أذى.

من لا يتّكل على الله بل على نفسه ويبني بتخيله الدنيوي، إنما يبني على التراب المتراكم، ولا يلبث أن يتزعزع مبناه فيسقط عليه وعلى الذين يأويهم.

من يتكل على رأس ماله ويشرع بورشات كبرى، فإنه، إن لم يكن لديه رأس (عقل) يقع تحت الدين. كذلك في الحياة الروحية،

لا تكفينا الإمكانات الجسدية وحدها مع العقل، إن لم نعطِ حق الصدارة لله لكي ترأسها وتديرها نعمته.

إن بساطة الحياة تمنح إمكانيات كثيرة ليتمكن المرء من خلالها مراقبة ذاته لئلا يقع تحت دين روحي ولكي يكسب صحة مضاعفة. ويساعد الإنسان أكثر، في هذا المضمار، المزاج البسيط الذي يتقبل ببساطة وشكر ما يوجِّهون إليه من الملاحظات؛ مما يجعل جميع الناس أن يكونوا أطباء له وممرضين وأن تكون صحته أفضل من الجميع.

هناك بعض يعانون بسبب أنانيتهم عندما توجه إليهم الملاحظات، لكن ليس كل الذين يعانون - إذا وجهت إليهم الملاحظات - هم أنانيون؛ لأن كثيرين من جراء تفانيهم وشدة حساسيتهم يعظمون خطاياهم، وعندما تضاف أثقال أخرى على أثقالهم يرزحون. لذا وجب مراعاة النفوس الحسّاسة التي تتميز بتفانٍ كبير، لئلا نظلمها - زعماً منا أنها أنانية - فتتحطم وتمسي عديمة النفع.

إذا جرحتَ أنانية المتكبر لا تزرْه على الفور قبل أن تطيب جراحاته قليلاً، لأنك إن استخدمت معه أسلوب الملاطفة تُلهب جراحاته. لذا من الأفضل ألا تقترب منه الى أن تختم جراحاته ويشفى مع مَرِّ الزمن فينسى.

• إن الشجرة الكبيرة التي يجري فيها النسغ بوفرة، إذا شئت تطعيمها، لا تحاول قطع أغصانها كلها دفعة واحدة، لأنها ستدر باستمرار نسغها فتطلع فروعها بسرعة. كذلك يحصل مع كبير السن في الحياة الروحية.

إن البطاطا القديمة يلزمها سكين حاد لتقشيرها جيداً (حتى ولو كانت مسلوقة، وبعد أن تبرد)، وأحيانًا كثيرة إذا شاء أحد تقشيرها جيدًا لا يبقى منها شيء، مما يؤول بالبطاطا نفسها الى اليأس. لذا من الأفضل أن يتظاهر الإنسان بأنه لا يرى فيترك بعض الشيء المسود منها. لأنه سيكون من المحال أن نطالب الكبار في السن كما نطالب الصغار، الذين يشبهون البطاطا الحديثة ذات القشرة الطرية التي تزول دون سكين.

فبما أن المسيح قد حاسب عامل الساعة الحادية عشرة كما حاسب عامل الساعة الأولى، فلنكيف إذاً تفكيرنا وفق المنطق الإنجيلي الذي يبدو لعيون الناس منافياً للمنطق. فالعشرة لمن أعطاه خمس وزنات، والأربعة لمن أعطاه وزنتين، والإثنتان لمن أعطاه وزنة واحدة، فكلها بالنسبة لله جيدة جدًا (ممتازة)؛ لأن العدل الإلهي تختلف مقاييسه الحسابية عن غيره. فالعدد واحد (١) زائد واحد أحيانًا يساوي إثنين (٢) وأخرى يساوي مليونين.

مَنْ شاء فحص المنطق الإلهي بعقله يفقد حتى القليل من العقل الذي عنده. وأيضًا مَنْ يحصر المنطق الإلهي داخل رأسه ينفجر فيؤول الى الإنفصام.

مَنْ يصقل عقله باستمرار بالمعلومات ويعيش بعيداً عن الله، يجعله حاداً من الطرفين، فيُذبح هو بأحد طرفيه شيئاً فشيئاً، وبالطرف الآخر يقطع رؤوس الناس بحلوله البشرية العقلانية المطلقة. وعلى العكس، فإن الإيمان بالله يجذب القوة الإلهية الى أسفل، فيقلب الإستنتاجات البشرية كلها رأساً على عقب ويجترح المعجزات ويقيم الموتى تاركاً العلم مفتوح الفم (من الدهشة).

المعجزة سر معاش يعجز العقل عن تفسيره. ولكي يحيا الإنسان الأسرار، عليه أن ينزع إنسانه العتيق، أن يستعيد بشكل ما حالته ما قبل المعصية وأن يصبح ذا براءة وبساطة، لكي يكون إيمانه غير متزعزع ويؤمن إيمانًا مطلقاً أن لا شيء مستحيل عند الله. وعندما يسلك المرء في البدء بإيمان يخلو من الشك ستصادفه شيئاً فشيئاً أحداث صغيرة فكبيرة، فيزداد إيمانه بعيشه الأسرار الإلهية عن قرب، ويغدو لاهوتياً لأنه لم يتعلمها بعقله بل عاشها حقيقة.

إنه لسيء جداً أن نتكلم بجفاف باللاهوت ومن عقلنا ونظهر العقل روحاً قدساً؛ هذا ما يسمى كلاماً من الرأس يؤدي الى بابل، بينما في اللاهوت نرى تعدد الألسنة (المواهب) لكنها تبقى متوافقة لأن رئيسها واحد وهو الروح القدس الذي حلّ يوم العنصرة، والألسنة إنما هي نارية.

من لا يكترث بالإستنارة الإلهية ويعطي الأولوية للعقل ملقياً موعظة - مهما كانت بليغة وجميلة - يشبه الآريوسيين الذين آمنوا أن المسيح هو خليقة الله.

نحن الأرثوذكسيين نؤمن ونعترف أن كلمة الله غير مصنوع، بل «ولد من الآب قبل كل الدهور، وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء» وأتى بالخلاص الى العالم. فالكلام المنبثق من العقل لا يغيِّر النفوس لأنه جسدي. أما كلمة الله، المولود من الروح القدس ففيه الفعل الإلهي ويغيِّر النفوس.

إن الروح القدس لا ينزل بالآلات، لذا فاللاهوت ليست له أية صلة بالروح العلمي الجامعي. إن الروح القدس ينزل وحده، عندما يجد في الإنسان المؤهلات الروحية. والمؤهلات الروحية هي

أن يزيل الإنسان الصدأ عن أسلاكه الروحية لكي يصبح موصلًا جيداً لتقبل التيار الروحي للإستنارة الإلهية. وهكذا يصبح عالماً روحياً، لاهوتياً.

إن نعمة الله تجمع الناس كما يفعل المغناطيس في المعادن. أما العقل وحده فهو كالعصا الحديدية دون المغناطيس، التي تضرب المعادن، فبدل أن تلتصق بها تعوج وتتبعثر.

إنتبه ألا تطلب أبدًا أنواراً أو نعماً من الله الخ... بل توبة بها يأتيك التواضع ومن ثم ينعم عليك إلهنا الصالح بكل ما تحتاجه.

إن شئت، أثناء الصلاة، أن تلاقي الله ويستمع إليك، أدِرْ الزر الى محطة التواضع، لأن الله يعمل على هذه الموجة، والتمس رحمته بتواضع.

وإذا استَعَرَ فيك العشق الإلهي، أمسك بالميكروفون، كما يفعل العاشق، فلا تعود لك رغبة الإبتعاد عن قلايتك، إلا إذا قطعوك عن ذلك، أو اضطررت للقيام بعمل واجب كنت تؤجله أحياناً أو تهمله.

من لا يغوص في معنى الصلاة، لكي يشعر بحاجته الكبرى إليها، يعتبرها كعمل من أعمال السخرة. وهو يشبه الولد الجاهل الذي يبتعد عن صدر أمه وعن كل ما في أحضانها من حنان واطمئنان، وبالتالي يلبث متوعِّكاً وتعيساً.

إنتبه ألا تستنزف طاقاتك الثمينة باهتمامات تافهة وباطلة، فتتعب جسديًا ويتشتت ذهنك دون هدف، ومن ثم تقدم تعبك ذبيحة لله بتثاؤب أوان الصلاة مثل ذبيحة قايين الممقوتة، وبالتالي تمسي حالتك الداخلية كحالة قايين مصحوبة بالقلق والتنهدات التي

يسبّبها لك الشيطان القابع الى جانبك.

من يهمل صلاته وفروضه بدون عذر ويعمل باستمرار، مبيناً إكراما لفرعون، يبتعد عن الله ويتوحش. وبسبب توحشه يشرع برفس ملاكه الحارس بشدة حتى يطرده. وبعد أن يأتيه الشيطان يستقبله كرئيس عليه، وعندئذ يجري له على الفور التغييرات التالية:

١- يلغي المسبحة ويستبدلها بالمسبحة الدنيوية.

٢- يقطع عليه القراءات الروحية بالكلية ويستبدلها بالمجلات الدنيوية والجرائد.

٣- أخيراً يتسلط عليه، فيبدأ عندئذ بالمعاناة داخلياً طالباً الترويح عن نفسه مثل شاوول عندما ابتعد عن الله وسكن فيه الشيطان.

إن القراءة الروحية تدفئ النفس كثيراً وتبدد الإهتمامات اليومية. وإذ تتحرر النفس وتسترجع حالتها الروحية الإلهية يبدأ الذهن عمله دون تشتت.

إنتبه ألّا تطلب في صلاتك معاينة أنوار أو أحلام أو ملائكةٍ، بل جاهد بتواضع واصبر قليلاً فتشاهد في الحياة الأخرى أسرار الله كلها، وتسير بأمان في الحياة الحاضرة. لأن البعض طلبوا مشاهدة ملائكة وأنوار، فأتت الشياطين بأزياء مزيفة وأنوار كاذبة وأخذتهم لترفعهم الى الله فأحدرتهم الى الهاوية.

إن كنت لا تُحارَب من قبل الشياطين لا تحسب نفسك أنك بلغت درجات سامية، وأن الشياطين تخافك، بل اعلم أن الله الصالح يحميك (لضعفك روحياً) كالصوص من النسر.

إن كنت تشعر دائماً بسرور كبير في داخلك لا يقل لك فكرك

أنك بلغت درجة سامية، بل اعلم أن كل أهواءك لا تلبث في داخلك، وأن الله - لعظمة صلاحه - منحك التعزية الإلهية لأنك تشقى من أجل محبته وتحرم نفسك التعزية البشرية.

وأيضًا، إن كنت تُحارَب بشدة في البدء، عليك ألا تيأس وحسب، بل على العكس، إعلم أن العدو - بخبرته لآلاف السنين - أدرك أنك تتقدم، فأتاك ليزرع فيك الخوف والذعر بأحلام في النوم وأشباح في اليقظة لكي يثنيك عن الجهاد فتهرب. فإن رذلته وسلمت ذاتك لله سوف يتراجع. لكنه بعد قليل لن يلبث أن يقترب منك من الجهة اليمنى كصديق، وبعد أن يساعدك لتضاعف جهدك، يبث فيك أفكار الكبرياء لتمصها كحبة «كرميلا»، وإذا لم تبصقها بل تواصل امتصاصها (أي معتقدًا أنك قاربت درجة القداسة وأنك تقدست)، عندئذ يظهر أمامك وجهاً لوجه على شاشة التلفزيون بهيئة قديس أو ملاك، ولن يبرح عنك حتى يصرعك إما بعقلك أو يدفعك الى الهاوية - والله الساتر!

إنتبه أيضًا؛ إياك أن تضع العلامة بمفردك على حالتك الروحية استناداً على ما تقوم به من مسابح ومطانيات الخ... أُطلب أولاً رحمة الله وخلاص جميع البشر بتواضع، ومن ثم أطلب لنفسك الخاطئة زاوية في الفردوس لا غير، كي لا يشعر المسيح أنك في الجحيم فيحزن عليك.

إن كنت تحب نفسك أكثر من بقية الناس، إعلم أنك لا تحيا روح المسيح. وإن كنت ترى أن إمكانياتك تفوق الآخرين وتفتخر بها - ولو كان ذلك حقيقة - إعلم حقاً أنك ظالم جداً (متعد على الله) وناكر الجميل، لأنك لم تفِ ما عليك لله.

إن كنت تشعر بالراحة في الأماكن الجميلة والخضراء الخ . . . ولا تجد راحة في قلّايتك، فاعلم أن العالم بكامله ما زال يعيش في داخلك. أما إذا خرج الراهب خارج قلايته وأمضى وقته بالعمل الروحي، أو بعمل آخر، فهذا يساعد كثيراً، لأن العمل يأتينا بصحة مضاعفة للنفس والجسد عندما يتم بتمييز.

إن كثرة العمل والإهتمام تجعل الراهب دنيوياً، فتغدو حياته كالعلماني مليئة بالقلق والإضطراب الدنيوي. وباختصار يعيش قسطاً من الجحيم في هذه الحياة بالقلق والنكبات الخ . . .

تسلّح دومًا بالصبر، فإنه الدواء الأعظم والشافي من التجارب الطويلة الأمد.

إذا بالصبر وحده - مع الزمن - تعبر التجارب بكثرتها وتذوب كما تذوب الثلوج والجليد في الربيع تحت أشعة الشمس. إن الجليد والثلوج لا تذوب بالحزن، بل بالصبر.

إن الرجاء بالله هو الضمانة الكبرى للإنسان. أما الإعتداد بالذات فهو عدونا الأكبر والألد الذي يرمينا فجأة وبدون شفقة في الفضاء ويطرحنا في الطرقات بحال يرثى له.

لا تجاهد دون تمييز كالنهر الشتوي الذي يصب مياهه دفعة واحدة بكل قوته، بل جاهد بتفانٍ وتمييز خاصة إن كنت بطبيعتك متفانٍ، لكي لا يسبب لك العدو قلقاً، فتضغط دون تمييز على ذاتك المتفانية فوق طاقاتك. وحتى ولو كانت طبيعتك قاسية نوعاً ما، لا تضغط على ذاتك دون تمييز، لئلا تنفر وبنفورك يتسلط عليك العدو بما أظهرته من وقاحة روحية تجاه الإلهيات وعدم الإكتراث بها كلياً.

لَيِّنْ – بقدر استطاعتك – قلبك القاسي، باقترابك من النفوس المجروحة، لكي يصبح قلبك رقيقاً ومتواضعاً، والتمس رحمة الله بتخشع فتأتيك.

من لا يؤمن بالله ويسأل رحمة أثناء المحن، يبقى دائماً بلا معين ودون تعزية، معذَّباً في حياته، إذ لا يعود لحياته معنى، فيحكم على نفسه بالعذاب الأبدي. أما الذي يؤمن بالله فلا يذوق السم أبداً، إلا إذا شاء هو. وإن جاء سم التجربة يُدنيه من حلاوة يسوع، فيحوله ذاك الى شراب حلو مفيد له.

إن الدواء الأفضل لمعالجة نكبتنا هي النكبة الكبرى لقريبنا، أُللهم إن قرّبناها من نكبتنا وميّزنا الفرق الواسع بينهما، وأدركنا عظمة محبة الله لنا بافتقاده إيانا بأصغر التجارب. عندئذ لا بد لنا من أن نشكر الله، متألمين من أجل القريب لكثرة معاناته، فنصلي له من قلوبنا لكي يلقى عوناً من الله، الذي سيكلله لا محالة، إن لم يتذمر بل تحمَّل بفرح وطلب المزيد من التجارب؛ وذلك ليفي ما عليه، أو ليشارك الرب بآلامه برهاناً على عرفانه بالجميل.

مغبوطٌ من استطاع بهذه الطريقة أن يطارد الشيطان الجبان ويحمِلَه على جمع طغماته كلها هارباً، فيتحول إذ ذاك الى دخان أسود لانكشاف مرماه.

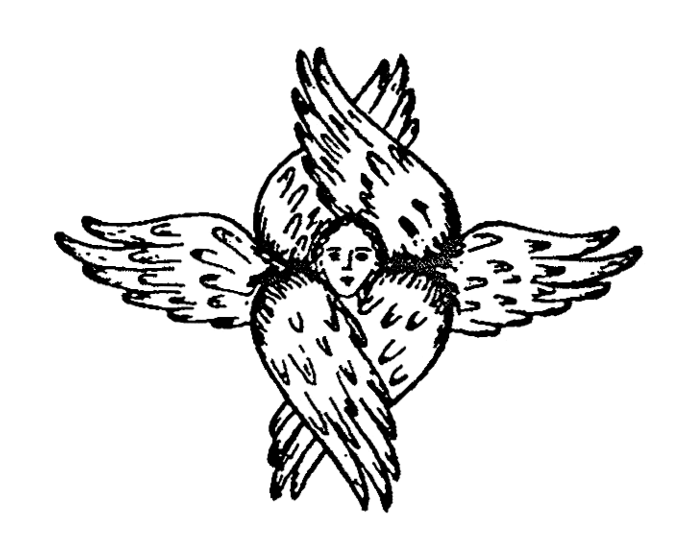
ليضئ إلهنا الصالح بنوره العالم بأسره ويعضده لكي يصيب بضربته مرمى الشيطان، فيلبث عديم الحراك في الجحيم (كي يُتمَّ قانونه هناك ويتوب إن أمكن) ويدع مخلوقات الله بسلام فيكفّروا عن خطاياهم ولا يزيدوا عليها.

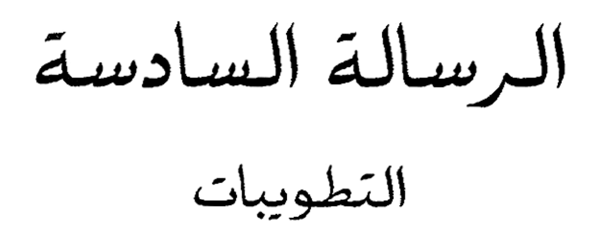
صلّين من أجلي أيضًا، أنا جبلة الله الضعيف، الذي بسبب

خطاياي الكثيرة، «مرض جسدي، وضعفت نفسي»... أرجو بصلواتكن توبة صالحة.

مع محبة المسيح

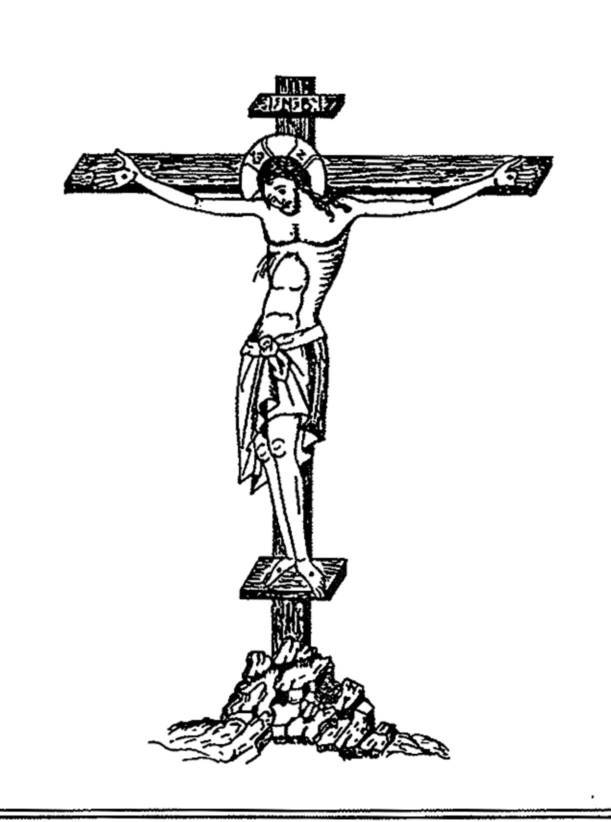
أخوكن، الراهب بايّسيوس

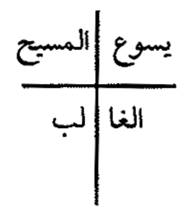




الرسالة السادسة

التطويبات





قلاية الصليب الكريم
٢/١٢/١٩٧٢.

الى الأخت بالرب والأم فيلوثاي. باركي.

اليوم اشتملني جنون فأمسكت القلم - كما يفعل المجنون عندما يأخذ فحمة بيده ويرسم بها ما يخطر بباله على الجدران - وجلست أكتب على أوراق لأرسلها لكنَّ مكتوبة. إنه الجنون الذي ينتابني للمرة الثانية من جراء محبتي الكبرى لأخواتي كيما أساعدهن ولو قليلاً.

الجنون الأول كان سببه الرسائل الخمس، الواحدة تلو الأخرى، من مختلف الأوساط اليونانية، حول مواضيع مختلفة. ومع أن الأحداث بجملتها كانت بركات كبيرة من الله، فإن بعضاً من الناس إذ واجهوها بمنظار دنيوي آلت بهم الحالة الى اليأس.

بعد إجابتي على رسائلهم تناولت القلم كمجنون، كما ذكرت سابقاً، وكتبت هذه الأسطر لثقتي أن نقداً من الخمسين دراخما، مع تفاهته، من أخيكم السائح سيجد مكاناً لشراء قداحة لكل أخت لتشعلَ شمعة في قلايتها وتقدم التمجيد الى إلهنا الصالح.

وإني لأشعر بفرح كبير إذا جاهدت كل أخت جهاداً متفانياً بمقدار صليبها. قليلٌ على الإنسان لو قدَّم للمسيح قلباً بحجم الشمس وسطيع نوره كنورها شكراناً على هباته العظيمة، ولا سيما الكرامة التي احتضننا بها، نحن الرهبان، بدعوة كلٍ منا على حدة

الى عيش الحياة الملائكية.

وهذا أمسى شرفاً عظيماً أيضًا للأهل الذين أُهلوا أن يُنشئوا برهبنة أولادهم قرابة مع الله. لكن للأسف، إن أغلب الأهل لا يدركون ذلك. وعوض أن يشكروا الله، يستشيطون غيظاً لأنهم ينظرون كل الأمور بمنظار العالم، على غرار أولئك الناس المذكورين آنفاً الذين ألزموني على أخذ القلم لأكتب ما يلي:

١- طوبى للذين أحبوا المسيح أكثر من كل ما في العالم وعاشوا حياتهم بعيداً عن العالم بقرب الله يتمتعون بالأفراح الفردوسية على الأرض.

٢- طوبى لمن حققوا العيش في الخفاء واقتنوا فضائل عظيمة ولبثوا بدون أية شهرة.

٣- طوبى للذين توصلوا لأن يصطنعوا البلاهة وحفظوا غناهم الروحي.

٤- طوبى لمن لا يكرزون بالإنجيل بالكلام، بل يحبونه ويكرزون به بصمتهم بنعمة الله التي تعلن عنهم.

٥- طوبى للذين يفرحون إذا اتُّهموا ظلماً، بدل أن يمتدحوا بحق من أجل حياتهم الفاضلة. هنا تكمن علامات القداسة وليس بالجهاد الجسدي الجاف الذي يسبب مشاعر كاذبة إذا لم يتم بتواضع وبهدف خلع الإنسان العتيق.

٦- طوبى للذين يفضّلون أن يُعتدى عليهم من أن يعتدوا على أحد، ويقبلون الاعتداءات بهدوء وصمت. لأن هؤلاء يبرهنون بالفعل عن إيمانهم بإله واحد آب ضابط الكل، ومنه يتوقعون

الإنصاف وليس من البشر الذين يسددون هنا ما عليهم بالباطل.

٧- طوبى للذين وُلدوا معاقين أو أصبحوا كذلك بغير قصد منهم، لكنهم لا يتذمرون بل يمجدون الله. هؤلاء سيعد الله لهم أفضل مكان في الفردوس مع المعترفين والشهداء الذين ضحّوا، محبة بالمسيح، بأيديهم وأرجلهم. فهؤلاء الآن يقبّلون بتقوى يدي المسيح وقدميه في الفردوس باستمرار.

٨- طوبى للذين وُلدوا بَشِعين وباتوا من المزدرى بهم على الأرض، لأنهم يستحقون أجمل مكان في الفردوس إذا مجّدوا الله ولم يتذمروا.

٩- طوبى للأرامل اللواتي لَبِسْنَ الحداد في هذه الحياة ولو عن كره، ويحيَيْن حياة روحية بيضاء ويمجّدن الله دون تذمّر. طوبى لهن، فهن أفضل من اللواتي يرتدين المبرقش ويعشن حياة مترفة. فيا لتعاستهن!

١٠- مغبطون، لا بل مثلثو الغبطة، أولئك الأيتام الذين حُرموا غزارة حنان الوالدين واستطاعوا أن يجعلوا الله أباً لهم في هذه الحياة. وفوق ذلك سيجدون حنان الأهل الذي حُرموا منه محفوظاً في خزانة توفير الله مع الفوائد.

١١- طوبى للأهل الذين لا يستخدمون كلمة «لا» مع أولادهم، بل يلجمونهم عن الشر بحياتهم المقدسة التي يتقلدها أولادهم ويتبعون المسيح فرحين بشهامة روحية.

١٢- طوبى للأولاد الذين ولدوا من بطون أمهاتهم قديسين. لا بل طوبى للأولاد الذين ولدوا بكل الأهواء الوراثية وجاهدوا بالأعراق فاقتلعوها من الجذور وورثوا ملكوت الله بعرق

جبينهم[1].

١٣- طوبى للأولاد الذين عاشوا منذ الصغر في جو روحي فتقدّموا دون تعب في الحياة الروحية. لكن طوبى، لا بل مثلثو الغبطة الأولاد المظلومون الذين لم يجدوا مساعدة قط، بل على العكس دفعوا الى فعل الشر. هؤلاء ما إن سمعوا عن المسيح حتى لمع بريق أعينهم، وبتحويلة واحدة بدرجة ١٨٠، لمع فجأة بريق نفوسهم وخرجوا من جاذبية الأرض وساروا في الطريق الروحي.

١٤- يقول أناسٌ، إن رجال الفضاء هم في أمن لأنهم يدورون في الفضاء حول القمر مرة من الخارج ومرة من الداخل. لكن مغبوطون هم أبناء المسيح، رجال الفردوس اللاهيوليّون، الذين يصعدون الى الله ويدورون بانتظام حول الفردوس مسكنهم الثابت بأسرع وسيلة وبأقل كمية من المحروقات وهي قطعة جافة من الخبز.

١٥- طوبى للذين يمجدون الله من أجل القمر الذي يضيء دربهم في الليل. لكن بالحرى الطوبى، لمن أدركوا أن نور القمر ليس من القمر ولا نورهم الروحي هو خاصتهم، بل هو من الله. سيّان إن كانوا يلمعون كالمرآة أو يبرقون كقطعة زجاج بسيطة، أو كانوا يلمعون كغطاء علبة «كونسرف»، فإن لم تقع عليهم أشعة الشمس لا يمكن أن يلمعوا.

١٦- يقول أهل العالم: سعداء هم الذين يعيشون في بلاط من «الكريستال» وتتوفر لهم كل التسهيلات الحياتية. لكن، مغبوطون هم الذين استطاعوا أن يسهّلوا حياتهم، فتحرروا من الرّباط العالمي

(١) متى ١٨: ٢٢

للتطور والتسهيلات الكثيرة (عرقلات كثيرة) وأُعتقوا من القلق المخيف المسيطر في أيام عصرنا هذا.

١٧- يقول أهل العالم: سعداء هم الذين يستطيعون أن يتمتعوا بخيرات العالم. لكن، مغبوطون هم الذين يُعطون كل شيءٍ حباً بالمسيح ويحرمون أنفسهم من كل تعزية بشرية من أجل المسيح. وهكذا يقدرون أن يكونوا قرب المسيح ليلَ نهارٍ متمتعين بتعزيته الإلهية التي تكون في أكثر الأحيان وافرة جداً لدرجة تدعو المرء الى القول: أللهم إن محبتك لغزارتها لا تحتمل ولا يسعها قلبي الصغير.

١٨- يقول أهل العالم: سعداء الذين أعمالهم كبيرة وقصورهم ضخمة، لأن لديهم كل الإمكانيات ويتحركون بسهولة. لكن، مغبوطون الذين يملكون مرقداً واحداً لا غير يبيتون فيه مع قليل من الطعام والأغطية، بحسب قول بولس الإلهي، وبهذه الطريقة استطاعوا أن يتغربوا عن العالم الباطل ولكنهم يستخدمون الأرض كموطئ لأقدامهم. هؤلاء هم أبناء الله، وعقلهم باستمرار قرب الله أبيهم الصالح.

١٩- إن أهل العالم يفرحون ويعدّون أنفسهم سعداء إذا صدّقوا أثناء سكرهم أنهم صاروا قوادًا ووزراء ولو لساعات قليلة. لكن، مغبوطون أولئك الذين نزعوا عنهم الإنسان العتيق وأصبحوا لاهيوليين واستطاعوا أن يصيروا ملائكة أرضيين بالروح القدس ووجدوا حنفية الفردوس الإلهية ليشربوا منها ويسكروا من النبيذ الفردوسي.

٢٠- طوبى للذين وُلدوا مجانين وسوف يُدانون كمجانين وهكذا يدخلون الفردوس دون جواز سفر. لكن مغبوطون، لا بل مثلّثو

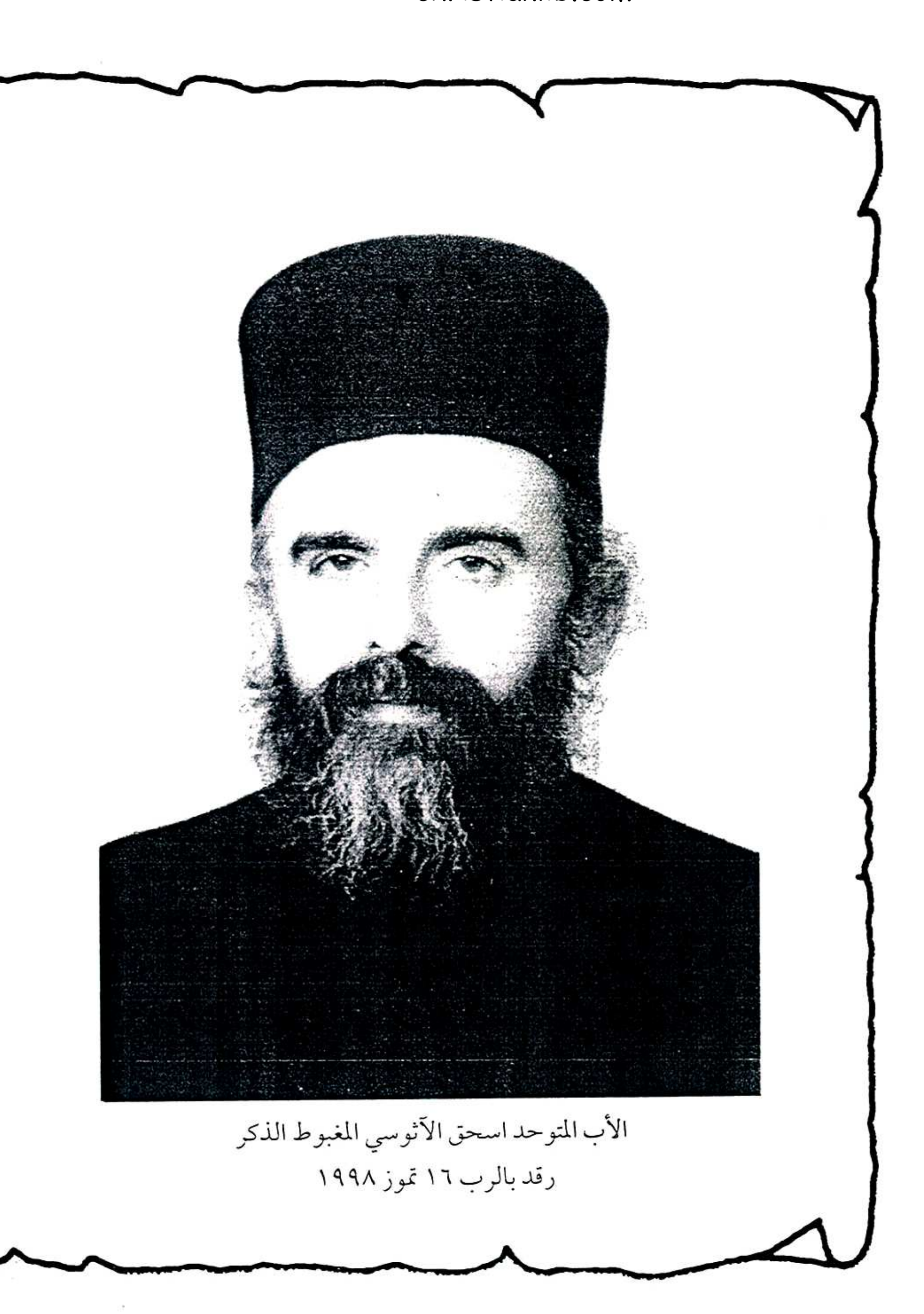
الغبطة هم ذوو العلم الذين يصطنعون الجنون محبة بالمسيح ويسخرون من كل أباطيل العالم. فإن جنونهم هذا من أجل المسيح، لجدير بالإعتبار ويفوق حكمة حكماء هذا العالم بأسره وعلمهم.

أتوسل الى جميع الأخوات أن يصلين من أجلي ليُجَنِّنِي الله أو بالأحرى ليأخذ عقلي الصغير، مُؤَمِّناً لي الفردوس ولو بهذه الطريقة، حتى أُدان كمجنون. أو أن يجنّنني بمحبته لي كي أتخلى عن ذاتي وعن الأرض وجاذبيتها، وإلا فليس لحياتي كراهب من معنى. لقد كساني الشيب من الخارج كراهب، أمّا داخلي فيسودُّ مع مرور الزمن لكسلي، لأني أبرر ذاتي بالمرض خوفاً من أن أنتكس، وأحياناً أخرى، بينما أكون بصحة جيدة، أقدم العذر لتهاوني. إني بحاجة الى عصا خضراء لتؤدّبني. صلّين لأجلي.

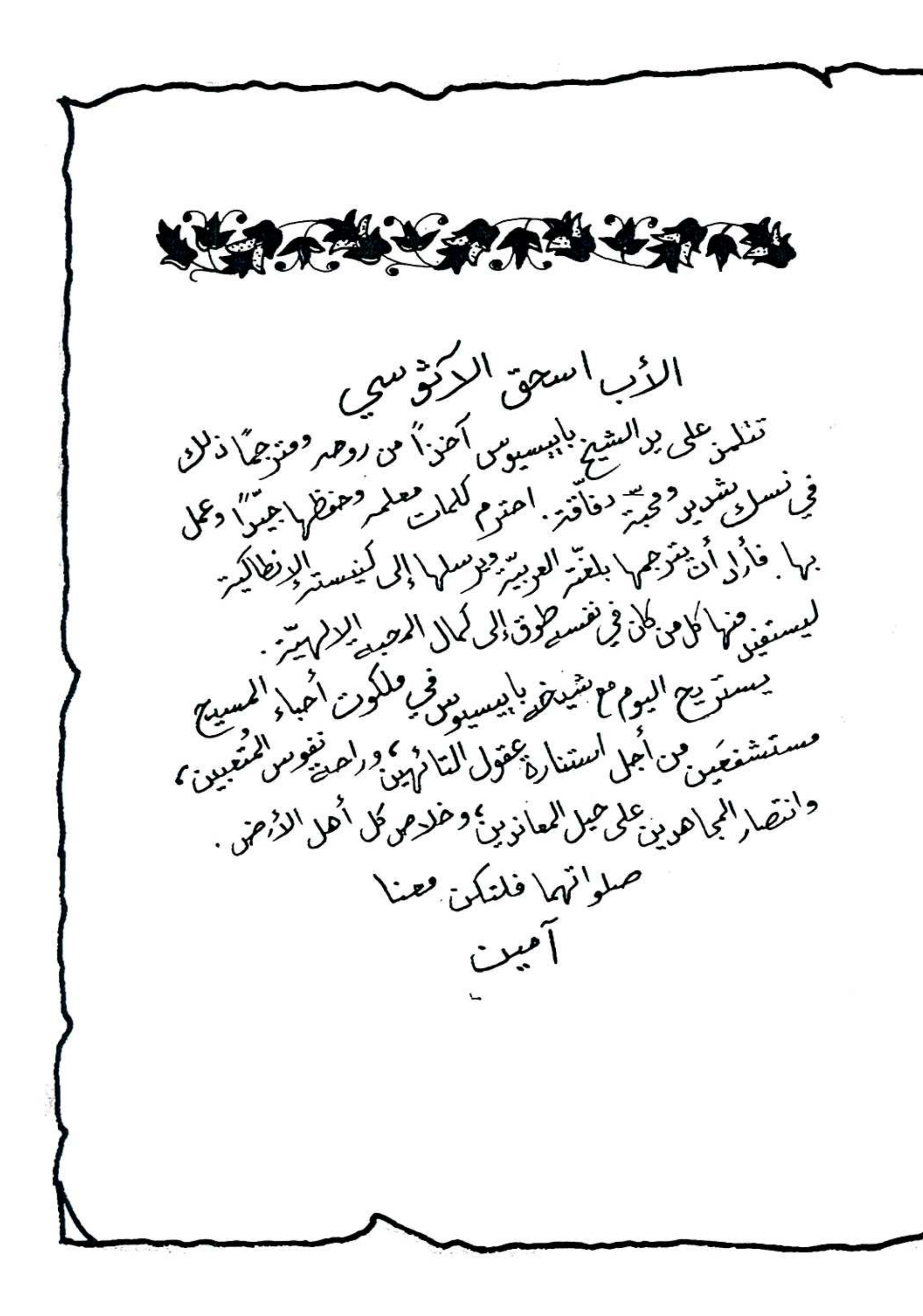
ليكن المسيح وأمه والدة الإله معكن

مع محبة المسيح

أخوكن، الراهب بايسيوس



الأب المتوحد اسحق الآثوسي المغبوط الذكر
رقد بالرب ١٦ تموز ١٩٩٨



الأب اسحق الانطوسي

تتلمذ على يد الشيخ بابيسيوس آخذاً من روحه ومترجماً ذلك في نسك شديد ومحبة ودقة. احترم كلمات معلمه وحفظها جيداً وعمل بها. فأراد أن يترجمها باللغة العربية ويرسلها إلى كنيسة الإنطاكية ليستفيد منها كل من كان في نفسه طوق إلى كمال المحبة الإلهية.

يستريح اليوم مع شيخه بابيسيوس في ملكوت أحباء المسيح مستشفعين من أجل استنارة عقول التائهين، وراحة نفوس المتعبين، وانتصار المجاهدين على حيل المعاندين، وخلاص كل أهل الأرض.

صلواتهما فلتكن معنا

آمين



الشيخ المغبوط الذكر، الراهب بائيسيوس الآثوسي

شيخ مستنير استنسار في حياته على خطى الآباء القديسين الذين عاشوا الإنجيل بإيمان ومحبة وشوق كثير.

استطاع بفضل محبته الصادقة أن يقتني موهبة الصلاة النقية ويقتني بالحرارة الإلهية مرتفعاً بجسده وروحه ومتلألئاً بأنوار سماوية بشهادة من عاينوه هكذا حقيقة. فغدا منارة روحية وكان للتائبين أميناً وشفيعاً حاراً غير مخذول.

عزّى الكثيرين في حياته ومنح طمأنينة وسلاماً لقاصديه وبعد انتقاله ترك لنا بقايا القديس أرسانيوس الكبادوكي ذخيرة مهمة، والكثير من أقواله البسيطة المختبرة بدقة وعمق والصادرة عن ذهن نقي مستنير بالصلاة ومطهر بالنار الإلهية.



كتب بروحه وليس بقلمه لأنه لم يتعلم الكتابة ولم يجد الإنشاء ولا صياغة المواضيع الأدبية لذلك، وما تركه، رغم عدم متانته الأدبية، يغير بسرعة مجرى الدماء البارده فيحولها إلى الله مستنهضاً الحس الروحي وملفتاً المتهاونين والمفتخرين يقرون حياتهم إلى مغزى الحياة ومبدئها وغايتها. ترجمت كتاباته إلى العديد من اللغات وطبعت الكثير من المرات. والآن ينشر منها كتاب الرسائل مكتوباً بلغة الضاد راجين أن تعم كلماته نفوس قارئيه وتبهجهم بأنوار الظهور الإلهي.

٢٠٠٠ م